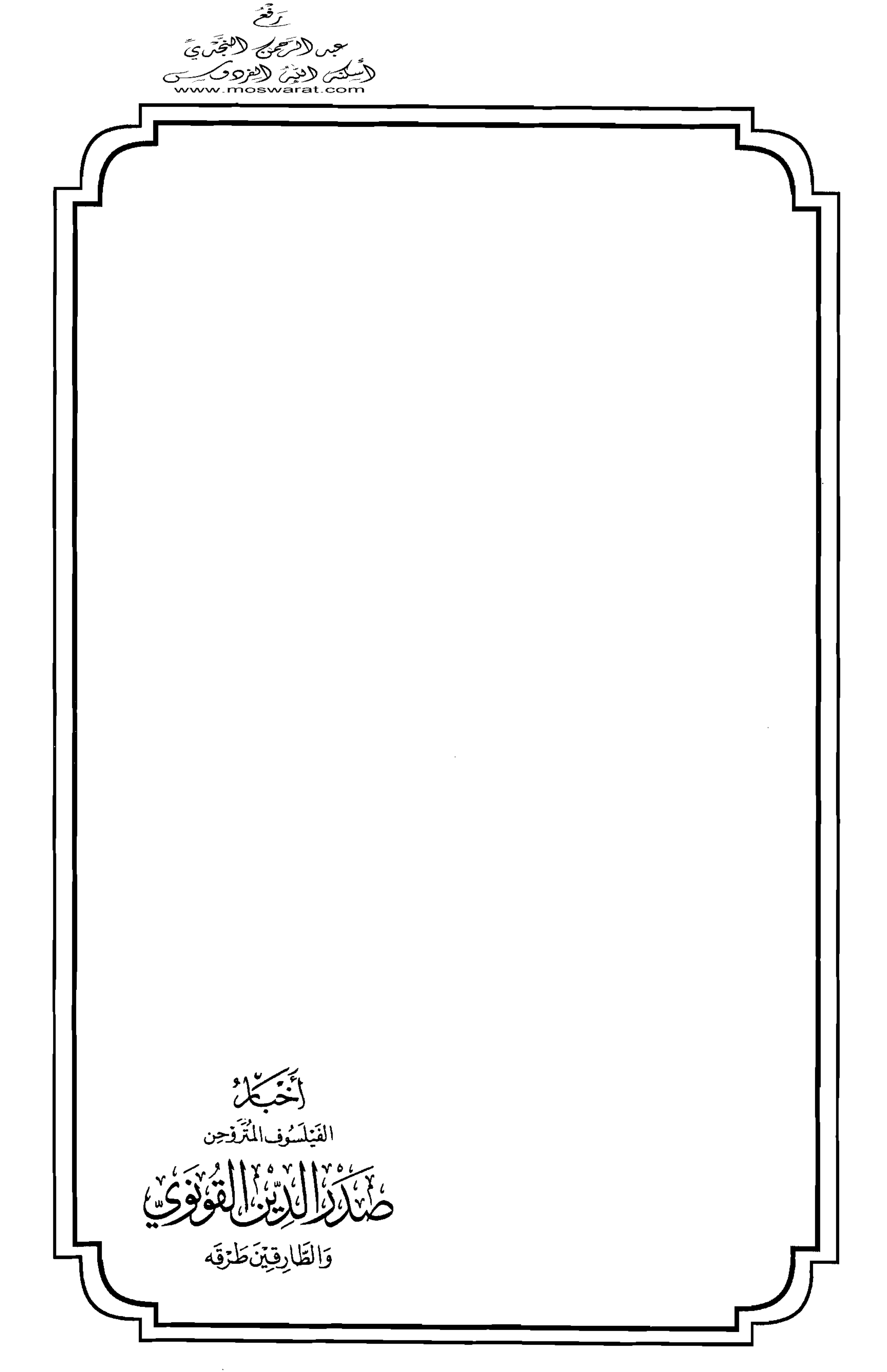

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com
أخبار
الفيلسوف المتروحن
صدر الدين القونوي
والطارقين طرقه
بحث أعده
أبو الفضل القونوي
محمد بن عبد الله أحمد
تقديم المؤرخ التركي
د. أحمد ياشار أوجاق
دار الصميعي
للنشر والتوزيع


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



أخبار
الفيلسوف المتزوجن
صدر الدين القونوي
والطارقين طرقه

ح دار الصميعي للنشر والتوزيع ١٤٣٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

مصطفى ، محمد عبدالله احمد

أخبار الفيلسوف المتروحن صدر الدين القونوي والطارقين طرقه ./ محمد عبدالله احمد مصطفى . - الرياض ، ١٤٣٥ هـ

١٧٦ ص: ، ١٧× ٢٤ سم:

ردمك : ٤-٦٤-٨١٣٣-٦٠٣-٩٧٨

١ - وحدة الوجود (تصوف) ٢- الصوفية ٣- الفلاسفة الفنون أ- العنوان

ديوي : ٢٦٣،٥ ١٩٣٠/ ١٤٣٥

رقم الإيداع: ١٩٣٠/ ١٤٣٥

ردمك : ٤-٦٤-٨١٣٣-٦٠٣-٩٧٨

دار الصميعي للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية

الرياض ص. ب : ٤٩٦٧ الرمز البريدي ١١٤١٢

المركز الرئيسي : الرياض- السويدي -

شارع السويدي العام

هاتف : ٤٢٦٢٩٤٥-٤٢٥١٤٥٩ ،

فاكس :٤٢٤٥٣٤١

فرع القصيم : عنيزة - بجوار مؤسسة الشيخ

ابن عثيمين الخيرية

هاتف: ٣٦٢٤٤٢٨ تلفاكس : ٣٦٢١٧٢٨

الموزع في المنطقة الغربية والجنوبية

/ جوال ٠٥٠٩٧٧١٥٦٨

مدير التسويق ٠٥٥٥١٦٩٠٥١

daralsomaie@hotmail.com

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م

أَخْبَارُ الفَيلَسُوف المُتَرَوْحِن

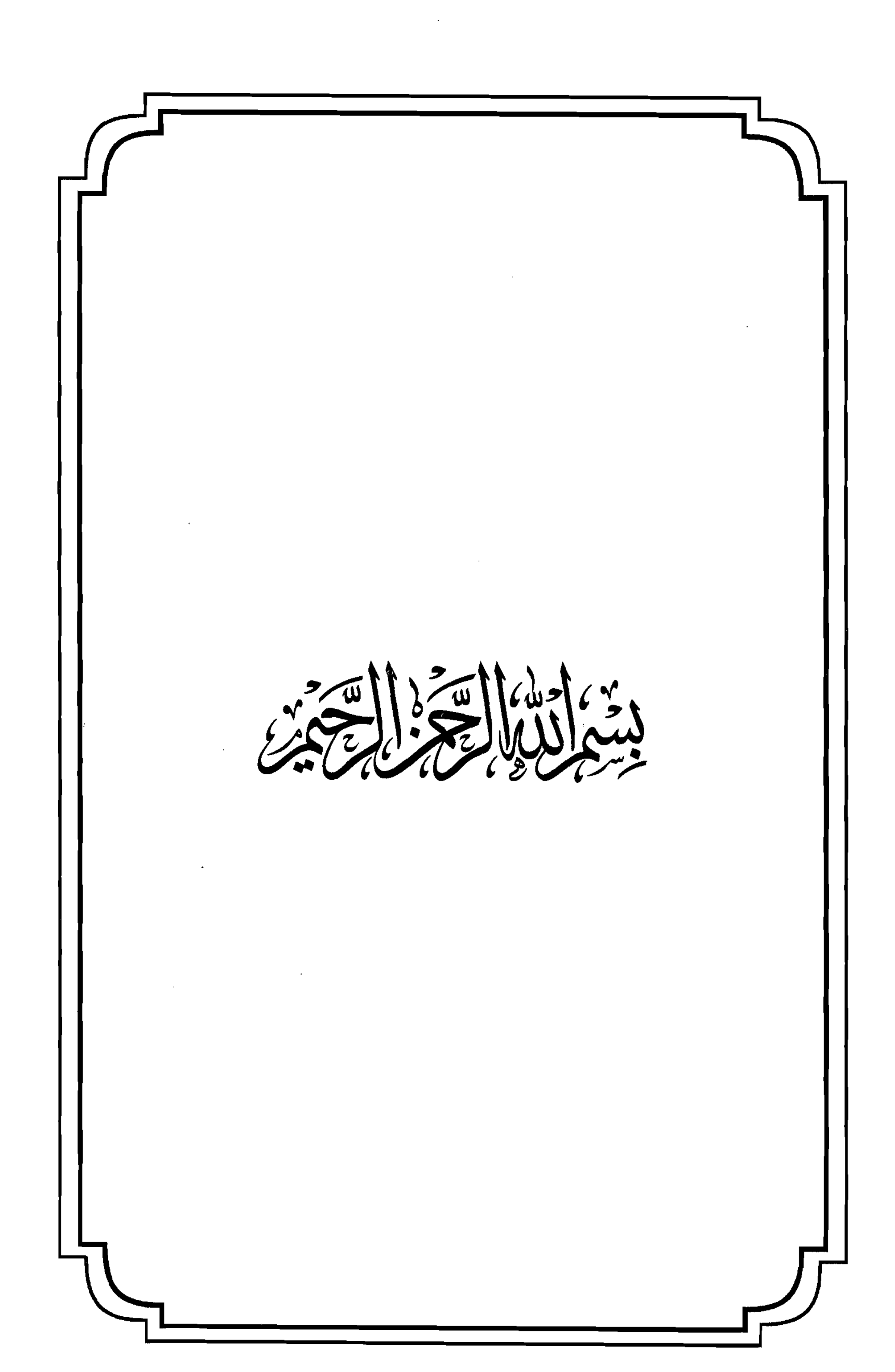
صَدْرِ الدِّيْنِ القُونَوِيّ

وَالطَّارِقِيْنَ طَرْقَه

بَحْثٌ أَعَدَّهُ
أبو الفضل القونوي
محمد بن عبد الله أحمد

تقديم المؤرخ التركي
د. أَحْمَد يَاشَار أُوجَاق

دار الصميعي
للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

المؤرخ التركي د. أحمد ياشار أُوجاق

كانت الفتوحات التي ابتدأت في عهد الخلفاء الأربعة، وتوسَّعتْ زمن الأمويين في جهات الأرض شرقًا وغربًا، قد جَلَبتْ معها إلى المجتمع الإسلامي تغيُّراتٍ وتحوُّلاتٍ سياسيةً واجتماعية واقتصادية، بَيْد أنّ أعظم ما تَبدَّى مِن هذه التغيُّرات والتحوُّلات كان في مجالات العِلم والثقافةِ والفكر، والذي عُبِّر عنه ـ بعدُ ـ في الفكر العالمي بـ(حضارة الإسلام)، لكن أكبر نتاج لتلك التغيرات والتحولات، وأجلَبَها لإثارة الدهشة، حتى جاوزتِ المجالات التي مَرَّ ذِكرها، هو ما انتقَل إلى داخل دائرة الإسلام من ثقافات المجتمعات التي أسْلَمَتْ حديثًا، من حاصلِ تأثيرٍ علميٍّ وفلسفيٍّ ومذاهبي وروحاني.

فكانت تلك التأثيرات من أعظم الحوادث المثيرة للدهشة، والتي كَوَّنَتْ التصوُّفَ، وفتحت صفحةً جديدة ـ بجوانبها السلبية والإيجابية ـ في تاريخ عقيدة الإسلام، وكان انعكاسه مستمرًّا حتى اليوم، فإن أكثر البلدان الإسلامية في عصرنا الحاضر، يَرَوْن أن التصوف إمّا أنه الإسلام نفْسه، وإما أنه الجُزء الذي لا يتجزأ منه، وأنه مِن حيث النظر التاريخي حادثة عَصْفٍ ذهنيٍّ وثقافيٍّ.

ومهما قيل اليوم في كثير من الدول الإسلامية، وادعاء كثير من مؤرخي التصوف فيها، من أن التصوف مشتقٌّ من صميم القرآن الكريم، ومن حياة النبي ﷺ، وبالتالي فلا يمكن أن يُظنَّ أنه شيء منفصل عن الإسلام، فإنه يجب علينا وجوبًا علميًّا تاريخيًّا، الاعتراف بأنه لا يمكن إيضاح التصوف بهذه الطريقة فقط، ذلك أنه من الواقع المسلَّم به أن التأثر قد وقع في العصر الهجري الثالث (الميلادي التاسع) بالأفلاطونية الجديدة (مدرسة الإسكندرية) والغنوصية، من ثقافات التصوف

في مصر وإيران والهند، وهو أمرٌ تاريخي لا يَسْهُل إنكاره. وتظلُّ مسألة ما أضافه التصوفُ إلى عقيدة الإسلام وثقافته مسألة غاية في الأهمية، ومطلبًا كبيرًا في النقاش ينبغي التدقيق فيه، سواء أكان ذلك المضاف مضافًا يُحمَد أو مضافًا يُذَمّ. ومن جرّاء هذه التأثيرات الخارجية عليه، فقد نال التصوف من أوائل علماء الإسلام الغَضْبَة الكبرى، والمُناهَضة الشديدة، واتُّهم مَن ظُنُّوا بأنهم حمَلَة هذه التأثيرات إلى الإسلام، مِن أمثال أبي يزيد البسطامي، والجنيد البغدادي، ومنصور الحلّاج، بالزندقة والإلحاد أو الرفض، حتى قتل الحلاج سنة (٩٢٢م) لأجل ذلك، في بغداد، قتلة مرعبة.

ومع كون مَن مرَّتْ أسماؤهم، وبخاصة الحلاج، هُم أوائل مَن شُوهدتْ فيهم أمارات تلك التأثيرات، يأتي التأثُّر الكبير باديًا على الصوفي الشهير، محيي الدين ابن العربي الأندلسي (ت١٢٤١م)، ذي الشهرة المطْبِقَة على مدى الأزمان، والمنَظِّر لفكرة وحدة الوجود في التصوف، التي لا يمكن الاقتصار على الإسلام وحده في إيضاح تلَقِّيه لها. لم يكن سهلاً في بلاد الإسلام المزْج بين التصوف والعقيدة والفقه، وبالتالي بين العلماء والصوفية، وأن ينال أهل التصوف القَبول من أهل العلم، فقد اقتضى ذلك مرور أزمان طويلة. إذَنْ كيف تطوَّرت مراحل هذا الامتزاج حتى تَمَّ الوئام بينهما؟ هذه ـ أيضًا ـ من المسائل المهمَّة التي يجب بحثها وتحليلها ونقاشها بشكل جادٍّ. وفي المحصَّل تَمَّ الوئام بينهما في القرن العاشر، والحادي عشر الميلادي، وئامًا أنتجَ صياغة تلك العبارة التي تدل على حصول التوافق والتمازج بينهما:

«مَن تصوَّفَ ولم يتفقَّه، فقد تزندق، ومن تفقَّه ولم يتصوف فقد تَفَسَّق»

لقد عاش التصوف، في تاريخه الخاص، أكبر تأثُّرٍ وتحوُّلٍ مع محيي الدين ابن العربي، وكانت الصوفية مِن بعدِه كالمُجْمِعِين على تَلَقِّيه وحدة الوجود وقَبولهم لها، وكان ذلك موقفهم حتى يومنا هذا، وإنْ ظهرتْ، بين آونة وأخرى، في عهد سلاجقة الأنضول والعثمانيين، التياراتُ المناوئة له، لكن يكاد الجميع فيهما يكونون

من أتباع ابن العربي، المقتفين قوله، وأُطلِقَ على هؤلاء (الأكبريّة)، وعاد مَن خالفَه من المذمومين. حتى شَهِدتْ الحياة في القرن السادس عشر والسابع عشر، من العهد العثماني، ظهور مصطلح جالب للانتباه بين تيّارَيْن تصوُّفيَّيْن يميز بينهما .

ولقد تسبب إرساءُ التصوفِ على قاعدة وحدة الوجود، في مجتمعات المسلمين، في بعض الأحيان، نتائج كارِثيَّة ليستْ بحَسَنةٍ بحالٍ، وأدَّتْ إلى تفسيرها تفسيرَ القائلين: إنّ الكُلَّ هو الله (البانثايزم)، مما أسْفَر عن قلاقل في مجتمعاتِ العامة، بل أدّى إلى ظهور حركات دينية لها الزَّيْغُ بأجْمَع. فلأجل ذلك، وبسبب ما أحدثَتْه هذه الحركات الضالة ظهرَ بين العلماء ابنُ تيميَّة، وأمثاله من كبار العلماء، فكتبوا الكتبَ في مناهَضَتِها.

وكانت الأنضول في القرن الثالث عشر (الميلادي) حاضنة لكثير من الصوفيين، ممن جاؤوها من الأندلس، وشمال إفريقية، ومصر، وسورية، والعراق، وما وراء النهر، وخراسان، وفارس، فمن أولئك: محيي الدين ابن العربي، وبهاء الدين ولد، والشهاب السهروردي المقتول، وأوحد الدين الكرماني، وفخر الدين العراقي، ونجم الدين الرازي، وبخاصة المنتسبين إلى مدرسة ابن العربي، كانوا في ذلك العصر أصحاب تأثير قوي، لا على الصوفية فحسب، بل على عامة الناس أيضًا. وكان أحد أولئك الطارئين عليها هو موضوع هذا الكتاب، صدر الدين القونوي. إنّ المؤرخين ـ ولا أقول هذا مِن جانب تأريخ التصوف، بل ومن جانب الحياة العِلمية والأدبية ـ لم يكتبوا بشكل تامٍّ تاريخ المثقفين في العصر الثالث عشر، عصر سلاجقة الأنضول. ولهذا السبب لم تُحَلَّ إشكالات مسائل كثيرة فيها حتى الآن. وحديثة عهدٍ هي الدراسات الصادرة عن الشخصيات المذكورة أسماؤها آنفًا، وغيرها من الصوفية، والعلماء، والشعراء، والأدباء، والموظفين الكبار، ويوم تُستكمل كتابة تلك الدراسات، حينئذ يمكن كتابة تاريخ لذلك العصر.

وكان صدر الدين القونوي، كما هو معروف ابنُ مجد الدين إسحاق، وهي شخصية من شخصيات الحياة الثقافية المهمة في عهد سلاجقة الأنضول، وموظف كبير في الدولة، وصاحب مكانة رفيعة بها، ولقد كان القونوي عالمًا ومتصوفًا، ورَبيبًا لابن العربي، الذي تزوج بأمه، بعد وفاة أبيه، وقد أسهمَتِ الشروح التي صنفها لشرح مؤلفات ابن العربي في جعلها مفهومة من جهة، وكوَّنتْ له ـ أيضًا ـ رأيًا مستقلاً، ومقارَبة مختلفة عن ابن العربي من جهة أخرى، وبهذا فقد ترك تأثيرًا مهمًا في العهد السلجوقي والعثماني.

ومع أنه لم يُكتب الكثير عن حياة هذا الصوفي الذي عاش عيشةَ الرغَد والأُبَّهة، إلا أن الغربيين من مؤرخي التصوف جعلوه بأَخَرَة موضِعَ اهتمامهم، فكانت مقالات الأمريكي الإخصائي في ابن العربي (william C.Chittick) مثالاً على ذلك الاهتمام[1]. وأما في تركيا فمِن أقْدَم ما كُتب عنه مقالة ذات بالٍ (لعثمان أرغين)[2] ويَعْقُبه بالترتيب كتاب إخصائي ابن العربي (نهاد كَكْلِكْ)[3]، ثم كتاب (أحمد شرف جَرَنْ)، ولكن يأتي في مقدمة مَن اشتغل في هذا الموضوع في الأزمان الأخيرة عمل المختص بابن العربي وصدر الدين القونوي (أكرم دَميرلي)، وهو إلى جانب ذلك يعمل على ترجمة كتب لصدر الدين القونوي[4]، وقد نشَر دراسات حول الكلام على شخصيته وترجمته[5]، وكان آخِر ما صدَر من ذلك كتاب (ميكائيل بَيْرَم) المفتقر بقَدْر كبير إلى التنظيم،

(1) "Mysticismevs.Philosophy in Earlier IslamicHistory: The al-Tûsî. al-Qûnawî Correspondence".Religiouse Studies. 17 (1981). p. 87-104; aynı müellif. "Sadr al-Dîn Qûnawî on the Oneness of Being". International Philosophical Quarterly. 21 (1981). p. 171-184; aynı müellif. "Sadr al-Dîn al-Kûnawî". Encyclopaedia of Islam. Second Edition (İng). c.VIII. s.754.

(2) Sadreddîn al-Qunawî ve Eserleri". Şarkıyat Mecmuası. II (1957). s.63-90.

(3) Sadreddin Konevî'nin Felsefesinde Allah. Kâinat ve İnsan. İstanbul 1967.

(4) Sadreddin Konevî. Konya 1995.

(5) Bunların tam bir listesi için bkz. Ekrem Demirli. "Sadreddîn Konevî". DİA. 2008. c. 35. s. 425.

والمنهجية، والطباعة المعاصرة للدراسات[١]، ويمكن إضافة ما نُشر من أوراق بحثيّة في احتفاليّة مِن احتفاليات صدر الدين القونوي التي تُقام في قونية[٢].

وعند بلوغ الكلام على هذا الكتاب، فإنّ مؤلفه الفاضل، زميل المهْنَة، محمد بن عبدالله أحمد (القونوي) قد أعَدَّ بكتابه هذا، الجالِب للتعجُّب بقَدْر كبير، ترجمةً لصدر الدين القونوي وشخصيته بما لم يَقِفْ عندَه واحدٌ ممن سَبقتْ تَسميتُهم، ممن كتبوا عنه الكتب والمقالات، وأظهرَ الكثيرَ مما لا يُعرَف مِن جوانب حياته، أخرجَه إخراجًا مختلفًا وعجيبًا ومفيدًا. ولقد كان هذا الاختلاف المتميّز والعاجب في الكتاب بدءًا من عنوانه، واستمرَّ إلى آخره.

يتكون الكتابُ مِن مدخَل قصير، فيه ذِكْر المصادر الرئيسة والمراجع الحديثة، ومِن قسمين أساسين، القسمُ الأول في ترجمة القونوي، والقسم الآخَر خُصِّص للكلام على فكره التصوفي[٣].

تحدَّث المؤلف في القسم الأول عن العصر الذي عاش فيه القونوي، محيطه، وعن قونية، وعرَّفَ بعائلته، وتعليمه، وشيوخه الذين أخذ عنهم، وشيوخه في التصوف، في سياق لم يتناوله الدارسون السابقون قَبْله، مع إعطائه معلومات عجيبة في ذلك. وكان المؤلف ـ على ذلك ـ يُشير عند إيراده المعلومة إلى المصادر الوثيقة التي استقى منها معلوماته تلك، وبهذا فهو يُسْهِم بمزيد تعرُّفنا على ترجمة الشيخ. وقد يعجبُ القارئ وهو يقرأ تلك المعلومات المعطاة من عَدم ائتلافها مع الصورة الذِّهنية والنَّمَطية التي كوَّنها عن صدر الدين القونوي.

---

(1) Mesela bkz. Sadreddin Konevi, İSAM Yayınları, İstanbul 2008; Sadreddin Konevî'de Bilgi ve Varlık, İz yayıcılık, İstanbul 2005.

(2) Sadru'd_Dîn- Konevî: Hayatı, Çevresi ve Eserleri, Hikmetevi, İstanbul 2012. Sadreddin Konevî Sempozyumu 27 Kasım 2004: Bildiriler, Hazırlayan: Mehmet Birkul, Konya 2005.

(٣) ذكر المقدِّم هنا في نص كلامه بالتركي أني جعلتُ للكتاب ملحقًا فيه صور مخطوطات...، وقد كان ذلك، لكني رأيت ـ بعدُ ـ أن أضمِّنها في مواضعها من الكتاب، وأن أختصر منها.

لكنَّ أعجَب ما في الكتاب كلِّه هو قسمه الثاني، الذي ذكر فيه حياة الشيخ العلمية والتصوفية، وساقَ أفكاره وقام بتحليلها، ونَقل أحوال أتباعه. في هذا القسم من الكتاب يَنْحو المؤلف ـ في رأينا ـ إلى شيء من القَسْوة في الأحكام والتفسيرات والقناعات التي يطرحها، لكنه مع ذلك يَنتهج الواقعية في العَرْض، في أكثر الأحيان، بحيث نراه يحدِّثنا عن القونوي بما لم نكن نعرفه حتى الآن، من جوانب كانت مجهولة من أَمْره. وفي هذا القسم تناول المؤلف ـ أيضاً ـ وصية القونوي بشكل مفصَّل محلِّلاً لها، ومتوصِّلاً إلى نتائج تلفِتُ النظر، ويُقدِّمه لنا شخصية داعيةً من دُعاة وحدة الوجود، لا كشيخه ابن العربي «صوفيًا فيلسوفًا»، بل «فيلسوفًا متصوفًا»، في استدلالاتٍ على ذلك جادَّة. والأهمُّ من ذلك كله أنه يَصِلُ إلى نتيجة أنه فيلسوف أكثر منه صوفيًا. يُقدِّم المؤلف كل ذلك بطريقة في الاستدلال جادة. ويقف المؤلف في هذا القسم على أمر آخر ـ أيضًا ـ وقوفًا حَصْريًّا، ألا وهو ما نشاهده عند كثير من صوفية ذلك العصر من «الشاهديّة»، أعني ما كانوا يُصرُّون على فِعْلِه في حفلات سماعهم الموسيقية، من أن يَحْضُرَها صبيانٌ مُرد. وكانوا يُعلِّلون صنيعهم هذا بأن الله ـ جلَّ جلاله ـ ينعكس تجليه في وجوه أولئك الغلمان. وهذا الطَّوْر منهم متعاظمُ الخطورة، مُفْضٍ إلى التهلكة، وواسع لكل نِقاش.

وأشار المؤلف في القسم الثاني كذلك إلى العلاقة بين القونوي ومولانا جلال الدين، وفَرْق ما بينهما في المشرب، وإمْراره لها من بوتقة التحليل، وكانت نَقَداته الموجَّهة في هذا الكتاب إلى صدر الدين القونوي مَعْبَرًا إلى نقد ابن العربي، ومَن اقتفى طريقه، وكان أجْلَبها إلى الانتباه أنها نقدات في اتجاهِ نقدات ابن تيمية على الوجودية، السالكين مسلك وحدة الوجود.

وكان من الإضافات المهمة من المؤلف، في هذا القسم ـ أيضًا ـ إظهاره أن مَزْعَم ميكائيل بيرم، الذي ادعاه في مقالة متقادِمَة له، وكرَّره بإصرارٍ في كتابه عن ترجمة القونوي، الذي مضى الكلام عليه آنفًا، مِن أن القونوي إنما كتب الرسائل إلى (أوْرَن الأخي)، فأظهر المؤلف أن ذلك لا أساس له. وأنها جَرَت بين القونوي وبين نصير

الدين الطوسي، والحالُ أن (william C.Chittick) قبل اثنتين وثلاثين سنة، وفي مقالته التي سبقتِ الإشارة إليها في الحاشية الأولى، قد بيَّنَ ذلك بشكل واضح، فيكون المؤلف هنا قد أكَّد ذلك مرة أخرى، وبأدلة جديدة.

وبخلاصة من الرأي يُقال: إنه إذا ما تُرِكَتْ بعض تعبيرات المؤلف وقناعاته القاسية، التي لا يُشارَك عليها، فإنه يُمكِن القول بخالص الارتياح: إنّ زميل المهنة الكريم، محمد ابن عبد الله أحمد (القونوي)، بكتابه هذا، قد أضاف إضافة مهمة تجعلنا نتعرَّفُ صدر الدين القونوي بشكل أتَمَّ، وبصورة أَصَحَّ.

أحمد ياشار أوجاق
جامعة حاجت تَپَه، كلية الآداب
قسم التاريخ، أنقرة - تركيا

TAKDİM

İlk dört halife (Hulafâ-i Râşidîn) döneminde başlayıp Emevîler döneminde genişleyerek doğu batı istikametinde yayılan fetihler, İslam toplumu içinde siyasî, ictimaî, iktisadî alanlarda bir değişim ve dönüşümü de beraberinde getirdi. Fakat bu değişim ve dönüşümün İslam toplumu içindeki en büyük sonucu kültür, ilim ve düşünce alanında tezahür etti; "İslam Medeniyeti" denilen evrensel bir medeniyet ortaya çıkardı. Ama bu değişim ve dönüşümün belki en çarpıcı sonucu, yukarıda saydığımız alanların ötesinde, İslam dairesine sonradan dâhil olan yeni Müslüman toplumların kültürlerinin İslam kültürü içinde hasıl ettikleri ilmî, felsefî, mezhebî ve mistik tesirlerdir.

Söz konusu tesirler, İslam medeniyetinin ortaya koyduğu belki en çarpıcı hadiselerinden biri olan "tasavvuf"u oluşturarak İslam inanç tarihinde -olumlu ve olumsuz yanlarıyla- yepyeni bir sayfa açtı. Bu, sonuçları bugüne kadar yansıyan, halihazırda İslam dünyasının büyük bir bölümünün artık ya "İslam'ın bizatihi kendisi" veya "onun ayrılmaz bir parçası" kabul ettiği, tarihsel bakımdan müthiş bir zihniyet ve kültür hadisesiydi.

Her ne kadar bugün pek çok İslam ülkesinde pek çok tasavvuf tarihçisi tarafından tasavvufun bizzat Kur'an-ı Kerîm'den ve Hz. Muhammed'in (sav) hayatından kaynaklandığı, dolayısıyla İslam'dan ayrı düşünülemeyeceği ileri sürülse de, ilmen ve tarihsel olarak tasavvufun yalnızca bu tarzda açıklanamayacağı kabul edilmek zorundadır, Çünkü Hicrî 3. (Miladî 9.) asırda Mısır, İran ve Hint mistik kültürlerinden, Yeni Eflatunculuk'tan (İskendriyye Mektebi) ve Gnostisizm'den etkilendiği kolayca inkâr edilemeyecek tarihî bir vâkıadır. İslam tarihindeki bu çok önemli tarihsel vâkıanın İslam inanç ve kültür tarihi bakımından İslam'a menfi veya müspet katkıları hâlâ ciddi bir mes'eledir ve dikkatle tartışılmalıdır. Tasavvufa tesir eden bu haricî tesirler sebebiyledir ki, tasavvuf ilk zamanlarında İslam ulemasının şiddetli tepkileriyle karşılaşmış, bu tesirleri taşıdıkları düşünülen Ebu Yezîd el-Bistamî, Cüneyd el-Bağdadî ve el-Hallac gibi sûfiler *zendeka ve ilhad* yahut *rafz* ile ittiham edilmiş, meselâ el-Hallac 922 tarihinde Bağdat'ta korkunç bir şekilde katledilmiştir.

Ebu Yezîd el-Bistamî, Cüneyd el-Bağdadî ve asıl el-Hallac'da ilk emâreleri görülmekle beraber, özellikle bütün zamanların en ünlü sûfîsi Endülüslü Muhyiddin b. El-Arabî (ö. 1241) ile sistemli hale gelen Vahdet-i Vücut telakkisinin yalnız İslam'la izah edilecek yanı yoktur. İslam ülkelerinde tasavvufun akâid ve fıkıh ile dolayısıyla sûfilerin ulema ile imtizac edebilmesi, onlar tarafından kabul görmesi kolay olmamış,

bunun için uzun bir zamanın geçmesi gerekmiştir. Bu uzlaşma süreci nasıl gelişmiştir? Bu da çok önemli bir mes'eledir ve ciddi bir şekilde tahlil edilmesi, tartışılması mutlaka şarttır. Sonuçta 10. ve 11. yüzyıllarda iki taraf arasında bir uzlaşma hasıl olmuş ve bu uzlaşma o zamanlar şu iki cümle ile âdeta formüle edilmiştir:

Men tasavvefe ve lem-yetefekkah fe-kad-tezendeka

Men tefekkaha ve lem-yetesavvef fe-kad- tefesseka

Tasavvuf kendi tarihi boyunca belki en büyük ve en etkili değişimi Muyiddin b. El-Arabî ile yaşamış, ondan sonra, neredeyse bütün tasavvuf dünyası onun Vahdet-i Vücut telakkisini büyük ölçüde kabullenmiştir. Bu durum günümüze kadar böylece devam edip gelmiştir ki Anadolu Selçukluları ve Osmanlılar, zaman zaman karşı akımlar olsa da, neredeyse hemen tamamıyla Muhyiddin el-Arabîci olmuşlar, *Ekberiyye* denilen tasavvuf yolunu benimsemişler, onu tenkit edenleri veya karşı çıkanları hoş karşılamamışlardır. Nitekim 16. ve 17. asırlarda Osmanlı tasavvuf hayatında bu iki görüşü aksettiren çok ilginç, dikkate değer bir litratür oluşmuştur.

Tasavvufun bu şekilde Vahdet-i Vücutçu bir zemine oturması, bazı durumlarda İslam toplumlarında hiç de iyi bir sonuç vermemiş, bir kısım sûfî çevrelerde panteist yorumlara yol açarak halk arasında ciddi karışıklıklara, hatta bazı "sapkın" dinî hareketlerin gelişmesine vesile olmuştur. Bu sebeple İslam toplumları içinde benzeri hareketlerin sebep olduğu inanç bozulmalarına İbnTeymiyye (ö. 1328) gibi bazı büyük İslam uleması yazdıkları eserlerle karşı çıkmışlar ve mücadele etmişlerdir.

13. asırda Selçuklu Anadolu'su Endülüs'ten, Kuzey Afrika'dan, Mısır, Suriye ve Irak'tan, Mâverâünnehr, Horasan ve İran'dan Muhyiddin b. el-Arabî, Bahaüddîn Veled, Şihabeddîn-i Sühreverdî-i Maktûl, Evhadeddîn-i Kirmanî, Fahreddîn-i Irakî ve Necmeddîn-i Râzî gibi birçok sûfiyi barındırdı. Özellikle İbnü'l-Arabî'nin mektebine mensup bu sûfiler bu devirde yalnızca sûfi çevrelerde değil, halk arasında da epeyce güçlü bir tesir meydana getirdiler. Bunlardan biri de bu kitabın konusu olan Sadreddîn-i Konevî (ö. 1274) idi. Tarihçiler sade tasavvuf açısından değil, ilmî ve edebî hayatı bakımından da çok önemli olan 13. asır Selçuklu Anadolu'sunun entelektüel tarihini henüz tam olarak açıklığa kavuşturamamışlardır. Bu yüzden pek çok mesele henüz çözülmemiştir. Yukarıda isimleri zikredilen ve edilmeyen bir takım sûfiler, âlimler, şâir ve edipler, bürokratlar hakkında araştırmalar daha yeni yeni ortaya çıkmaya başlamıştır. Ancak bu araştırmaların tamamlanmasından sonra böyle bir tarih yazılabilir.

Sadreddîn-i Konevî, bilindiği gibi Selçuklu Anadolu'su entelektüel hayatının önemli şahsiyetlerinden biri olup, aynı zamanda yüksek bürokratik bir mevki sahibi ve hem âlim, hem sûfi olan Mecdüddîn İshak'ın (ö.) oğludur. Onun ölümlünden sonra annesiyle evlenen Muhyiddin b. el-Arabî'nin de evlatlığıdır. Onun yazdığı eserler

üzerine kaleme aldığı şerhlerle bir yandan onu anlaşılır bir hale getirirken, diğer yandan da ondan ayrı bir tavrı da geliştirmiş, böylece Selçuklu ve Osmanlı döneminde önemli bir tesir icra etmiştir.

Zengin ve gösterişli bir hayat yaşayan bu sûfi hakkında bugüne kadar çok fazla şey yazılmamış olmakla beraber, günümüz Batı tasavvuf tarihçiliği ona ilgi duymaya başlamıştır ki Amerikalı İbn Arabî uzmanı William C. Chittick'in makaleleri bu ilginin bir örneğidir[1]. Türkiye'de de bazı araştırmalar yayımlanmış olup, en eskilerinden biri Osman Ergin'in önemli bir makalesidir[2]. Onu sırayla önemli bir İbn Arabî uzmanı olan Nihat Keklik'in[3] ve Ahmet Şeref Ceren'in kitabı takip eder[4]. Fakat bu konuda asıl çalışmaları, son zamanlarda önemli bir İbn Arabî ve Sadreddin Konevî uzmanı olan Ekrem Demirli gerçekleştirmiştir. Demirli bir yandan Konevî'nin eserlerini Türkçe'ye tercüme ederken[5], diğer yandan onun hakkında monografik araştırmalar yayımlamıştır[6]. Son olarak Mikâil Bayram'ın hayli sistemsiz ve hem kaynaklar, hem de modern literatür bakımından da oldukça eksik kitabını[7]ve Sadreddin Konevî üzerine Konya'da yapılan bir sempozyumun bildirilerini zikredelim[8].

Eldeki bu kitaba gelince, yazarı değerli meslektaşımız Muhammed b. Abdillah Ahmed el-Kûnevî bu çok ilginç eseriyle Sadreddîn-i Konevî'nin hayatının ve şahsiyetinin, dipnotlarda zikrettiğimiz eser ve makalelerde üzerinde durulmayan ve pek bilinmeyen yanlarını ortaya çıkarmak suretiyle değişik, ilginç ve yararlı bir biyografi hazırlamıştır. Daha kitabın adından başlayan bu ilginçlik, kitabın bütünü boyunca devam etmektedir.

Kitap, çalışmanın temel aldığı kaynakları ve modern araştırmaların kısaca tanıtıldığı kısa bir "Giriş" ile iki ana kısımdan ve bir "ekler" kısmından oluşmaktadır. Birinci kısım tamamıyla Konevî'nin terceme-i haline, ikinci kısım ise ilmî ve tasavvufî düşünce sistemine tahsis edilmiştir. Kitabın sonundaki "ekler" bölümünde ise Konevî'nin, eserlerinin yazma nüshalarından ve mektuplarından örnek tıpkıbasımlar yer almaktadır.

Müellif birinci kısımda Konevî'nin yaşadığı dönemi, yetiştiği muhiti, Konya'yı, ailesini tanıtmakta, eğitim hayatını, ders aldığı hocalarını ve tasavvufta şeyhlerini

---

[1]"Mysticismevs.Philosophy in Earlier IslamicHistory: The al-Tûsî, al-Qûnawî Correspondence", *Religiouse Studies*, 17 (1981), p. 87-104; aynı müellif, "Sadr al-Dîn Qûnawî on the Oneness of Being", *International Philosophical Quarterly*, 21 (1981), p. 171-184; aynı müellif, "Sadr al-Dîn al-Kûnawî", *Encyclopaedia of Islam*, Second Edition (İng), c.VIII, s.754.

[2]Sadreddîn al-Qunawî ve Eserleri", *Şarkıyat Mecmuası*, II (1957), s.63-90.

[3]*Sadreddin Konevî'nin Felsefesinde Allah, Kâinat ve İnsan*, İstanbul 1967.

[4]*Sadreddin Konevî*, Konya 1995.

[5]Bunların tam bir listesi için bkz. Ekrem Demirli, "Sadreddîn Konevî", *DİA*, 2008, c. 35, s. 425.

[6] Mesela bkz. *Sadreddin Konevi*, İSAM Yayınları, İstanbul 2008; *Sadreddin Konevî'de Bilgi ve Varlık*, İz yayıcılık, İstanbul 2005.

[7]*Sadru'd_Dîn- Konevî: Hayatı, Çevresi ve Eserleri*, Hikmetevi, İstanbul 2012.

[8]*Sadreddin Konevî Sempozyumu 27 Kasım 2004: Bildiriler*, Hazırlayan: Mehmet Birkul, Konya 2005.

daha önceki araştırmalarda pek bahis konusu edilmeyen ilgi çekici bilgiler eşliğinde anlatmaktadır. Müellif verdiği bilgileri, referans aldığı sağlam kaynaklara dayandırıyor. Böylece şeyhin terceme-i halini daha iyi anlamamızı sağlıyor. Okuyucu bu kısımda verilen bilgileri okuduğunda bazen kafasındaki Sadreddin-i Konevî imajıyla uyuşmadığını görerek şaşırabilir.

Kitabın asıl daha ilginç olan kısmı, şeyhin ilmî ve tasavvufî hayatı ve fikirlerinin anlatılıp tahlil edildiği, ayrıca onun daha sonraki takipçilerinin durumlarının zikredildiği ikinci kısımdır. Bu kısımda müellif, kanaatimizce bazen sert bir takım yargılar ve yorumlar, kanaatler ortaya koymakla beraber, çoğu zaman da gerçekçi bir tavır sergileyebilmekte, Konevî'yi bugüne kadar pek bilmediğimiz yanlarıyla anlatabilmektedir. Burada müellif onun vasiyetnamesinin de detaylı bir analizini yapıyor, dikkat çekici sonuçlara varıyor. Bir Vahdet-i Vücutçu olarak şeyhi İbnü'l-Arabî gibi "sûfi bir ehl-i hikmet" olmak yerine, "ehl-i hikmet bir sûfi" olarak ciddi delillerle takdim ediyor. Daha da önemlisi, onun bir sûfi olmaktan çok bir feylesof olduğu neticesine varıyor. Müellif bu konudaki dikkate değer görüşlerini ciddi tahliller eşliğinde ileri sürmektedir.

Bu kısımda müellifin münhasıran üstünde durduğu bir diğer konu da, özellikle dönemin çoğu sûfilerinde rastladığımız "şahidbazlık, şahidîlik", yani yaptıkları sema seanslarında genç, sakalsız oğlan çocuklarını aralarına almaktaki ısrarlarıdır. Onlara göre Allah (c.c.)'ın tecellisi bu çocukların yüzüne aksetmektedir. Böyle bir tavrın ne kadar tehlikeli ve tartışmaya açık olduğu meydandadır.

Müellif ikinci kısımda Konevî ile Mevlana Celaleddin arasındaki ilişkileri de tahlile tabi tutmakta, aralarındaki meşrep farklılığına parmak basmaktadır. Onun bu kitapta Sadreddin-i Konevî üzerinden İbnü'l-Arabî'ye ve onun yolundan gidenlere yöneltiği en dikkate değer eleştiri, İbn Teymiyye'nin eleştirileri istikametinde Vücûdilik denilen Vahdet-i Vücut mesleğine yaptığı eleştirilerdir.

Müellifin bu kısımda yaptığı bir diğer önemli katkı, Mikâil Bayram'ın daha önce bir makalesinde, sonra da Konevî'ye tahsis ettiği yukarıda zikredilen monografisinde ısrarla tekrarladığı Konevî'nin Ahî Evren ile mektuplaşma iddiasının temelsiz olduğunu göstermesidir. Bu mektuplaşma aslında Konevî ile Ahî Evren arasında değil Nasîreddin-i Tûsî arasında vuku bulmuş olup, aslında daha bundan otuz iki sene evvel, William Chittick'in yukarıda 1 nolu dipnotta zikredilen makalesinde gayet açık bir biçimde gösterilmişti. Müellif bunu başka delillerle bir kere daha teyid etmiş bulunmaktadır.

Kısaca söylemek gerekirse, yorum ve kanaatlerindeki bazı sert tavırlara katılmamakla beraber, değerli meslektaşımız Muhammed b. Abdillah Ahmed el-Kûnevî'nin bu çok

önemli bir katkı yaptığını rahatlıkla söyleyebilirim.

Ahmet Yaşar Ocak
Hacettepe Üniversitesi, Edebiyat Fakültesi
Tarih Bölümü, Ankara/Türkiye

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمدُ للَّه ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلام على الرَّسول الكريم، سيِّدِ ولَدِ آدمَ، الرحمةِ المهْداة، نَبيِّنا مُحَمَّد ﷺ، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم، أمّا بعدُ:

فهذه أخبارُ رجُلٍ يُلَقَّبُ بـ(صَدْر) الدِّين وهو للدِّين (دبْرٌ)، قد أَلْبسَه «العَقْلُ الصُّوفيُّ» ثيابَ الأولياءِ - ولا غَرْوَ بَعْدَ إلباسِه مثْلَها لفرعونَ ذي الأوتاد[1] - فهو عندهم - أعني الملقَّبَ بصدر الدين - مِنْ عُرَفاء الصوفية وصُدُورِهم، وأمَّا عند مَنْ وَقَفَ «بعِلْمِيَّة» مجَرَّدةٍ مُنْصِفة، على بعض ما كتَبه، وأتْبَعَ ذلكَ قراءةَ ترجمَتِه في المصادر الأُولى، وعرف شيوخه وتلاميذه، وخَبَرَ ما نَقَلَهُ الرُّواةُ الصوفيةُ وغيرُهم عنه وعن أمثاله ممن لفُّوا لِفَّه وطرَقوا من خَبال الفِكْر والعملِ طرْقَه[2]، وكان على عِلْم بدين الإسلام، الذي أرسَلَ اللَّه تعالى به خاتمَ رُسلِهِ محمَّدًا ﷺ فإنَّه لا يَستحِلُّ أنْ يَصِفَه إلا بالـ(عارف بالفلسفة) أو (الفيلسوف المترَوْحِن)، تلك الفلسفة التي تُنكِر وُجودَ الرَّبِّ الخالق، تعالى وتقدَّس. فهي

---

(١) جواهر النصوص في حَلِّ كلمات الفصوص، لعبد الغني النابلسي (ص ٢٧٨، ٢٧٩)، حيث تراه هناك قد (شرَح) فريَة ابن عربي على اللَّه تعالى وكتابه، حين زعم شيخ الصوفية الأكبر ابنُ عربي أن اللَّه تعالى قبَضَ روح فرعون طاهرًا مطهَّرًا، ليس فيه شيء من الخبث. فـ(شَرَحها) النابلسي بإعطائه رُتبة شهيد البَحْر!

(٢) لكَ أن تقرأ أوَّل كلمة (طرْقه) بالفتح والضم والكسر، فلهم مِن معانيها قسط وافر.

ترجمة تصحيحيَّة وتحذيرية.

وقد خُدِعَ كثيرٌ من الناس بهذا الفيلسوف، حين قرؤوا في ترجمته أنه كان يروي الحديثَ النبويَّ الشريفَ ويُسْمِعُه، واغْترَّ آخَرون بتعبيراته الصوفية في مصنفاته، وغفلوا أنَّ أعداءَ «النَّقْل الصحيح» و«العَقْل الصريح»، مِن فلاسفةِ تلك العهود الإسلامية، إنما كانوا يعيشون في مجتمعٍ مُسْلِمٍ، يُلَقَّنُ أهلُه علومَ الشريعةِ في الكُتَّاب وفي المساجد وفي المدارس، فهم - وأعني هؤلاء الفلاسفة - أبناءُ بيئتهم الثقافية بالاضطرار، لا مندوحةَ لهم مِنْ أن يَصْطَبِغُوا بصِبْغَتها، فهُمْ ليسوا من أبناء الذِّمِّيين، بل وإنْ كانوا من أبنائهم، فما كان دُخولهم المُعْلَنُ في الإسلام على كِبَر، ثم إنَّ منهمُ النَّسِيبُ والحَسيب - واللَّه أعلم بصحة ذلك - وكثيرٌ مِن أعلامهم أَخَذَ العِلْمَ الشَّرْعيَّ من علماء عصره[1]، وربما صنَّفُوا كتبًا مَدُّوا نسبتها إلى معرفة لُباب الكتاب والسُّنة، كُلُّ أولئك مِن مُقتضياتِ عيشهم في بلادٍ أكثر أهلِها المسلمون، ولا عجب - أيضًا - فتلك «نَفْسيَّاتُ» مَن جَمَعوا إلى كَوْنهم أقليَّةً حَذِرة محترزة تخالف معتقد الأكثرية، أنهم كانوا أعلمَ مِن أوائلهم الأقدمين الذين كانوا ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ [المنافقون: ٤]، فما بُدٌّ مِن هذه الحال، ومن هذه الصِّبْغة والشاكلة فيهم.

ومن أخصِّ ما جاء به فلاسفةُ الإنكار أنهم أنكروا أمور الغَيْب بتعطيلِ معانيها، بَدْءًا مِنْ وُجودِ ربٍّ للعالم، حقيقةً كُبرى، خارجَ الذِّهن، فأنكروا أنه - جلَّ وعزَّ - فوقَ مخلوقاته، في العلوِّ المطلَق، بائنًا عنهم، ثم جعلوا وجودَه - سبحانه - كوجود النُّقطة في الهندسة فرضيَّة في الأذهان تُسْكَبُ على القراطيس، ولا شيء وراء ذلك، أو يجعلونه الوجودَ الموجود في الكون كلِّه، ومن مقولاتهم المفظعة: ليس هو فوق ولا تحت، ولا هو خارج مخلوقاته ولا داخلها، حتى قال كبيرهم: سبحان مَن أظهرَ الخلائق وهو

---

(١) قرأ العفيف التلمساني وابنُه الشاعر على الإمام النووي سنة ٦٧٠هـ!

عينُها! ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

وقد نالت بعض هؤلاء الفلاسفة من ملوك المسلمين عقوبات وإعدامات بعد محاكمات، كالحلّاج المقتول بسيف الشرع سنة ٣٠٩هـ، والسُّهْرَوَرْدِي المقتول سنة ٥٨٧هـ بأمر صلاح الدين الأيُّوبي(ت٥٨٩هـ)، وقد أحدَثَتْ هذه الواقعةُ، وأمثالها، رُعبًا في قلوب فلاسفة الصوفية، فكانوا يَتواصَوْن «الكَتْمَ»، وعَدَمَ التصريح بـ«أسرار» المذهب (وما هذه الأسرار إلا: فلسفة الوجودية)، إلا أن يكون ذلك في مكان وزمان مناسِبَيْن، وأنْ يَستَوْثِقُوا من الشخص المفضَى إليه بـ(الأسرار)، ويتدرَّجوا بالبَوْح له بها لإحكام إرشاده! (أعني: إغواءه)، في تَثَبُّتٍ باطنيٍّ عجيب![1]، وإنَّ مِنْ تَثَبُّتِهم في تَخيُّرِ «المكانِ» ما فعلَه كبيرٌ من كبرائهم، هو أستاذُ هذه الشخصية المتفلسفة، التي أتَرْجِمُ لها (ابنَ عربي الطائي) حين اختارَ بلادَ الأنَضول موضعًا لإقامتِه سنواتٍ عدَّة، وكانت أرضًا يَلُوذُ بها متفلْسِفُو «المسْلِمين» عُصورًا توالتْ، إذْ لا سلطانَ قويًّا لأنصار الشريعة بها، «فباضُوا» الفلسفة هناك، «وفرَّخُوها»، ونالوا المكانةَ والجاهَ، والثراءَ ورَغَدَ العَيْش، كعِيشةِ فيلسوفنا، «صَدْر الدِّين» هذا. ويبدو أن هذا الضعف المذكور لأهل الشريعة فيها، كان دون الحدِّ الذي يتطلَّع إليه صديقه قطب الدين ابن سبعين (ت٦٦٩هـ)، فلذلك رامَ الذهابَ إلى بلاد الهند - وهو في مكَّة - معلِّلاً بأن الهنادِك يَعبدون كل شيء![2]، وذلك قد يعني أنه كان يتطلَّعُ - كالعفيف التلمساني (ت٦٩٠هـ)- إلى تفعيل الفكرة دون خوف!

---

(١) انظر - مثلاً - كتاب: الضوء اللامع (٣/ ٢٤٤)، القول المنْبي عن ترجمة ابن العربي، كلاهما للسخاوي (٢/ ١٦٥)، و مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١/ ٣٦٣).

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٢/ ٤٧٨).

□ مَبْلَغُ خطورة فكر الصَّدْر القُونوي!

أراد هذا الفيلسوف أنْ «يُعَقْلِنَ» ما لا يُعْقَل (وحدة الوجود) بل ما لا يكون خارجَ الذِّهن بحالٍ، وإنَّ في افتراض كَوْنه خارجَه، وتحقيق العمل بمقتضياته لَعبادةٌ للهَوى بَعْدَ خرابٍ ماحِقٍ للعقولِ والعقائدِ والأخلاق!

وإنَّ نظرةً سريعة لبعض فهارس أسماء الأعلام للمطبوع من كتب شيخ الإسلام ابن تيميَّة تُظهر لك أهمية ما أولاه أبو العباس لقضية الردِّ على دعاة فكرة الوجود الواحد، والحلول، من المنظِّرين لها بالتعاقل، أو المزَخْرِفين إفْكَها بخُلَّب النثر وحُلو الشِّعر، فذَكَرهم بأسمائهم، وحَطَّمَها أفكارًا وأسماء ضالة ومضلَّة، حتى أبان للذكي والغبي عُوارها، وقد نالَ الصدرَ القونوي، من أولئك الفلاسفة، النصيب الوافي من تلك الردود، فقد جاء ذِكر اسمه في (مجموع الفتاوى) ثماني عشرة مرَّةً، وفي (درْء التعارض) خمس مرات، وفي (بُغْية المرتاد)، و(منهاج السُّنة) مرَّتان، وفي(الجواب الصحيح)، و(الرد على الشاذلي)، و(الصَّفَدية)، و(بيان تلبيس الجهمية)، وغيرها، مرَّةً مرّةً.

□ المؤلفات السابقة في ترجمة القونوي:

كتَب بعض الأتراك عنه دراسات أجودها متضَعْضِع، ومقالات أحسنها فَسْل، وما أرى بينها ما يستحق التنويه به إلا دراسة واحدة ذكرتُها في مصادري، وأمّا كِتابٌ مؤلَّفٌ باللسان العربي في ترجمته، فما وقفتُ على شيء من ذلك، وكيف يكون، ومَن تكلَّم عليه في المصادر قليل؟ وكيف يتهيَّأ ذلك ومَن أوردَه من أصحاب الطبقات أقلُّ القليل؟ وهي على قِلَّتها لا تزيدُ مع الاسم واللقب والنُّعوتِ عن سَطْر وسطرين! فلذلك نجد أنَّ مَن نشر كتابًا له،

وتكلَّم على ترجمته، فجديدُه مع الحشْو والتَّزَيُّدِ الأخطاءُ وما لم يكُن![1].

□ **المصادر الرئيسة المعتمَدة في هذا الكتاب:**

١- كتاب (مناقب العارفين) للكاتب المولوي، شمس الدين، أحمد الأفلاكي (ت٧٦١هـ)، المتضمِّن كتابَ (السِّبَهْسالار) وتعني القائد، واسمُه فريدون، كاتبُ رسالة في مناقب الجلال (كان حيًّا سنة **٦٧٢هـ**)، وهما، وأعني الأفلاكي والسبهسالار، وإنْ كَتَبا ما كتباه لإعلاء شخصية الجلال الرومي وخلفائه المولوية، إلا أنهما عَرَضا في سياق ذلك لبعض أخبار معاصريه وبَلَدِيِّيه، ومنهم القونوي.

٢- مناقب أوحد الدين الكِرماني، لمحمد العلائي، وهو ابن شمس الدين عمر التِّفْلِيسي، وهو واحدٌ من خلفاء الأوحد الكرماني الذين سكنوا مدينة (سيواس) في شرق الأنَضول[2].

٣- مؤلَّفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ)، -رحمه اللَّه تعالى-.

٤-تفاح الأرواح ومفتاح الأرباح، لمحمد بن علي السَّرّاج الدمشقي(ت٧٤٧هـ)، صاحب «النصيحة الذهبية» لابن تيمية.

٥-وصية الصدر القونوي، وبعض كُتُبه (مخطوطة ومطبوعة).

٦-تاريخ قونية، لإبراهيم حقي القونوي، باللسان التركي .

٧-كتاب الدكتور ميكائيل بَيْرَم الذي سمَّاه:

---

(١) وأمّا عبد القادر أحمد عطا، محقق (إعجاز البيان) للقونوي، فلم يترجم لمؤلف الكتاب الذي حققه (!) بكلمة ولا بحرف، ولعله لم يفعل ذلك اعتمادًا على قُوَى الكَشْف وعطايا الإلهام عند قرائه!

(٢) على ما توصَّل إليه المؤرخ الدكتور ميكائيل بَيْرَم، مِن كون المذكور، مؤلف كتاب مناقب الكرماني. انظر مقدمته على الكتاب (ص٩٩-١٠١).

صدر الدين القونوي، حياته، ومحيطه، ومؤلفاته:
(Sadrud-din-i Konevî , Hayatı, Çevresi ve Eserleri)
ومصادر أخرى، تُذْكَر في الحواشي.

وبعدُ:

فقد رُويَ أنَّ حُذيفة بن اليمان رضي الله عنه سئل: أيُّ الفتنة أشدُّ؟ قال: أنْ يُعْرَضَ عليك الخير والشرُّ؛ لا تدري أيهما تَتبع!»[1]، وكذا هي الحال في الشخصيات، والافتتان بها، قِسْ على ذلك وتَنَبَّه!

والخيرَ أردتُ - لك أيها القارئ - مِن إظهار شَرِّ هذه الشخصية وأمثالها، لِتكون على بيِّنةٍ منهم حين تَسمع بأسمائهم التي لا يزال يُلَمِّعُها كل جاهل بهم، أو طارق طرْقَهم، هذا ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥]، والحمد لله رب العالمين.

وكتب
أبوالفضل القونوي
محمد بن عبد الله أحمد

المدينة النبوية ١٩/ ١/ ١٤٣٤هـ

---

(١) المصنف لابن أبي شيبة (برقم ٧٠٦٩).

القسم الأول
ترجمة صدر الدين القُونوي

(عصره، اسمه، مولده، محتده، مكانة والده، زواج أمِّه مِن ابن عربي، رحلاته، أبناؤه، أشياخه، مؤلفاته، أبرز تلاميذه، ثروته، وصيَّته، وفاته)

□ عَصْرُه:

يُمْكِن وصْفُ العَصْر الذي عاش فيه الصَّدْرُ القُونَوِيُّ بعصر الأهوال والسَّنوات النَّحِسات، وجُملة القول في ذلك: إنه قد عاصرَ بَدْء انْحِدار سَيْلِ جيوش المغُول المدمِّرة مِن بلادهم، نحوَ خراسان في سنة ٦١٧هـ، ويُعْلَم مِن قُيود بعض المصادر المخطوطة أنه لم يكن في الأنَضول حين هزَمَ المغْلُ الغُزاةُ جموعَ عساكر السلاجقةِ فيها، في واقعة (كَوسا داغ) سنة ٦٤١هـ، التي كان من نتائجها الاستيلاء على أكثر بلاد الأنَضول[1]، وما يُظنُّ أنَّه كانت له عودةٌ إليها إلا في عَقابيل سَحْق ثورة الزعيم التركماني الشيخ «بابا إسحاق»، وأتباعه من التُّركمان (البابائية)[2] على السلاجقة، وكذلك إلا بعد تَشْتِيتِ عصابات (الخُوارزمية) والخلاص من عَيْثِهم في مدن الشام وقرى الأنَضول[3]. لكنه كان في قونية حين سقطتْ بغداد هارون الرشيد، (ووقف على بعض تفاصيل مذبحتها الكبرى مِن شهود عيان، كما يُفهم من كلامه)، وبَقِي - فيما يُعْلَم - في الأنَضول، وهي «مستعمَرة مغوليَّة»، يؤسِّس فيها للفِكْر الوجودي الصوفي، وكان خلال تلك الأعوام التي قضاها في الأنَضول على خُبْر

(١) تكلَّم على هذا المعركة الأمير ركن الدين بيبرس (ت٧٢٥هـ) في كتابه: (زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة) (ص ٢٠-٢٢)، وانظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (١٤/ ٣٤٦). و(كوسا داغ) كلمة تركية تعني: الجبل الأقرع.

(٢) طائفة متصوفة من قبائل التركمان، كان جهْلُهم بدين الإسلام كبيرًا، ومن عجب أنه لم تصدُر دراسة عربية - ما عَلِمتُ - عن تاريخهم حتَّى الآن، مع أن شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة ذكر زعيمها «البابا» في بعض كتبه - أوْرَده بين مدَّعِي النبوَّة - وكذا الذهبي في تاريخه الكبير، وابن الجزَري في تاريخه، فيما اختاره الذهبي منه، وشنَّعَ عليه المؤرخُ النصراني - عميلُ المغول - ابنُ العِبْري في كتابه: تاريخ مختصر الدُّوَل (ص ٢٢٠)، وأوسع مَن دَرَس تاريخهم المؤرخُ التركي المحقق أحمد ياشار أوجاق، في كتابه الشهير (ثورة البابائيين) باللغة التركية.

(٣) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، لابن فضل اللّه العُمَري (٢٧/ ٣١٧، ٣٢٤-٣٢٥).

بالأوضاع السياسية، يُرى ذلك في بعض رسائله إلى شخصيات مؤثرة من رجال السُّلطة في قونية، ويُفْهَم - أيضًا - من عبارة له في وصيَّته - سيأتيك نَصُّها - أنه قد بَلغتْه أخبار القوَّة الإسلامية الجديدة، أعني المماليك في مصر، تلك القوة التي أوقفتْ اندفاعَ الغُزاة المشركين، من المُغْل، إلى مصرَ، فشمال إفريقية، في معركة (عين جالوت) سنة ٦٥٨هـ، ومع هذا آثر البقاء في قونية - ولعله أُجْبر - مع وَصاتِه مريديه بالمهاجرة إلى الشام.

□ اسمُه:

أمّا اسمه فهو: مُحَمَّدُ بنُ إسحاق بن مُحَمَّد بن يوسفَ بن عليٍّ، صدرالدين، أبو المَعالي.

□ مولِدُه:

وأمَّا مولده، فيمكن القطع بسَنَة ولادته بالاعتماد على قَيْدٍ بخطِّ القونوي وصَل إلى أيامنا، مع نَصٍّ في كتاب كريم الدين الأقسرائي (كان حيًّا سنة ٧٢٣هـ) فيه التصريح: أنها كانت سنة ٦٠٥هـ، في مَلَطْية[1]، (تقع إلى الجنوب من جمهورية تركيا)، فهو المَلَطيُّ مولدًا، وأمَّا (القُونَوِيُّ)، فلِسُكْنى أبيه مدينة قونية مُدَّةً، ثمَّ قراره هو بها بَعْدَ انقضاء شَطْرٍ مِن عُمُره خارجها، وقيل له - أحيانًا - في بعض المصادر: «الرُّوميُّ»، وذلك وصْفٌ عتيق يُطلق على كل مَنْ سكن (بلاد الرُّوم)، وهي ما يُعرف اليوم جغرافيًّا بالأنَضول.

□ مَحْتِدُه:

وأمّا محتِدُه فمِنْ عرب الأندلس[2]، فإنَّ الناظر إلى سماعات ما تملَّكه

---

(١) مسامرة الأخبار، للكريم الأقسرائي (ص٩٢)، وهو بالفارسية، وترجم للتركية.

(٢) لعلي أول مَن كَشَف عن هذه المعلومة حتى قبل المؤرخ الدكتور ميكائيل بيرم الذي كان السبب في ذلك، ولذلك قصة أُوجِز سَرْدها، وهي أنني في مرَّةٍ مِن مِرار لقاءاتي مع د. ميكائيل، في=

الصدر القونوي من الكتب، يرى اسمه مع اسم مَن عَرَفْنا أندلسيَّته، وهو: برهان الدين إسماعيل بن محمد بن يوسف الأنصاري (الأُبَّذِيُّ)، (أُبَّذَة مدينة أندلسية)[١]، فهو عمُّه لا جَرَم، أخو والده مجد الدين إسحاق[٢]. ويُقرأ اسم هذا العمِّ على كتابين مخطوطين لشيخهم ابن عربي، اسمُ الأول (تاج الرسائل ومنهاج الوسائل) أُرِّخ في (٢٤ من ذي القعدة عام ٦٠٠ هـ)، عليه تصديق ابن عربي وسماع لرجُلين، أحدهما كتب اسمه هكذا: «إسماعيل بن محمد الروميّ»، وسماع للكتاب نفسه بتاريخ (١٠ شعبان سنة ٦١٣هـ)، في منزل ابن عربي بملاطية، وكتب اسمه هناك: «إسماعيل بن محمد بن يوسف الأنصاري»، ويُرَى اسمه - أيضًا - على مخطوطة كتاب (روح القُدْس في مناصحة النَّفْس)، لابن عربي، مؤرَّخ بسنة ٦١٥هـ، في ملطية، ثُمَّ يُرى هذا العمُّ حاضرًا مع ابن أخيه الصَّدْر القونوي في مجالس سماعٍ حديثيَّة، في وقت

= قونية، قبل عدة أعوام، إمّا في مكتبة (يوسف أغا) أو في المكتبة المركزية للمخطوطات أو في بيته، وكان كثيرًا ما يقرأ لي من كراسة سميكة قد بدى الإهتراء عليها لقِدمها معلومات تاريخية أخبرني أنها حصيلة تنقيبه أعوامًا في مخطوطات قونية التي ابتدأها في الأصل لحصر الفارسي منها، وأنه خلال ذلك قيَّد من عربيِّها ما كان نادرًا، فكان أن طلبتُ إليه أن يصور لي نسخة منها مما كان بالعربية، ففعل مشكورًا، وكان من ذلك قيود سماعات القونوي وشيوخه، فقرأتُ في واحدة منها كلمة «عَمِّي إسماعيل...»، فلما لقيته بَعْدُ سألته أولاً: هل للصدر القونوي عمٌّ؟ فقال: لا يُعرف له عمٌّ. فلما أريته النص بخطه في الكراسة توقف ولم يرجع بشيء. حتى طبَع كتابه الأخير عنه، وقبِل أن له عمًّا وأنهم من الأندلس!

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار، لمحمد بن عبد المنعم الحميري (ص٦)، قلت: وأما جواب سؤال يَرِدُ معترضًا، بالقول: لماذا لا تُرى هذه النسبة «الأبَّذية» في سياق اسم الصدر القونوي وأبيه؟ فقويُّ الاحتمال أنه - أو أباه مجد الدين- تعمَّد ترْكها في أول مَقدمه الأنضول، حين تقرَّب إلى السلاجقة، فأحبَّ ألا يُجْبَه بسؤال الملأ من أهل تلك الديار، متعجبين من تلفظهم بها: (أُبَّذ) وأين تقع (أبَّذ)؟!

(٢) يبدو أن التقي الفاسي هو المصدر العربي الأول الذي ذَكر لقب والده (مجد الدين). انظر: ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد (١/ ١٦٦).

واحد. ويبدو مما ذكره د. عثمان يحيى (محقق كتاب: الفتوحات المكيَّة، لابن عربي) أنَّ لصدر الدين أخًا أكبرَ، اسمه (محمود)، فقد وجَدَ اسمه بين أسماء مَن سمع على ابن عربي كتاب: (روح القدْس) في بغداد سنة ٦٠١هـ.

إذن فوالده وعمُّه أُبَّذِيَّان أندلسيان، ويُقوِّي كونهم من مهاجِرة بلاد المغرب شواهد فوق ما تقدَّم منها عبارة رأيتها في كتاب المؤرخ الأقسرائي (مسامرة الأخبار) قال فيها وكلامه على الصدر القونوي: «... وكان أبوه مجد الدين إسحاق من أقرباء صاحب المعارف الإلهية محيي الدين محمد بن العربي الطائي الأندلسي»[١]، وكذلك مما يُفهم من كلام سبط ابن عربي، مؤيد الدين الجَندي (ت٦٩٩هـ)، في كتابه (نفحة الروح وتحفة الفتوح) من سياقة حكاية «كراماتية» أوردها عن خاتم الأولياء (ابن عربي بزعمه)، وهي لا تعنينا، ولكني أشير إليها للعِبرة بها، وهي أن ابن عربي كان قد اختلى خلوة لتسعة أشهر، في مدينة إشبيلية، من أوَّل المحرَّم إلى عيد الفطر، وأنه كان يصلي كل صلاة في خلوته مقتديًا بالإمام الذي يؤمّ الناس عند الكعبة[٢]، ترتفع جميع الحُجُب والموانع بين إشبيلية ومكة، فيَرى الإمامَ هنالك، يسمع قراءته، ويُشاهد ركوعه وسجوده وتشهده وتسليمه، ويقتدي به، وأنه عند خروجه من المغرب اتجه إلى البلد الذي فيه منزل الشيخ مجد الدّين إسحاق...[٣]، وفي هذا احتمالُ خروجهما من الأندلس معًا، ولا يُعرف تاريخ نُزوحِهم، لكنه كان قبل الستمئة للهجرة قطعًا، وذلك بالنظر إلى معرفتنا بتنقُّلاتِ ابن عربي، ويبدو أن أسرة القونوي وأسرة عمه، في مثيلاتٍ لهما مِنَ الأُسَر الأندلسية، قد أحسُّوا في

---

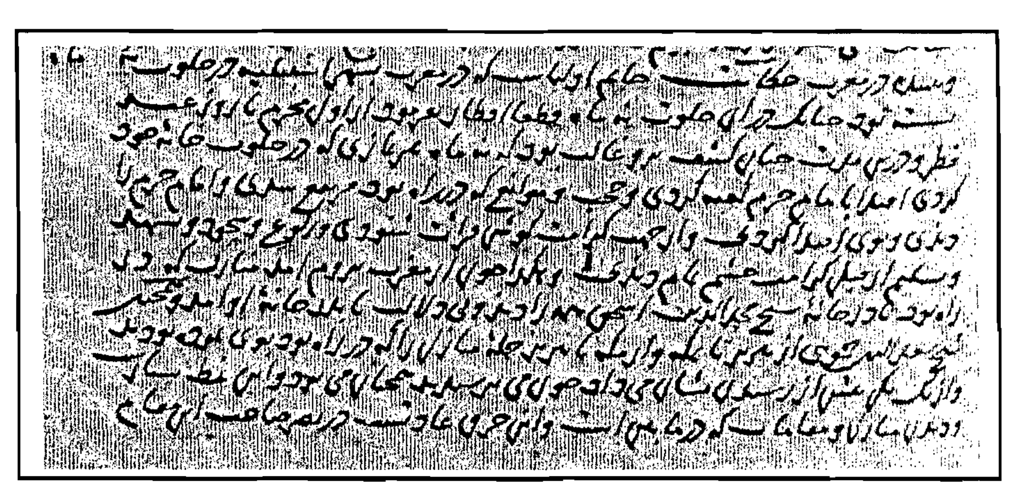
(١) والحق أن مترجم الكتاب من لسانه الفارسي إلى التركي لأول مرة (م. نوري كَنْج عثمان) ترجمها بكلمة (مِن أصدقائه)، وترجمَتْها الدكتورة (مُورْسَل أوزْتُرك) كما رأيتَ. انظر الترجمة الأولى من كتاب (مسامرة الأخبار)، للأقسرائي في (ص ١٧٦)، والترجمة الأخرى في (ص٦٨).

(٢) نسي البائس فارق التوقيت بين مكة والأندلس!

(٣) نفحة الروح وتحفة الفتوح، مؤيد الدين الجندي (الورقة ١٢٣).

أنفسهم الخوف مما ستأتي به الأيام وما تَراءَوْه من عواقب الحوادث المستَعِرة في بلاد الأندلس، التي كان من أكبرها معركة الزلّاقة سنة ٥٩١هـ، فعزموا على ترك ديارهم، ثم يَمَّمُوا وجهتهم إلى بلاد الشرق، وقد صدق حَدْس تلك الأَسَر الأُبَّذِيَّة - أو بعضها - فإن الفرنجة بعد هزيمتهم في معركة العُقاب مالتْ إلى مدينتهم (الأبَّذَة) فأوقعوا بأهلها قتلًا وأسْرًا[1].

ومِن أمارات الصداقة الأندلسية بين المَجْد إسحاق وابن عربي، المكاتبةُ بينهما بعْدَ افتراقِهما مدَّة من الزمان، بعد وصولهما إلى المشرق، فقد تخيَّر ابنُ عربي مما كتب من الرسائل إلى المَجْد إسحاق ما قيَّده في كتابه (محاضرة الأبرار) حيث أشار إلى ذلك بقوله: «. . . وكتبتُ إلى صاحبٍ لي ببلادِ الرُّوم، اسمُه إسحاقُ بنُ مُحَمَّدٍ، مِن أصحاب السلطان، ممَّن تخدُمه الدولة، وتظهر به السُّنَّة. . . »، ثُمَّ ذكَر أبياتًا مِن نَظْمِه يَعِظُه بها أن يَقْرَب السلاطين، ولعله إنما أراد أن يُذكِّره بمكانه، فلا ينساه![2].



من كتاب مؤيد الدين الجَندي (نفحة الروح وتحفة الفتوح)
نسخة بورصا (جلبي قاسم) برقم ١١٨٣

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار، لمحمد بن عبد المنعم الحميري (ص٦).
(٢) محاضرة الأبرار، لابن عربي (١/ ٢٨٨).

□ (قُونية) دارُ السَّلْطَنة السَّلْجُوقيَّة:

قُونيةُ «بالضَمِّ ثمَّ السُّكون، ونونٍ مكسورة، وياء مُثَنَّاة مِنْ تحت خفيفة»[١] مدينةٌ مِن مُدُن وسَط بلاد الأنَضول (جمهورية تركية الآن)، لها في المصادر ذِكْرٌ قديم، فقد أوْرَد خَليفةُ بن خَيَّاط (ت٢٤٠هـ) في تاريخه أنَّ المسلمين غَزَوْها في سنة ٦١هـ[٢]، وافتتحَها مروانُ بن محمَّد سنة ١٠٥هـ[٣] . وصَفَها الإمام البدر العَينِيُّ (ت٨٥٥هـ) وَصْفَ مُعايِنٍ في تاريخه (تاريخ البَدْر)، في الجزء الأوَّل منه، إذْ زارها سنة ٨٢٣هـ رسولاً من قبل المماليك إلى بني قَرَمان، فقال: «قُونية مدينةٌ مشهورة، لها جَبَل في جَنُوبيِّها، يَنزِل منه نَهرٌ، ويَدْخُل إليها مِن غربيِّها، ولها بَساتين مِن جهة الجَبل[٤]، يَقرُب مِنْ ثلاثة فراسخ، وبقَلْعَتِها تُرْبة أفلاطونَ الحكيم، و[فيها] دارٌ للسَّلْطَنة، وإن نهرَها يَسْقِي بساتينها، ثُمَّ يصير عنه بُحَيْرَة ومُرُوجًا، والجبال دائرةٌ بِها مِنْ كلِّ جانب، ويَبْتَعد عنها من جهة الشمال، والفواكهُ بها كثيرةٌ، وهناك المشْمش المعروف بقَمَر الدِّين!»[٥] .

وذكر د. ميكائيل بيرم أن كثيرًا من مهاجرة الأندلس والمغرب الذين كانوا يَؤُمُّون الأنضول كانوا يتقصَّدون سُكنى ملطية وقونية، وأنه كان فيما تقادم من تاريخ قونية محلة للمغاربة فيها، وعيَّن مسجدًا صغيرًا لا يزال قائما يُصَلَّى فيه إلى اليوم، في شارع الظَّفَر - أشهر شارع في قونية - قال إنه مسجد المغاربة

---

(١) معجم البلدان، لياقوت الحموي (٤/ ٤١٥)، وكتاب كشف القناع المرنى، للعيني(ص = ١١٢). وأفادَ هناك أنها تُلفظ: كونية - أيضًا- وكذلك يَتَلَفَّظُ بها الأتراكُ اليومَ.

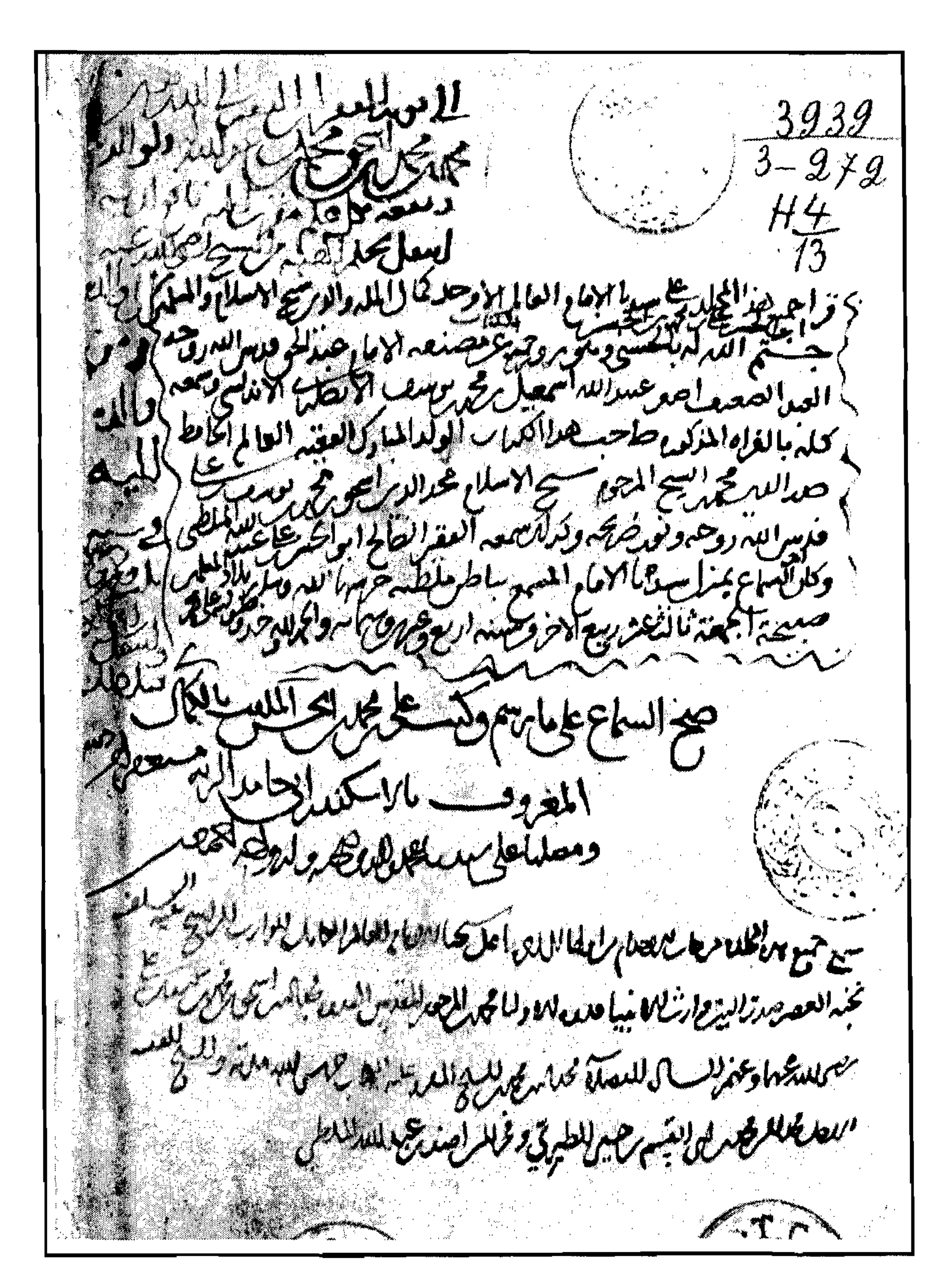
(٢) تاريخ خليفة بن خياط (١/ ٢٣٥).

(٣) تاريخ الإسلام، للذهبي(٣/ ٧٣٢).

(٤) تُعْرف هذه البساتين عند أهل قونية باسم (مَرام).

(٥) تاريخ البدر في أوصاف أهل العصر، للعيني، مخطوطة، الجزء الأول، (الورقة ٦٢، ٦٣).

لتلك المحلَّة [١].



سماع له مع عمّه إسماعيل بن محمد، الكمال الإسكندراني، وتحته سماع لتلاميذ القونوي عليه

---

(١) صدر الدين القونوي، حياته، محيطه، ومؤلفاته، لميكائيل بيرم (ص ٣٣).

«قرأ جميع هذا المجلَّد على سيِّدنا الإمام العالم الأوحد، كمالِ المِلَّة والدين، شيخِ الإسلام والمسلمين، أبي الحسن علي بن محمد بن الحسن، وهو روى جميعَ الكتابِ عن مصنِّفِه: الإمامِ عبد الحقِّ - قدَّسَ اللهُ روحَه - العبدُ الضعيفُ، أحقَرُ عَبيدِ اللَّه، إسماعيلُ بن محمد بن يوسف، الأنصاريُّ الأندلسيُّ، وسمِعَه كلَّه بالقراءة المذكورةِ، صاحبُ الكتابِ، الولدُ المباركُ، الفقيهُ العالمُ الحافظُ، صدرُ الدين محمد، ابنُ الشيخِ المرحومِ، مجْدِ الدين، إسحاقَ بنِ محمد بن يوسف بن علي، قدَّس اللهُ روحه، ونوَّر ضَريحه، وكذلك سمعه الفقيرُ الصالح، أبو الحسن عليُّ بن عبد اللَّه المَلَطِيُّ، وكان السماعُ بمنزل سيدنا الإمام المُسْمِعِ، بباطن مَلَطْيةَ - حرسَها اللهُ وسائر بلاد المسلمين - صَبيحةَ الجمعة، ثالثَ عشر ربيع الآخر، من سنة أربعٍ وعشرين وستِّمئة، والحمدُ للَّه وحدَه، وصلى اللَّه على محمد.

صحَّ السماعُ على ما رُسِم، وكَتب: عليُّ بنُ محمد بن الحسن، الملقَّبُ بالكمال، المعروفُ بالإسكندراني، حامدًا لربِّه مستغفرًا لذَنْبِه ومصَلِّيًا على سيِّدنا محمد وآله وصحبِه وأزواجه أجمعين».

* وقفَ هذا الكتابَ الشيخُ الإمامُ العالم الراسخُ، صدرُ الدين، أبو المعالي، محمد بن إسحاق بن محمد - رضي اللَّه عنه، وعن سَلَفِه - على الدار الكُتُب[1] المنشأة عند قبْره، لينتفِع به سائر المسلمين وشرَط ألّا يُخرَج منها إلا برِهْنٍ وَثِيقٍ، ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ﴾ [البقرة: ١٨١]»[2].

---

(١) كذا.

(٢) سَمَاعات مخطوطةِ كتاب (الأحكام الكبرى) للحافظ عبد الحق الإشبيلي (ت٥٨١هـ)، التي كان يمْلِكها القُونويُّ، ومصوَّرتُها في مكتبة (يوسف أغا) في قونية، برقم: (٥٠٦٠-٥٠٦٢-٥٠٥٩).

□ مكانةُ والدِه:

كان السلطان السلجوقي ركن الدين بن قليج أرسلان (ت ٦٠٠هـ) على مذهب الفلاسفة، منسوبًا إلى فساد العقيدة، آويًا لمن يُرمَى بمذهبهم، محسنًا إليهم، وكذا كان أبوه السلطان قَبْلَه[١]. وغير مستغرَب أن يُنَشَّأ السلاطين مِن بَعْدِه على ما كان عليه آباؤهم، فالظاهرُ المفهوم أنَّ والد القونوي - مجد الدين إسحاق - كان من المائلين إلى الفلسفة - أيضًا - فاستطاع بهذه الوَشيجة أن يتوصَّل إلى بلاط السلطان السلجوقي، فوثق به - ومن دهاء الملوك اعتمادهم على الغرباء - فاتَّخذَه معلِّمًا لأولاده في قونية، وجعله في منزلة وزير، وكان على ذلك أحد شيوخ أهل الفُتوَّة[٢].

ويُفهَم من المصادر أن تلك الصداقة المنعقدة بين المَجْد إسحاق، وشيخ الوجودية الأكبرِ ابن عربي، توثَّقتْ في الأيام التي كانا فيها بدمشقَ أو بمَكَّةَ، في سنوات ما بين سنة ٥٩٨، وسنة ٦٠١ من الهجرة، وكان غِياث الدين كَيْخُسرَوْ الأوَّل (ت ٦٠٧هـ) قد اعتَلَى - في غُضون تلكَ الأعوام - عرشَ سلاجقةِ الرُّوم مرَّةً أخرى، فكان أنْ أرسَلَ إلى شيخِه المَجْدِ إسحاق- وكان في دمشق - يَسْتَحِثُّه على الرجوع إلى الأنَضول.

عاد المَجْدُ إسحاق إلى قونية، بلاطِ تلميذِه السلطان، فكان أن أجْمَعَ السلطانُ أمْرَه على إرسال رسولٍ إلى الخليفة العباسي، الناصر لدين اللَّه (ت٦٢٢هـ) في بغدادَ، وتخيَّرَ لهذه السِّفارة المَجْدَ إسحاق، فارتحلَ إليها، ولقيَ الخليفةَ، وتَحمَّلَ منه «سَراويلات الفُتُوَّة» إلى السلطان السلجوقي[٣].

---

(١) الكامل في التاريخ (١٢/ ١٩٦)، والتاريخ الباهر، كلاهما، لابن الأثير (ص١٦٠).

(٢) تنظيمٌ صوفي يُمْكن وصفه بالحَرَكيِّ، وكانوا أرباب صناعة في الأنَضول، وقد دعم نهضتَها وترأَّسها الخليفةُ العباسي الناصر لدين اللَّه، خدمة لسياساته البائسة.

(٣) الأوامر العَليَّة في الأمور العلائية، لابن بي بي، الترجمة التركية (١/ ١٧٥-١٧٨).

ثُمَّ إنَّه ارتحلَ في سنة ٦٠١هـ، قاصدًا مَكَّة للحجِّ، والتقى هناك صديقَه، محيي الدين ابن عربي، فعَزَم عليه، وعلى مَشْيَخةٍ من الصوفية كانوا في مَكَّة، بينهم أوحد الدين الكِرْماني - وستأتي ترجمتُه- أنْ يُرافقوه إلى الأنَضول، فَرَضُوا، فلمَّا جاؤوها أكرَمهم سلطانُها .

ويُعلَم مِن تصريحٍ لابن عربي نفْسِه في بعض رسائله[١] أنه كان في مدينة (قونية) في شهر صفر مِن سنة ٦٠٢هـ، هو وصديقُه الأوْحَد الكرماني، ويبدو أن ابن عربي تقرَّب بواسطة المَجْد إسحاق إلى السلطان السلجوقي قُرْبًا كان من شواهدِ ترَسُّخِه أنْ كَتَبَ إليه السلطانُ- فيما بَعْدُ- وكَتَب هُوَ إلى السلطان[٢]. وبَعْدَ مُكْثٍ لهما - أعني المجد وابن عربي - في قونية ارتحلا إلى ملطية قبْلَ التاسع من ربيع الأوَّل سنة ٦٠٢هـ[٣]، ويُفْهَم بقاءُ ابن عربي فيها إلى ما بعد سنة ٦١٢هـ[٤]، وسنة ٦١٣هـ، ويُشْبِهُ أنه لم يغادر الأنَضول حتى السنةِ التي ماتَ صديقُه المَجْد إسحاق فيها[٥]، وهي سنة ٦١٨هـ، وبخاصة أنه كان قد وُلِد له في رمضان من السَّنة نفْسها ابنُه مُحَمَّد بن محمد، سعد الدين، الشاعر المتَوَفَّى في دمشق سنة ٦٥٦هـ[٦].

هذه الصَّداقات المريبة مِن «متصوِّفٍ» كابن عربي، ألا تُؤكِّد على الأقل «دُنْيَوِيَّتَه» المتجذِّرةَ في أعماقه، المتَسَرِّبَةَ منها إلى الخارج بهذه «المظاهِر»، التي عَبَّرَ عنها مصدَرٌ مخالف له، بقوله: «... ثُمَّ انتقلَ إلى الرُّوم، وحصَلَ له

(١) الأمر المحكم المربوط، لابن عربي، مخطوطة عارف حكمت، (الورقة ٧).

(٢) محاضرة الأبرار، لابن عربي (٢/ ٤٢٠، ٤٥٤).

(٣) يفهم ذلك من تصريح ابن عربي في آخر رسالة له بعنوان (حلية الأبدال) مخطوطة = (يوسف أغا) بقونية، وانظر كتاب: (الطريقة الأوحدية)، لميكائيل بَيْرَم ص ٣٤.

(٤) محاضرة الأبرار، لابن عربي (٢/ ٤٢٠، ٤٥٤).

(٥) نفحات الأنس، للملا الجامي (ص٦٢١-٦٣٤).

(٦) تاريخ الإسلام، للذهبي (١٤/ ٨٤٤).

بها قَبول وأموالٌ جَزيلة!»؟[١]. فإذا كان هذا مآل ثراء الضَّيف، فكيف كانت حال ثروة المضِيف؟!

وفي نسخة من كتاب (نهاية المجتهد وكفاية المقتصد) لابن رشد (ت٥٩٥هـ)، كتب الصدر القونوي عليها ما يلي: «انتقلت هذه المجلدة وسائر الكتاب مِن مالكه المولى السعيد، سعد الدين، محمد ابن سيدنا وشيخنا الإمام الراسخ، الفرد الأحد، محيي الدين، أبو عبد اللَّه، محمد بن علي بن العربي الطائي، رضي الله عنه، إلى العبد الضعيف كاتب هذه الأحرف: محمد بن إسحاق بن محمد، خادم الشيخ رضي الله عنه وذلك على سبيل الهِبَة. تقبَّل اللَّه ذلك منه، وكان ذلك في شهر ذي الحجة سنة إحدى وأربعين وستمئة، والحمد لله»[٢]، ويُعلم من هذا أن علاقته مع ابن زوج أمِّه هذا كانت جيدة إلى حدٍّ أنْ يُهديه كتابًا نفيسًا لابن رشد، فيه ذكرى تلمذة والده عليه! ولا يذهبْ ذهنك إلى كتب اليوم في أثمانها، فتستخفّ بالواهِب وما وَهَب، فإنَّ صناعة نسخة من كتابٍ ما، قبل عصر الطباعة قد تكلِّف في الثمَن طبع مئات منه في أيامنا.

□ أمُّ القُونَوِي عند ابن عربيٍّ:

حكى «قاضي الأطراف»[٣]، محمد بن السَّرَّاج الدمشقيُّ الرفاعي خبرَ هذا النكاح[٤]، وضَمَّنه بعضَ «غرائب المعلومات»، فقال في كتابه (تُفَّاح

---

(١) القول المنبي في ترجمة ابن عربي، للسخاوي، (٢/ ١٦٧).

(٢) من كتاب (صدر الدين القونوي. . .) للدكتور ميكائيل (ص٦١).

(٣) ظنَّه الدكتور ميكائيل بيرم - وأنا مَن نبَّهته وغيره إلى أهمية كتاب «التشويق» مصدرًا في تراجم الصوفية - واليًا على تلك القلاع مع منصب القضاء، وهذا وهْم صِرف، كتبتُ به إليه بعد نشره مقالة عنه في مجلة تركية، وحدثته به بعدُ، فكان أن كرر ذلك في كتابه عن الصدر القونوي(ص٤٣)!

(٤) ويعدُّ كتاب ابن السراج، وكتاب (مناقب أوحد الدين الكرماني) من المصادر الأولى التي ذُكر فيها زواج ابن عربي بأمِّ القُونَوِي. وفي كتاب (مجموعة التواريخ المولوية ص ١٣٠) لمؤلِّفه المسمَّى «صحيح أحمد دَدَه» (ت ١١٥٥هـ) أن اسم أم الصدر القونوي: (جوهر خاتون).

الأرواح): «المنقول الخامس والمئتَيْن: أنَّ الشيخَ صَدْرَ الدِّينِ القُونَوِي -رحمةُ اللَّه عليه- المشهورَ الفضيلةِ، أرسَلَه أبوه - وكان وزيرًا أو نظيرًا لوزيرٍ بـ(قونيا)[١] - ولم نَقُلْ: «أوْ نَظِيرًا لِوَزير» إلا خشيةَ مَنْ يُنْكِرُ لِغَرَضٍ - إلى خدمةِ الشيخِ محيي الدين بن عربي، إلى دمشق - حرسها اللَّه تعالى - ليتوَلَّى تَربِيَتَه، وأَدَبَه، وتَسْلِيكَه[٢].

وصارَ يُتحِفُه بالهدايا والخَيرات مدَّة سنتَيْن[٣]، فعَزَم يومًا على زيارة والدَيْه وأهله بـ(قونيا)، فقال الشيخ: اصبرْ حتَّى نُحصِّل لك هديةً، فقال: يا سيِّدي أنتَ فقيرٌ، وكلُّ ما وَصَل أذهبناهُ مع أمثاله، في مرضاة اللَّه تعالى، فقال: لا بُدَّ.

ثُمَّ بعْدَ أيامٍ جاء به إلى مكانٍ بدمشق، فرأى فيه أضعافَ ما وصَل إليه في تلك المدَّة، فحارَ عقلُه، ثُمَّ خرج ليُوَدِّعه مِن منزلةٍ إلى منزلةٍ، وكلَّما ردَّه يقول: ما يكفي إلى أن وصَلَا إلى قونيا[٤]، فخرج صاحبُها ومعه والدُ صدر الدين، وخَلْقٌ كثيرٌ للقائهما، فلمَّا مرُّوا على باب والد صدر الدين قال: يا جماعة كلُّ ما في داري للشيخ محيي الدين، سوى أمِّ صدر الدين![٥]

فقال الشيخُ: الصوفيُّ لا يَستثني في هذا المحَلِّ، واللَّه ما آخُذُ إلا الكُلَّ! ومَضَى، ونَزَل في الجامع، وتوجَّه الوزيرُ مع الملك إلى داره ورجَعَ، فوقع وانكسَرَتْ رِجْلُه، فمات، ومَرَّ على الشيخ محيي الدين، صبيٌّ يَبيعُ لحمًا في طَبْلِيَّة على رأسه، فقال الشيخ: امضوا بهذا إلى الحمَّام، ثُمَّ ألبسوه هذه

---

(١) كذا كُتِبتْ في المخطوطة، والمشهور: (قونية).

(٢) انظر: مسامرة الأخبار، لكريم الدين محمد الأقسرائي (ص ٦٨) الترجمة التركية.

(٣) في المخطوطة (سنين)، وما أثبتُّه أشبه بالصواب.

(٤) ما بين المدينتَيْن قريبٌ من ألف كيلومتر، فلولا أنه أراد أن يسافر هو - أيضًا - إلى قونية، أكان هذا تصرُّفه؟!

(٥) لا يُدرى لعلها كانت في مثل أوصاف «النظام» الفتاة المكيَّة ابنة الشيخ مكين الدين الأصفهاني ثم المكيِّ، التي كتب لأجْلِها كتابه (ترجمان الأشواق)!

الخُلعة، ففعلوا، ثُمَّ ولَّاهُ الملكَ، وحَلَّفَ له الحاضرين!

فقال الناس: الملِك حيٌّ فكيف يفعل ذلك؟ فجاء الخبر أن الملك كان يأكل رُمَّانة، فوقعتْ في حَلْقِه حَبَّة، فقتلته، فقالوا: سَلَّمْنا، مات الملِكُ، فكيف يَتَولَّى مكانه صبيٌّ أجِيرُ لحَّامٍ؟! فقال الشيخ: أحضِروا أمَّ الملِك، فقال: هل كان لكِ ولدٌ، وَفُقِدَ؟

قالت: نعَمْ، وكان عُمُره ثلاث سنين، وله اثنا عشر سنة في الأسْر. فقال: ألكِ فيه علامةٌ؟ فقالت: نَعَمْ، شِبْهُ الزَّيتُونة في فَخِذِه، مِنْ حين وُلِدَ، ثُمَّ نظرَتْ فوجدَتْه كما قالت، فقالت: واللَّه، ولديَ المفقودُ! الحمدُ للَّه الذي جمَعَ شَمْلِيَ بولدِيَ، وأَخَذَ مكان أهلِه، واستَقلَّ في المُلْك.

وبعدَ انقضاء عِدَّةِ أمِّ صدرِ الدين، تزوَّجَها الشيخُ محيي الدين، وكان ذلك من الأعاجيب الهائلة عند أهله، وبيْنَنا وبَيْنَه في ذلك عَدْلان»![1].

□ رحلاته:

يمكن القول إنه بدأها وهو لم يَخرج من حدِّ الطفولة بَعْدُ، حين أوْدَعه أبوه عند صاحبه ابن عربي يرافقه حيث حلَّ وارتحلَ، وكان عُمُر الصَّدْرِ القُونَوِي حين مات والدُه أربعةَ عشرَ عامًا تقريبًا[2]، وقد غادر ملطية إلى دمشقَ بَعْدَ سنة ٦٢٤هـ، كما يُفهَم من قَيْد سَماع له.

ولمَّا كانت مدينة قونية وملطية لا تُعرفان في المصادر أنهما كانتا يومًا بين (الأمصار ذوات الآثار)[3]، كان لزامًا على الصدر القُونَوِي أن يشدَّ رحاله إلى

---

(١) تفاح الأرواح ومفتاح الأرباح، لابن السراج الدمشقي، (المنقول ٢٠٥).

(٢) ما ينبغي للقارئ أن يعجب من إرسال مجد الدين إسحاق، ولده صدر الدين، وهو في مَيعة الصِّبا، إلى رفقة ابن عربي، فإن مخيلة صوفية ذلك العصر كانت تريهم مشايخَ الصوفية (أغَواتًا)، أو هُمْ ملائكِيُّو مُيول النفوس عندهم!

(٣) اسم كتاب للحافظ الذهبي في ذكر المدن التي اشتهرت في وقت من الأوقات بتوافر علم الكتاب والسنة بها.

مُدُن رئيسة في ذلك طلبًا للإجازات الحديثية من علماء عهده ومُسْنِديهم، وشوقًا إلى لقاء أشياخ الحلولية والاتحادية كابن الفارض(ت٦٣٢هـ)، (ونسخته من ديوان ابن الفارض باقية حتى اليوم في مكتبة يوسف أغا في قونية، برقم ٧٨٤٨)، فكانت له رحلة إلى القاهرة سنة ٦٣٠هـ[١]، كما جاء ذلك في تقريظ كتبه القونويُّ على شرح تلميذه الفرغانيِّ المسمَّى(منتهى المدارك)، وعرَّفنا سماعٌ كَتَبه تلميذه الآخَر القطب الشيرازي، أنه كان في القاهرة - أيضًا - «في بعض سنة ثلاث وأربعين، وبعض سنة أربع وأربعين وستمائة»[٢]، وإذا علمنا أنَّ قطب الدين ابن سبعين وصل إلى مصر في سنة ٦٤٨هـ[٣]، فذلك يعني أن للقونوي رحلات إليها، فيحتمل أن الزيارة التي نقل ابن تيميَّة (ت٧٢٨هـ) خبر قيام القونويّ بها، وأنه قد جاء في رسالة إلى مصرَ، فاجتمعَ بابن سبعين لما قَدِم من المغرب، هي هذه التي كانت في توقيت مقدَم ابن سبعين، الذي يبدو أنه جاءها عن طريق البحر، فقد ورد في مصدر آخَر أنه استقبَل بعض من جاؤوا ليرَوْه في ظاهر الإسكندرية[٤]، ويردُ أن الصدر كان بينهم، وكان العفيف التِّلمساني مع شيخه الصدر القونوي في هذه الرحلة، وذُكِر أنه قيل لابن سبعين: كيف وجدتَه؟ - يَعْنون القونويَّ في عِلْمه بفلسفة الوجودية، الذي هو عندهم علم التحقيق والتوحيد! - فقال: إنه من المحقِّقين، لكن معه شابٌّ هو أحذق منه! يَعني التلمساني[٥].

(١) الطريقة الأوحدية، لميكائيل بايرام (ص ٣٥).

(٢) من مقال «صاحب مختار الصحاح»، لعبد اللّه مخْلِص، مجلة المجمع العربي (٨/ ٦٤٩)، و الكواكب الدرية، لعبد الرؤوف المناوي (٢/ ٤٢). قلت: ولعل من بعض أسباب قدماته لمصر كان لحضور عُرس التلمساني وزواجه بابنة ابن سبعين!

(٣) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، للتَّقي الفاسي (٥/ ٣٣٤).

(٤) القول المنبي عن ترجمة ابن العربي، للسخاوي (٢/ ١٧٥).

(٥) الرد على الشاذلي، لابن تيمية، تحقيق الشيخ الفاضل علي العمران (ص ١٧٥- ١٧٦).

ولعل ابن سبعين قد وجَّه إلى القونوي سؤاله عن المبدأ والمعاد في ذلك اللقاء، فقد رووا أنه قال له: من أين؟ إلى أين؟ وما الحاصل من البين؟ فأجابه القونويُّ: مِن العِلم إلى العَين، والحاصل في البين، تجدد النسبة الجامعة بين الطرفين، ظاهرة بالحكمين. فقال ابن سبعين: بارك اللّه فيك. ثم عانق الصدرُ القطبَ، وتفارقا[١].

وكان القونوي مع ابن عربي في دمشق قبل سنة ٦٢٨هـ[٢]، ضيوفًا على «غلام» مِن «غلمان» ابن عربي - قاضي (هولاكو) فيما بَعْدُ - خفير المغول، «مولانا» محيي الدين بن الزَّكي (ت ٦٦٨هـ)[٣]، الذي فَرَض لابن عربي ثلاثين درهمًا كل يومٍ، زِدْ على ذلك ما فرَضَ له صاحبُ حمصَ مِنْ مئة درهم معها[٤]. ويُفهَم من رسالة أرسلها القُونَوِي إلى محيي الدين بن الزكي في دمشق استمرار صداقتهما السابقة[٥].

ويُعلم من كتاب (مناقب الأوحد الكرماني) أن جفوة طرأتْ بين القونوي وابن عربي، كان الغاضب الحانق فيها ابن عربي، ولم يذكر المصدر سبب ذلك، إلا أنه فصَّل في ذكر الموائم بينهما، وهو الأوحد الكرماني، إذِ

---

(١) من دفتر الصدر القونوي، مخطوطة يوسف آغا (برقم ٧٨٣٠).

(٢) يُعْلَم المكان و التاريخ حين تقرأ مقدمة كتاب: (فصوص الحكم)، وكلام الذهبي على سماع رآه لبعض مسموعات القونوي من الكتب. انظر: ذيل التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، للتقي الفاسي (١/ ١٦٧).

(٣) كان المغول يكافئون (شيوخ الدين) الخَوَنة بلقَبٍ رسمي هو (مولانا)، كما فعلوا مع (مولانا ابن الزكي) في الشام، (انظر: مرآة الزمان، لليونيني ١/ ٣٥٦)، وكما فعلوا مع (مولانا جلال الدين الرومي) في الأنَضول، فاتخذَ أحدُ (المولانانَيْن) المئات مِن المريدين وأحسن الاستثمارات والمداهنات، فلزق اللقب به، وأفسد قهرُ الظاهر بيبرس المغولَ، على الآخَر اللقب فنُزِعَ منه آخِر الدهر!

(٤) نزهة الأنام في تاريخ الإسلام، لابن دُقماق (ص ١٣٨).

(٥) انظر كتاب (النفحات الإلهية) نسخة (يوسف أغا) في قونية (برقم ٥٤٦٨).

الكلامُ عليه، وذلك حين كان ثلاثتهم في مصر، وخلاصةُ الخبر أن القونوي حين سمع بمَقْدَم الكرماني إلى مصر أقبل إليه راجيًا أن يذهب إلى زوج أمه، ابن عربي، ويشفع له عنده، مستَلًّا سخيمة نفْسِه عليه، فذهب إليه، فما زال يُوعِبُ في أسماع ابن عربي مدائحَ في الصدر القونوي، ويحثُّه على أن يعفو عنه، فزعم صاحب كتاب (مناقب الكرماني) أنه رضي عنه، وأقول: (زَعَم) لأنك تَرى في الخبر نفْسه أنه لم يلْبَث - أعني: ابن عربي- أن جاء إلى بيت الكرماني ومعه القونوي طالبًا إليه أن يأخذه معه في رحلته إلى الحجاز، في حجٍّ كان الكرمانيُّ يُزْمِعُه، ثمَّ يَبْقى عنده تحت أنظار تربيته، فهل هذا - في المحصَّل - إلا تخلُّص من ابن زوجته بطريقة ماكرة؟ كأنه قال له: خُذْ هذا الذي مدحته وطلبتَ منِّي الرِّضا عنه فزِدْهُ مما عندك من المعارف والفيوضات![١]، وغير بعيد أنه كان مع الكرماني حين ذهب إلى بغداد سنة ٦٣٢هـ ليكون شيخًا لرباط المَرْزُبانية[٢]، وكانت له رحلة إلى المدينة النبوية إذْ سجَّل في دفتره حلمًا رآه فيها[٣]، وذكر ميكائيل بيرم أن وثيقة عثمانية عند أناس في قونية يزعمون أنهم من سلالة القونوي، يفهم منها أن القونوي كان قد اشترى أرضًا في المدينة ووقفها على المسجد النبوي[٤].

□ أبناؤه:

عُلِم من وصيَّةٍ كتبها القونويُّ أنَّ له بنتًا اسمُها: (السُّكَينة)، ولم أرَ لها ذكرًا في مصدر آخَر، وله ابنٌ لا يُعلم من حاله إلا أنَّ لقبه: (سعد الدين)، وإني أتحفَّظ في قَبول بعض ما ساقه المؤرخُ (د. ميكائيل بَيْرَم) من كلام على

---

(١) مناقب أوحد الدين الكرماني، (ص ١٦٧، الحكاية٢٧).
(٢) كتاب الحوادث، (المنسوب لابن الفوطي)، (ص١٠١).
(٣) دفتر الصدر القونوي، مخطوطة يوسف أغا (برقم ٧٨٥٠).
(٤) صدر الدين القونوي، حياته... (ص٥٧).

ابن القونوي هذا، فإنه يُفهَم منه القطْع بأن المذابح المغولية قد طالَتْه، مع صديقٍ للقونوي يقال له: زين الدين صَدَقة (ت ٦٦٦هـ)، استنادًا في أُسِّ مُرتكَزه على كلام المؤرخ إبراهيم حقِّي القونوِي (ت١٤٠٤ هـ) في كتابه: (تاريخ قونية) وهو لم يُحِلْ إلى مصدر[1]، ثُمَّ ما أوردَه الدكتور ميكائيل - نفْسُه - في كتبه من معلومات[2]، فإذا صحَّ ذلك بظهور مصادر لم تُكتشف، أمكن القول إنَّ القُونَوِي - أيضًا - أُصِيبَ بمُصابِ جاره وبلديِّه الجلال الروميِّ، الذي قُتل ابنُه الفقيه المُدَرِّس، علاء الدين جلبي، بسيف المُغْلِ في مدينة (قِرْشَهر) سنة٦٥٩هـ.

□ **أشياخه:**

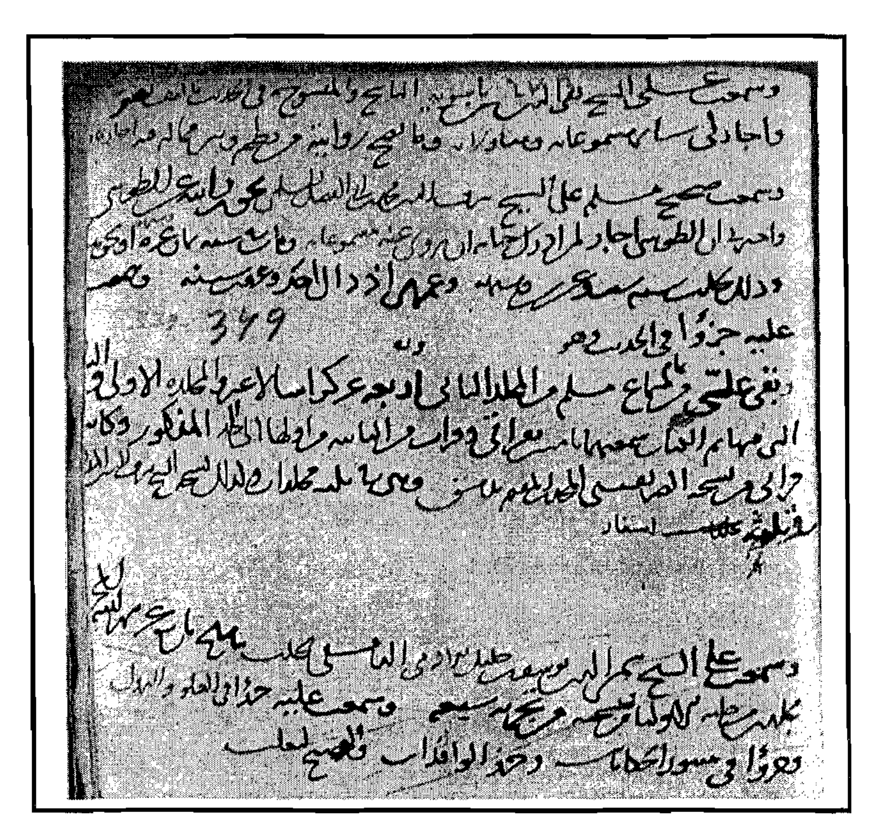
١- إسحاق بن محمد بن يوسف بن علي، مجد الدين، أبو علي الأنصاري، الأندلسي الأُبَّذِيُّ، ثُمَّ القونوي، ثُمَّ المَلَطي (ت٦١٨هـ)، والده وقد سبق الكلام عليه.

٢- علي بن أبي الفتح المبارك بن الحسن بن أحمد بن إبراهيم، أبو الحسن الواسطي، البَرْجُوني، الفقيه، المقرئُ، تقي الدين، ابن باسويه، وهو لقبٌ لأحمدَ جَدِّه (ت٦٣٢هـ). قَدِم دمشق وسكنها، وأقْرَأ بها، وحدَّث. وكان جيِّد الأداء، حسنَ الأخلاق، ثقة، فاضلًا. توفي في ثامن شعبان، وله ست وسبعون سنة، ودفن بمقبرة باب الصغير[3]. قال الصدر القونوي: «وسمعتُ على الشيخ تقي الدين بن باسويه (الناسخ والمنسوخ في الحديث) تأليف [الحازمي]، وأجاز لي سائر مَسمُوعاته ومناولاته، وما تصحُّ روايتُه

(١) تاريخ قونية، لإبراهيم حقي، (ص ٧٥٥-٧٥٦).
(٢) (أوحد الدين الكرماني)، لميكائيل بايرام، (ص ٩٥، ٩٦)، وكتاب عن حياة (أورن الأخي)، له أيضًا، (١٢، ٩٧).
(٣) تاريخ الإسلام، للذهبي (١٤/ ٧٥).

من نظْمٍ ونثر، مما له فيه إجازة»[١].

ونقل الحافظُ الذهبيُّ كلمةَ ثناءٍ لابن باسويه قالها في القونوي، وهي كلمة يَرِدُ أمثالُها عند المحدِّثين يَبْذُلونها لمن أخَذ عنهم، لكنها حين تُنقل خبرًا من إمام أهل النَّقْدِ الذهبيِّ في رجُل جَرَحَه، فإنها تتضمَّن نقدًا لَمَّاحًا لصنيع ابن باسويه، فقد قال: «رأيتُ سماعَه من ابن باسويه للناسخ والمنسوخ، للحازمي (ت ٤٨٥هـ) سنة ٦٢٨ هـ، وقد كتَب له على نسختها: الولد النَّجيب!»[٢].



خط الصدر القونوي الذي يذكر فيه سماعه على ابن باسويه وغيره.

(١) انظر ملحق صور المخطوطات برقم .

(٢) ذيل التقييد لرواة السنن والمسانيد، للتَّقي الفاسي (١/ ١٦٦).

٣- حامد بن أبي الفخر الكِرماني، أوْحَد الدين (ت٦٣٥هـ)(١)

خَدَمه الصدر القُونويُّ، وتَلْمَذ له ستَّ عشرة سنة، وكان عَديله على جَمَل في رحلة حجٍّ سنة ٦٢٩هـ، شاعر صوفي، أكثر شعره بالفارسية. وكان قد تعرَّف ببغداد على الخليفة الناصر، ولبس منه سراويلات الفتوة، فصار مريدًا له، وصيَّره الناصر في حركة أهل الفتوة بمكان، وأَحَبَّ رَفْع «شَعْبِيَّتِهِ» بين الناس، الذين يَبدو أنهم كانوا يبغضونه، فكان يحضُر مجلِسَه ويُظهر تعظيمه. عيَّنه الخليفةُ المستنصر باللَّه (ت٦٤٠هـ) شيخًا لرباط (المرزبانية) بعد وفاة الشهاب السهروردي صاحب كتاب (العوارف)(٢)، وتجيء روايةُ عبد الرحمن الجاميِّ لِتُؤَكِّد أن الأوحد الكرماني كان لتصريحه وعلانيتِهِ بـ(فيهِ ما فيه)(٣) التصوُّفِ، كان مذمومًا من أعلام الصوفية، وهذا خبر قُيِّد في كتاب (الرسالة الإقبالية) عن الشيخ ركن الدين علاء الدولة السِّمْناني (ت٧٣٦هـ) قال: «كان أحد مريدي الشيخِ شهابِ الدين السُّهْرَوَرْدِي مع القافلة التي وصَلَت إلى (مِنًى) للمبيت بها، فذهبتُ إليه لأخدمَه، والحقُّ إنه كان رجُلًا خيِّرًا، فمكثت معه قريبًا من ساعة، وقد خُضْنا في أحاديث مختلفة، حتَّى سألته: أصحيحٌ أنّ الشيخ شهاب الدين قُدِّس سِرُّه، قال في الشيخ أوحد الدين الكرماني: «إنه مبتدعٌ»، ونهاه أن يحضُر عنده؟ فأجاب قائلًا: نَعَمْ، قال ذلك، فإني لمَّا كنتُ في خدمته، وأراد رجُل من الحاضرين أن يتحدَّثَ عن الأوحد الكرماني، فقال الشيخ: لا تذْكُروا بمَحْضري، ذلك المبتَدِعَ!(٤)».

---

(١) تاريخ الإسلام، للذهبي(١٤/ ١٧١).

(٢) كتاب الحوادث، لابن الفُوَطي (ص ١٠١، ١٠٢).

(٣) قد استَعَرْتُ اسم كتابِ (فيه ما فيه)، الذي سمَّى به المولوية «محاضرات» للجلال الرومي، في هذا الموضع، لأني رأيتها كلمة تختزل ما في التصوف من عورات فكرية وأخلاقية!

(٤) نفحات الأنس، للملا الجامي (ص ٦٦٠).

وهو بهذا الحكم في تَوافق مع رأي الشيخ الكبير، النَّجْم الكُبرى، الذي كان مخالفًا لاتجاه الأوحد الكرماني كما سترى في رواية ابن نوح القُوصي[1].

ويُلحَظ هذا الخلاف بين الشيخ الكُبرى والكِرماني بين مريديهما، فهو مشاهَدٌ بين تلميذ الأوَّل، أعني نجم الدين بن الداية (ت ٦٥٤هـ)، الذي سمَّاه الذهبيُّ: «شيخَ الطريقة والحقيقة»[2]، وبين تلميذ الآخَر، أعني الصَّدْر القُونَوِي، وذلك في الرواية التي نقلها عبد الرحمن الجامي، مِنْ أنَّ النجم ابن الدَّايَة أمَّهُم في صلاة المغرب (لأنه أكبر منهما سنًّا، فقد وُلد في سنة ٥٧٣هـ)، فقرأ في الركعة الأولى والثانية بـ ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾، فلما قُضِيَت الصلاة؛ التفتَ الجلال الرومي - وكان حاضرًا - إلى الصَّدْر القونوي، وقال له: أمَّا حين قرأ بها في الأُولى فهو يقصِدُك، وأمَّا حين قرأ بها في الأُخرى، فهو يقصدني!

ويبدو أنَّ الراوي الصوفي قد احتارَ كيف يَفهم الخبر ويُفْهِمه، فزعم أن ذلك التصرُّف كان على سبيل الدُّعابة والمطايبة[3]، وناهيك بها من مطايبة ودعابة! وهذا يُذَكِّر بزعم محمد بن السراج الدمشقي في تأويله بلايا عليّ الحريري أنها كانت منه على سبيل المزاح، لأنه كان مزَّاحًا![4].

ولعل من انعكاسات هذا الخلاف بين هذين الاتجاهين التصوفيَّيْن - أيضًا - صنيع حفيد الجلال الرومي، عارف جلبي (ت ٧١٩هـ) حين أُهدِي إليه

---

(١) وإنْ وردتْ رواياتٌ بخلاف ذلك عند صاحب كتاب مناقب أوحد الدين الكرماني، (ص٢٤٠ الحكاية ٥٢).

(٢) تاريخ الإسلام، للذهبي (١٤/ ٧٥٦).

(٣) نفحات الأنس، للملا الجامي (ص ٤٩١).

(٤) تفاح الأرواح، لابن السراج (المنقول ٢١١-٢١٦).

نسخة من تفسير نجم الدين الداية، وهي يومئذ نسخة لا ثاني لها في الأَنَضول، فما كان منه إلا أن أعطى ذلك التفسير واحدًا من الوعاظ[1]، إذ كان مؤلِّفه خصيم جدِّه.

وإليك رواية عبد الغفار بن نوح القُوصي (ت٧٠٨هـ)[2]، يرويها عن شيخه المعمَّر عبد العزيز المنوفي[3]، التي تُظهر تباين مشرب الصوفية الوجودية عن غيرهم، قال ابن نوح القُوصي: «وحكى الشيخ عبد العزيز -رحمه اللَّه تعالى- عن الشيخ النجم الكُبرى أنه كان أُمِّيًّا، وكان عظيم الشأن، وكان مجاب الدعوة، وكانت له كرامات، وآيات وعجائب، وكان الشيخ الأوحدُ، أوحدُ الدين الكرماني، ذلك الوقت يتكلم على المنبر، والخليفة جالس[4]، وكان الخليفةُ مريدَ الأوحد، وكان يشتغِل عليه، وكان كلُّ مَن يَروح إلى النجم الكُبرى ما يرجع إلى الأوحد، فحَصَل عند الشيخ أوحد الدين من ذلك شيءٌ، حتَّى عاد يتكلم على المنبر بكلام يُوهِمُ بذلك، مِثْل أن يقول: الجهْل يَنْقادُ إلى الجهْل!

فاتَّفَق أن الشيخ أوحد الدين تكلَّم على المنبر بكلام، وقال للنقيب: مَن له سؤال فليسأل. فجاء إنسانٌ بمسألة، فقال الشيخ أوحد الدين: يا صاحب السؤال أو قال: أنا أعرف في هذه المسألة مئة وجه، بل مئتي وجه، بل ثلاثمئة وجه. فقام فقيرٌ من أصحاب النَّجم الكُبرى، وقال له: ياسيِّدي أوحد الدين، قلتَ: إنك تعرف في هذه المسألة ثلاثمئة وجْهٍ، صدَقْتَ، فإن اللَّه تعالى فتَق لسانك بالعلوم، ولكن تَقْدِر تُقِيم الدليلَ على مسألة واحدةٍ بوجه

(١) مناقب العارفين، للأفلاكي (٢/ ٢١٩).
(٢) انظر ترجمته في كتاب «الطالع السعيد»، للأدفوي (ت٧٤٨هـ)، (ص٣٢٣، ٣٢٤).
(٣) انظر ترجمته في «الدرر الكامنة»، لابن حجر العسقلاني (٢/ ٢٢٧، ٢٢٨).
(٤) ينبغي أن يكون هذا الخليفة العباسي هو أحمد بن المستضيء، الملقب بالناصر لدين اللَّه.

واحدٍ؟ فقال له: ما مسألتُك؟ قال له: تقدر تُقيم الدليل على أنك مسلم؟ فلم يحتمِل الشيخُ منه هذا الكلامَ، فقال له: ما الشأنُ فيكَ - أو كلام هذا معناه - ولكن شيخك، الكذا وكذا، وذَكَر كلامًا، وسمَّى النجمَ الكُبرى، فعندما ذكر الشيخَ النجمَ رجموهُ الناسُ[١]، وطلَعَتْ مماليكُ الخليفةِ حتَّى أخذوه وأدخلوه بيتَ الخطابة، وشَهَروا السيوفَ حتَّى منعوا العوامَّ منه، وراحَ العوامُّ إلى بيت الشيخ أوحد الدين، وهدَّموه وأحرقوه بالنار.

فلمَّا كان الليلُ حضر الخليفةُ إلى الشيخ أوحد الدين، في المكان الذي هو فيه، وقال له: يا سيِّدي، واللَّه لقد عزَّ عليَّ الذي جرَى، فقال له الشيخ: وعزَّ عليكَ بَسْ؟ واللَّه لقد فعلت به كذا وكذا، وقال كلامًا لا أتحقَّقُه من الأذى للشيخ النجم الكُبرى، فقال له الخليفة: يا سيدي هذا الرجُل لا يخلو إمَّا أن يكون وليًّا للَّه تعالى، أوْ لا، فإن كان وليًّا للَّه تعالى، فكيف يحِلُّ لك أن يُتلِفَ عليَّ آخِرَتي؟ وإن كان غير وليٍّ، فكيف يحلُّ لك أن تُجرِّئ العوامَّ على خَلْعِي من الخلافة، وشَقِّ عصا المسلمين - أو كلامًا هذا معناه - وأنا فما أقدِرُ أقتُل كلَّ مَن في بغداد؟!

فقال له الشيخ أوحد الدين: فأنا أسافرُ، فقال له الخليفة: هذا إليك- أو كما قال - ثُمَّ إنَّ الخليفةَ زوَّدَه زوادةً عظيمةً، وسافر إلى بلاده، أقام بها سنة، فكان كأحدِ الناس لم يجد الخليفة - مريده - ولا أحد يعظِّمه، فتفكَّر في نفْسه، وسبب خروجه من بغداد، فوجَد ذلك من حَظِّ نفْسه، فقال لنفسه: هذا منكِ كَوْنكِ انْزَحَمْتِ مِن هذا الرجُل الصالح، العظيم القَدْر، مِن كون الناس يروحون إليه، فقام واستغفر اللَّه تعالى، وسافر مستغفرًا مِن بلده إلى أن وصل إلى بغداد، فسمِعَ به الخليفة فخرج للقائه، وجاء الشيخ الأوحد إلى بيت الشيخ النجم الكُبرى، ووقف في الاستغفار ثلاثةَ أيام، والشيخُ يخرج

---

(١) هذا على لغة: «أكلوني البراغيث».

في حاجته، ويراه ولا يقول شيئًا.

فلما كان بَعْدَ ثلاثة أيام أمَرَ الخادمَ بإدخاله إليه، فلما دخل قام إليه واعتنقَه وجلَسا، فقال له الشيخ أوحد الدين: يا سيِّدي أنا قد جئتُ معترفًا، وقد عرفتَ مِن نفْسي ما عرفتُ، فكيف تركتني ثلاثة أيام؟ أمَا راعيْتَ حقَّ العلم؟ فقال له الشيخ النجم: **ما تَرَكْتُكَ ثلاثة أيام إلا لجهْلك بمعبودي**! فقال له الأوحد: تقول لي أني جهِلْتُ معبودَك، وقد صَنَّفْتُ في معرفة اللَّه تعالى تسعة وتسعين كتابًا؟ فقال له نجم الدين الكُبرى: لو عرفتَه ما صنَّفْتَ فيه! قال: فقام الشيخ الأوحد وأعجبه ذلك، وربما اعْتَنَق الشيخ النجم الكُبرى، وربما لَبِسَ منه»[1]. قلت: ينبغي أن يكون تاريخ هذه القصة قبل سنة ٦٠٠هـ.

٣- محيي الدين بن العربي الأندلسي (ت٦٣٨هـ)

منه ثَقِفَ فلسفةَ الوجود الواحد، مع سائر ما أخذ عنه، وعلى ذلك استحق مديحه كما في بعض مسموعاته حيث كتب له: «أقول وأنا مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن العربي الطائي، وهذا خطِّي: سمع عليَّ الولدُ المبارك، الطاهرُ، صدرُ الدين، ابن صاحبي المخلص المرحوم، مجد الدين إسحاق بن مُحَمَّد القُونَوِي. . .»، وكتَب أيضًا: «قرأ عليَّ الولدُ البار، المحسن، النجيب، الطاهر، صدر الدين، مُحَمَّد بن إسحاق بن مُحَمَّد بن يوسف القُونَوِي في فنون مختلفة بعون اللَّه تعالى بالعلم، وأنا أبو عبد اللَّه، مُحَمَّد بن علي ابن مُحَمَّد ابن العربي الطائي الحاتمي بخطي في صفر سنة سبع وعشرين وستمائة»[2].

قال الذهبي -رحمه اللَّه تعالى-: «هذا الرجل كان قد تصوف، وانعزل، وجاع، وسَهر، وفُتح عليه بأشياء امتزجت بعالم الخيال، والخطرات،

---

(١) الوحيد في سلوك أهل التوحيد، لابن نوح القُوصي (الورقة ١٠٣، ١٠٤).

(٢) نقلتُه من كراسة الدكتور المؤرخ (ميكائيل بيرم)، التي قيد فيها سماعات مخطوطات متنوعة نَسَخَها قبل حادثة سرقتها من مكتبة يوسف أغا، في قونية، سنة ١٩٩٩م، وكانت برقم: (٧٨٥٠)، الورقة ٣٤٦، ورقم(٧٨٤٦)، الورقة ١٨٨.

والفكرة، فاستحكم به ذلك حتَّى شاهد بقوة الخيال أشياء ظنها موجودة في الخارج، حتَّى إنه قال: لم يكن الحق أوقفني على ما سطره لي في توقيع ولايتي أمور العالم، حتَّى أعلمني بأني خاتم الولاية المُحَمَّدية بمدينة (فاس) سنة خمس وتسعين (٥٩٥هـ)، فلما كانت سنة ثلاثين وستمئة أوقفني الحق على التوقيع في ورقة بيضاء، فرسمته بنصه: هذا توقيعٌ إلهيٌّ كريم من الرؤوف الرحيم إلى فلان، وقد أجزل له رفده، وما خيّبنا قصده، فلينهض إلى ما فُوِّض إليه، ولا تشغله الولاية عن المثول بين أيدينا شهرًا بشهر إلى انقضاء العُمُر!»، ثم قال الحافظ في ختامها: تعالى اللَّه عما يقول علوًّا كبيرًا. أستغفر اللَّه، وحاكي الكفر ليس بكافر![1]

خطُّ ابن عربي وتحته خط ربيبه القونوي

(١) تاريخ الإسلام، للذهبي (١٤/ ٢٧٨).

٤- علي بن محمد بن الحسن، أبي الحسن، الكمال الاسكندراني.

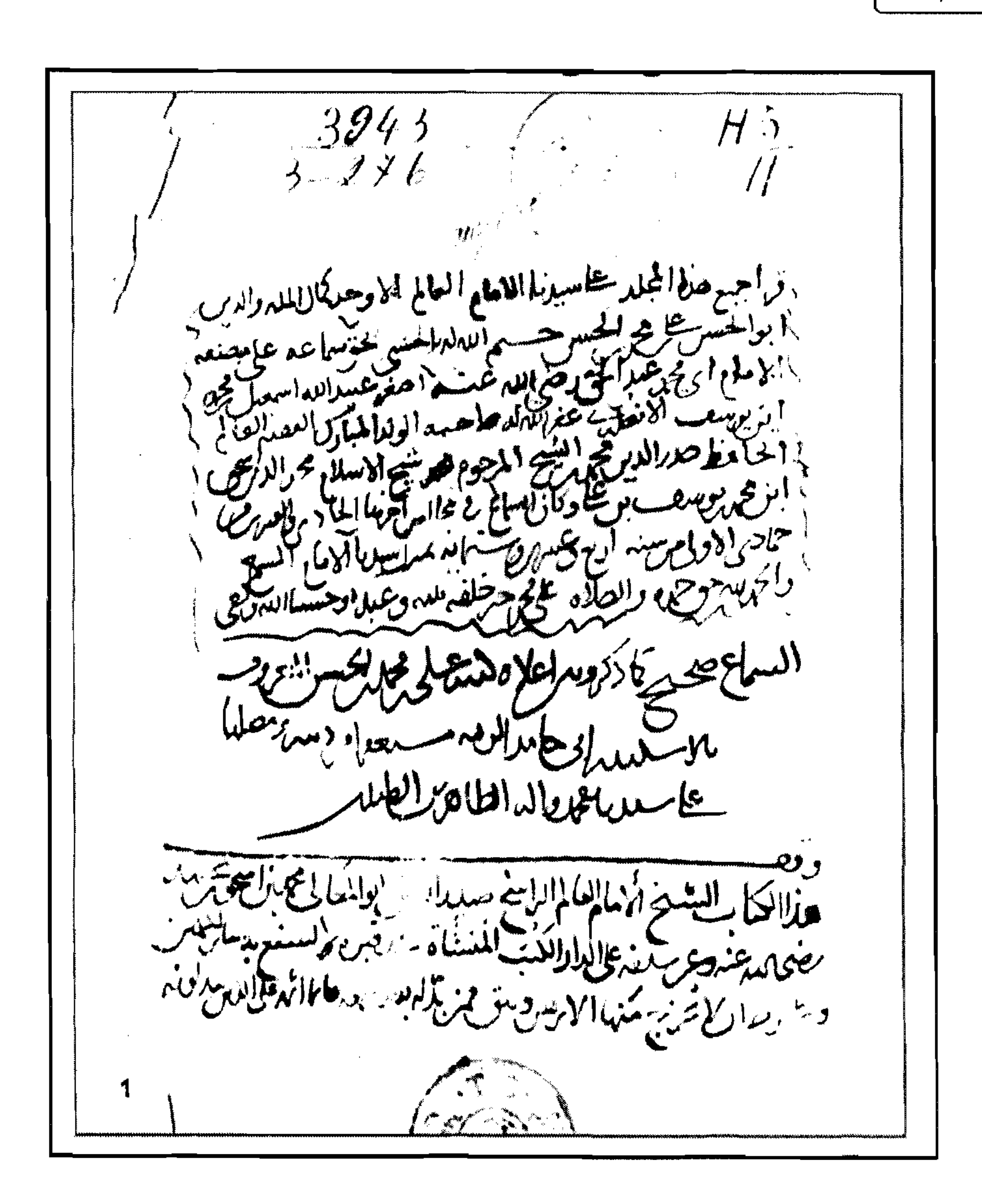
(كان حيًّا سنة ٦٢٤هـ)، روى عنه بعض كتب الإمام عبد الحق الإشبيلي. وهو من أصحاب أبي طاهر السِّلَفي (ت ٥٧٦ هـ)[١]. وهو شيخ عمه إسماعيل أيضًا، ويُفاد من قيود سماعات القونوي المخطوطة معرفةُ اسم «الكمال» هذا، وقد ذكره ابنُ العديم في تاريخ حلب، قال: «الكمالُ الاسكندراني، رجلٌ فاضل اجتاز بحلبَ، ونفَذَ منها إلى ملطية، وله شِعْرٌ أنشدنا عنه - بعضَه- الشيخُ عماد الدين، عبد اللَّه بن الحسن بن النَّحاس، قال لي: كان ليَ صديقٌ يقال له: الكمال الاسكندراني- ولم يَعْرفْ اسمَه- وكان بمَلَطية، فسألت عنه، فدُلِلْتُ على منزله، فجئته ودققتُ الباب عليه، وكنت إذْ ذاك أسمع، ولم يَحْدُث بي الصَّمَمُ، فقال: مَن؟ قلت: صديقٌ مشتاق، فقال: لعلك فلان؟ فقلت: أنا هو. فخرج إليَّ وأدخلني منزله، فتحادَثْنا حديثَ الدنيا، فأنشدني ارتجالاً لنفسِه بملطية:

هذه الدنيا عيوبٌ كلُّها ... غير شيء واحدٍ فيها مليح
كيف ما عَبَّرْتَها قد عبَرَتْ ... حسنٌ كان وإنْ كان قبيح»[٢].

---

(١) عدَّ ميكائيل بيرم، الحافظَ السلفي من شيوخ القونوي الذين سمع منهم، وهو وهْمٌ كما ترى. انظر: صدر الدين القونوي، حياته ومحيطه ومؤلفاته (ص٤٣).

(٢) بُغْية الطلب في تاريخ حلب، لابن العديم (١٠/ ٤٧٤١).



خط شيخه الكمال الاسكندراني، وخطُّه وخط تلميذ له، وهي تحوي قريبًا من معلومات الصورة التي في ص١٩ مع عبارة وقف للكتاب وهي: (وقفَ هذا الكتابَ الشيخُ الإمامُ العالم الراسخُ، صدرُ الدين، أبو المعالي، محمد بن إسحاق بن محمد -رضي الله عنه، وعن سلفه- على الدار الكُتُب[1] المنشأة عند قبْره، لينتفِع بِهِ سائر المسلمين وشرَط ألّا يُخرَ منها إلا برَهْنٍ وَثِيقٍ، ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ﴾ [البقرة: ١٨١]).

---

(١) كذا.

٥- إسماعيل بن مُحَمَّد بن يوسف، أبو إبراهيم، برهان الدين، الأنصاري[١] الأندلسيُّ، الأُبَّذِيُّ (ت٦٥٦هـ)

وهو عمُّه - كما يظهر - وأستاذه الذي قرَّأه القرآن. سمع بدمشق من عمر ابن طَبَرزد، وبمَكَّة من جماعة، وسكن بالقدس، وأَمَّ في المسجد الأقصى مدَّة، ولقِيَه ابنُ الصابوني (ت ٦٨٠هـ) وذكر عنه فضلًا وصلاحًا، وقال إنه كتب عنه شيئًا من نظمه، انتقى منه قوله:

ديار القُدس سقيتِ حيًا ... برمادكِ أكحل من رَمَدِي
يخلو مغناكِ وقد يحلو ... معناكِ على طُول الأمَدِ

توفي بالقدس في الثالث والعشرين من المحرَّم سنة ٦٥٦هـ.[٢]

ووصلنا مما روى الصدرُ القونوي عنه، عن أبي علي الحسن بن أحمد الإِوَقيِّ (ت٦٣٠هـ)، عن السِّلَفي جزء: «أربعين حديثًا عن أربعين شيخًا في أربعين مدينة».

٦- شرف الدين يعقوب بن محمد الهذباني الكردي، الأمير، شرف الدين (ت ٦٤٥ هـ)، من أمراء الدولة الأيوبية، سمع منه كتاب (جامع الأصول في أحاديث الرسول) لابن الأثير (ت٦٠٦هـ)[٣].

٧- جمال الدين الواسطي، وهو شيخ من مُريدي الأوحد الكرماني،

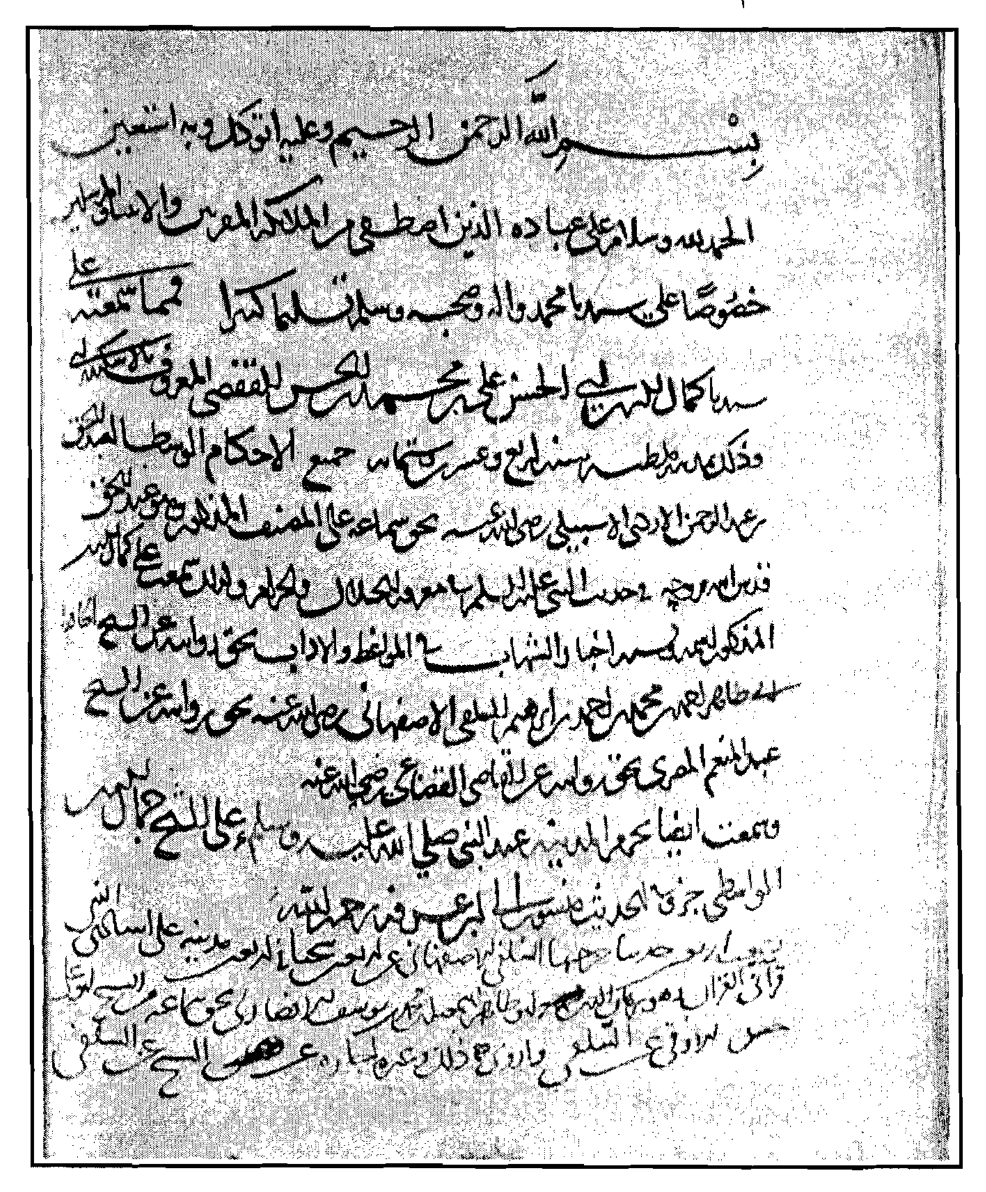
---

(١) لا يُعلم مستند د. ميكائيل بَيرم حين استَخرج من نِسْبة (الأنصاري) في اسم عمِّه كونهم من سلالة الصحابي الكريم أبي أيوب الأنصاري! انظر: صدر الدين القونوي، حياته ومحيطه ومؤلفاته (ص٣٩).

(٢) تكملة إكمال الإكمال في الأنساب والأسماء والألقاب، لابن الصابوني (ص٩)، وذيل مرآة الزمان، لليونيني (١/ ١٢٣)، وصِلَة التكملة لوفيات النَّقَلة، للحسيني (١/ ٣٦٨)، وتاريخ الإسلام، للذهبي (١٤/ ٨٠٠)، والوافي بالوفيات، للصفدي (٩/ ١٢٧).

(٣) تاريخ الإسلام، للذهبي (١٤/ ٥٣٧).

وواحدٌ من خلفائه في الطريقة، سمع القونوي منه في المدينة النبوية «جزء ابن عرفة»، وكان ثلاثتهم قد حجُّوا سنة ٦٣٠هـ[1].



بسم الله الرحمن الرحيم وعليه أتوكل وبه أستعين

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى من الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين

خصوصًا على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا فمما سمعته على

...

وسمعت أيضا بحرم المدينة عند النبي صلى الله عليه وسلم على الشيخ جمال الدين

الواسطي جزء فيه أحاديث منسوبة إلى ابن عرفة رحمه الله

خط الصدر القونوي يخبر بسماعه على الجمال الواسطي وغيره.

(١) الطريقة الأوحدية، لميكائيل بايرام (ص ١١١)، ومقدمته لكتاب مناقب أوحد الدين الكرماني (ص ٨٨).

٨- **يوسف بن خليل بن قراجا بن عبد اللَّه، شمس الدين، أبو الحجاج، الأدمي الدمشقي، (ت ٦٤٨ هـ)** الحافظ المسنِد، كان ينطوي على سُنة وخير، وكان يَذُمُّ عليًّا الحريريَّ وأتباعه الحريرية (القلندرية)[١]، أجازه في حلب بجميع سماعاته وإجازاته ومناولاته، وما يجوز له روايته من جميع العلوم، وهذا نصُّ سماعه منه: «سَمِعَ علي هذا الجزء بقراءة الفقيه، إمام الدين، أبي حامد، مُحَمَّد بن الحسن بن الإمام الخُوَيِّي، وصاحبه السيد الإمام صدر الدين، أبو المعالي، مُحَمَّد بن إسحاق بن مُحَمَّد، وفتاه غُلْبَك ابن عبد اللَّه الرُّومي، ومجد الدين أبو بكر بن بندار بن زنكي التبريزي، وزكي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن الحسن الدمشقي، وأبو الحسن علي بن أبي القاسم بن جعفر النصيبي، وإسماعيل بن عبد القادر بن عبد المنعم الصوفي، وذلك في مجلسَيْن آخرهما يوم الأحد ثامن عشرين صفر سنة إحدى وأربعين وستمئة، وصحَّ ذلك بحلبَ المحروسة، وكتَبَ يوسفُ بن خليل بن عبد اللَّه الدمشقي»[٢]. وكتب القونوي بخطه في موضع آخَر من مسموعاته التي وصلت إلى أيامنا، قال: «وسمعتُ على الشيخ شمس الدين يوسف بن خليل الآدمي الدمشقي بحلب سَلْخ تاسع عشر شهر اللَّه المحرَّم مجلَّدين من حِلية الأولياء مِن نسخته من (كلمتين لم تستبن لي) وسمعت عليه جزءا في العلو والنزول، وجزءا في منثور الحكايات، وجزءا (كلمة غَمُضَتْ عليّ)، و«الفصيح» لثعلب»[٣] وكان مما سمعه عليه - أيضًا- كتاب المسند المخرَّج على الصحيح لمسلم بن الحجاج، تأليف الحافظ أبي نعيم الأصفهاني.

---

(١) تاريخ الإسلام (١٤/ ٦١٠-٦١٢)، وسير أعلام النبلاء، للذهبي (٢٣/ ١٥٣-١٥٥).

(٢) من كراسة الدكتور ميكائيل، وفيها ما قيده من فوائد من مكتبة (يوسف أغا) في قونية. تاريخ الإسلام، للذهبي (١٤/ ٦١٠-٦١٢).

(٣) نقلًا من صورة قيد سماع في كتاب د. ميكائيل بيرم (صدر الدين القونوي، حياته ومحيطه ومؤلفاته) (ص٤٩).

خط الحافظ يوسف بن خليل الدمشقي.

٩- محمد بن عبد اللَّه بن محمد بن أبي الفضل، شرف الدين، أبو عبداللَّه السُّلَمي الأندلسي المُرسي (ت ٦٥٥هـ)، المحدِّث المفسِّر النحوي، ولد في مدينة مرسية سنة ٥٦٩هـ، وسمع (الموطأ) بالمغرب بعُلُو، وحجَّ ودخل إلى العراق سنة ٦٣٤هـ ونزل بالمدرسة النظامية، وخراسان، والشام، ومصر. وكان كثير الأسفار قديمًا وحديثًا، وله مصنفات عديدة، وكان زاهدًا متورعًا، توفي بعريش مصر وهو متوجِّه إلى دمشق، بيعتْ كتبه بعد وفاته وكانت كتبًا عظيمة[1].

وكتب الصدر القونوي بخطه: «وسمعتُ (صحيح مسلم) على الشيخ شرف الدين محمد بن أبيَ الفضل السُّلَمي بحَقِّ روايته عن الطُّوسي،

(١) تاريخ الإسلام، للذهبي (١٤/ ٧٨٦-٧٨٧).

وأخبرَني أنَّ الطوسيَّ أجاز لمن أدْرَك حياتَه أن يَروي عنه مسموعاته، ومات في سنة ثمانِ عشرةَ وستِّمئة أوْ نحوها، وذلك بحلبَ سنة ستٍّ وعشرين وستمئة، وعُمُري إذْ ذاك أحدَ وعشرون سنة، وختمتُ عليه جزءًا في الحديث وهو (وتَرَك بياضًا في الأصل، انظر الصورة)، وله (وتَرَك بياضًا في الأصل أيضًا)، وبَقي عليَّ مِن تمام سماع (مسلم) مِن المجلد الثاني أربعة عشر كرّاسًا، لا غير، والمجلدة الأولى والثانية التي فيها يتم الكتاب سمعتهما تامَّيْن بقراءتي، وقرأت من الثانية مِن أولها إلى الحدِّ المذكور، وكانت قراءتي من نسخة الصريفيني المحدِّث المقيم بدمشق، وهي في ثلاثة مجلدات، وكذلك نسخة الشيخ شرف الدين -المذكور- في ثلاثة أسفار»[1].

□ مِن مؤلفاته:

١- النفحات الإلهية.

٢- المفاوضات. وهي مراسلاته مع الطوسي.

٣- كشف السرِّ.

٤- الفكوك في مستندات حِكَم الفصوص.

٥- تحفة الشكور وسرُّ نَفثة المصدور.

٦- مفتاح جمع الغيب والوجود.

٧- النصوص في تحقيق الطور المخصوص.

٨- إعجاز البيان في كشف بعض أسرار أمّ القرآن. والمعروف بتفسير الفاتحة.

---

(١) نقلًا من صورة قيد سماع في كتاب د. ميكائيل بيرم (صدر الدين القونوي، حياته ومحيطه ومؤلفاته) (ص٤٩).

٩- كشف أستار جواهر الحِكَم المستخرجة الموروثة من جوامع الكَلِم.

١٠- شرح الأسماء الحسنى.

١١-الرسالة الهادية المرشدية.

١٢-تبصرة المبتدي، وتذكرة المنتهي. (أنكر د. ميكائيل بَيْرم نسبته إليه، وأثبته من مؤلفات زعيم الأخية: «أورَن الأخي»).

١٣-مرآة العارفين.

١٤-رسالة في المهدي.

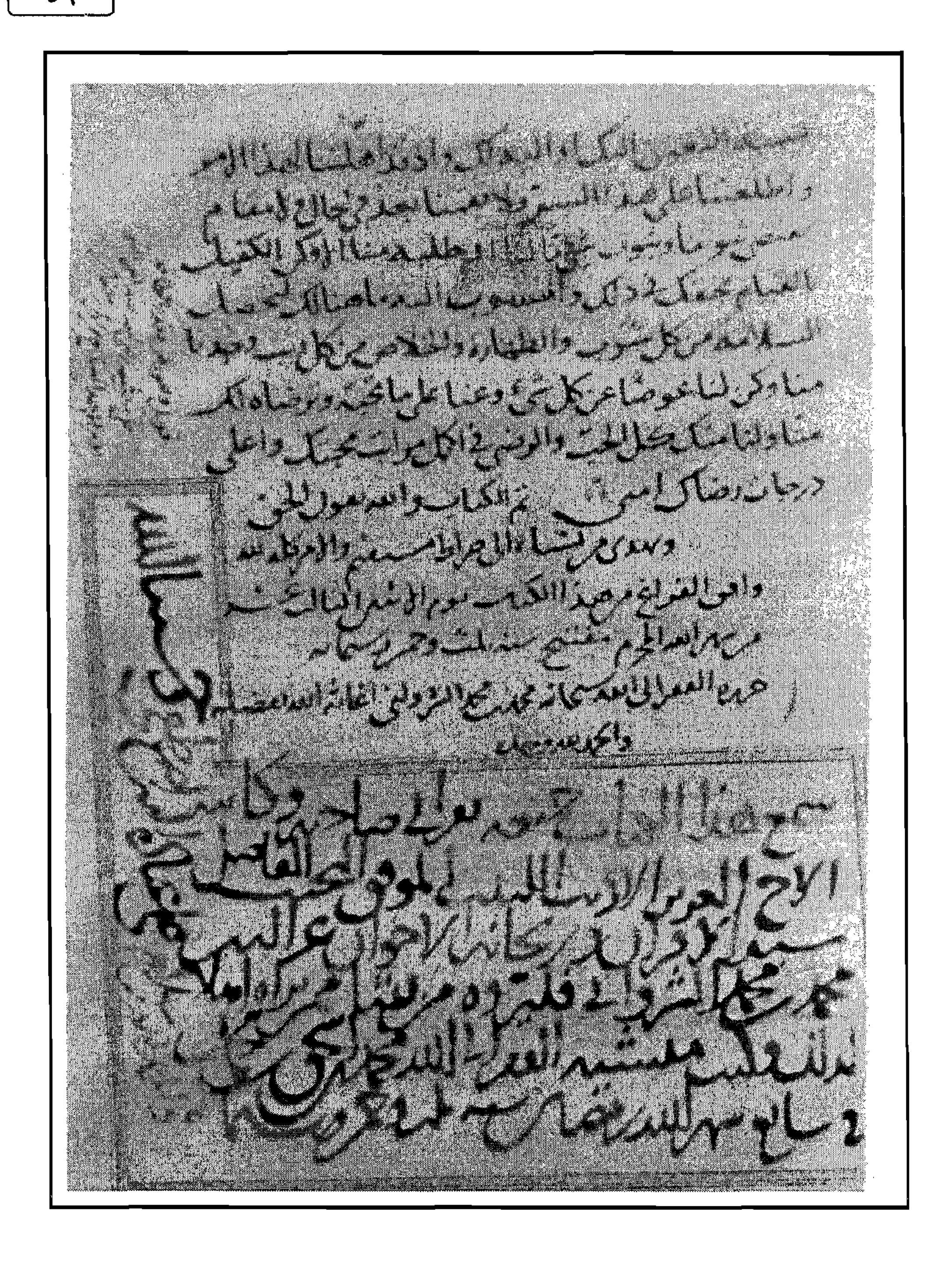
١٥-شعب الإيمان.

١٦-نتائج الأفكار.

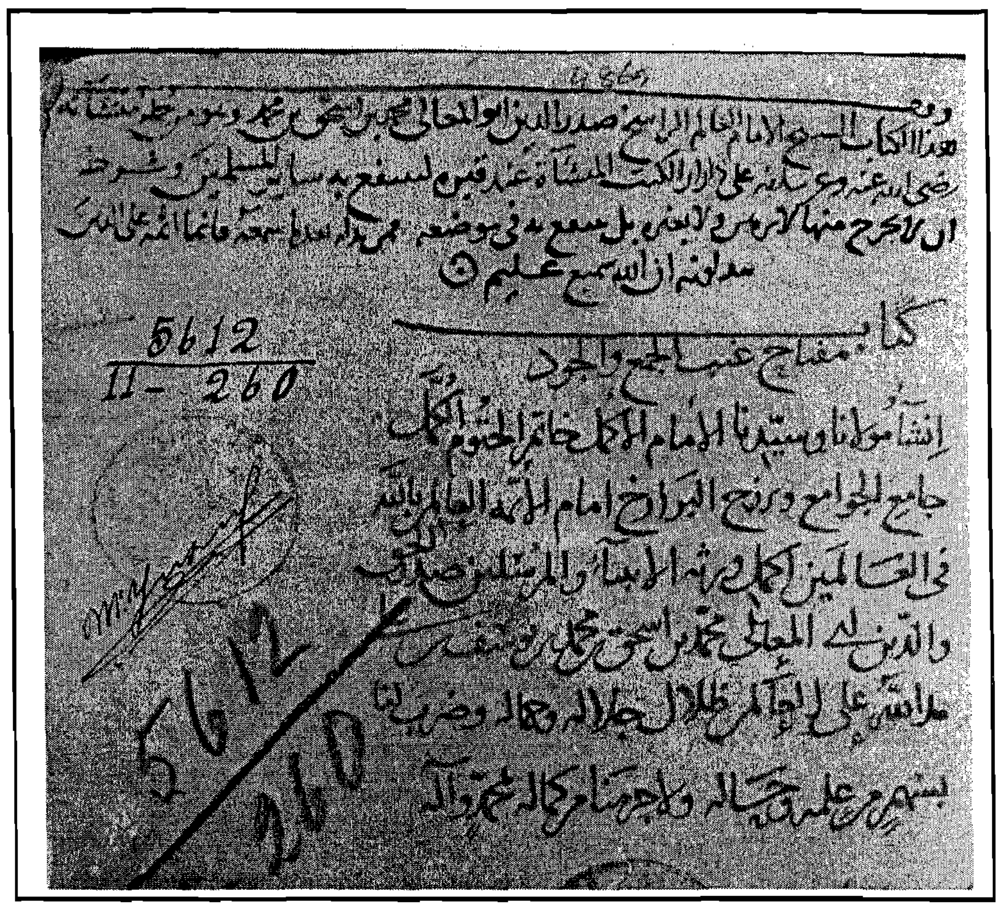
١٧-رشح البال[١].

---

(١) كشف الظنون، للحاج خليفة (٢/ ١٩٦٧، ٢/ ١٧٥٨) ٢/ ١٤٩، (٢/ ١٢٨٨) (٢/ ١٧٦٨)، (٢/ ١٠٣٤)، (٢/ ١٠٣٨)، (١/ ٨٨٩)، ومعجم الأخوين (قرابولوط) للمخطوطات (٤/ ٢٦٠٧).



كتاب من تأليف القونوي بخط واحد من تلاميذه
اسمه محمد بن محمد الشرواني، نسخه سنة ٦٥٣هـ.



نسخة من كتابه (مفاتيح غيب الجمع والوجود) وقفها القونوي على دار كتبه.

□ أبْرَز تلاميذه:

ويمكن تقسيمهم إلى قسمين: طُلَّاب حديثٍ وعُلوٍّ إسناد، ونحسبهم من المخدوعين به وببعض تلاميذه[1]، وطلَّاب ما سَبَق، مع زيادة مهلكة: طلاب الفلسفة الوجودية.

وقبل أن أذكرهم أشيرُ إلى أمْر آخَر لافِت مع هذا التقسيم، وهو أنك لا تقرأ اسم الجلال الرومي، ولا ابنه (سلطان ولد) في أيِّ جزء من أجزاء (جامع الأصول)، وقد قُرِئ الكتاب على الصدر القونوي غير مرَّة، وكان بين

(١) كصاحب (مختار الصحاح)، والحافظ المزي (ت٧٤٢هـ) مع التلمساني في أول شبابه!

مَن قرأ عليه الوزيرُ البروانه، وهذا شاهدٌ مِن الشواهد على الشقاق بينهما، وأن الجلال الرومي ليس سوى شاعر متنبي، بل وما وُقِف - ما علمتُ - على اسم الجلال الرومي في سماعات أي كتاب مِن كُتب العلم المخطوطة [١].

١- **مُحَمَّد بن أبي بكر بن عبد القادر، زين الدين الرازي**[٢]، (كان حيًّا سنة ٦٦٨هـ)، صاحب (مختار الصِّحاح)، سمع عليه كتاب (جامع الأصول)[٣].

وهو أشهر تلاميذه من القِسْم الأوَّل!

ويمكن إدراج هذه الأسماء ممَّن سمعوا الكتاب المذكور معه، في هذا القِسْم، ممن يغلب على الظنِّ أنهم تلاميذ الزين الرازي، أو أقرانه وأصحابه في مدرسته بقونية، ممن وردت تسميتهم في طباق السماع بـ(الجماعة)، وأن سماعهم كان «مع» الزين الرازي، وهُم:

---

(١) ولا يُدرى مصدر الحاج خليفة الذي ذكر أن الفرغاني قرأ شرحه على الجلال الرومي. انظر: كشف الظنون (١/ ٢٦٦).

(٢) انظر ترجمة له أوسع في مقدمتي على كتابه (كنز الحكمة)، (ص٣١-٣) وفيه كلامي على وفاته كيف ومتى كانت؟ فبدا لي احتمالان: أن تكون وفاته بسبب تأخره في الهجرة إلى الشام، فكان أنْ أُخِذ من قِبَل المغول بِتُهَمَةِ تأييدِ الثائرين من التركمان بفتوًى تجيز أو تحثُّ على مواصلة جهادهم، أو أنه قُتل وهو مسافر إليها، على يد قُطَّاع طريق المسافرين، من القلندرية والحيدرية، أو لصوص التركمان والأعراب. أو فأنه كان بين آلاف غَرْقَى السَّيْل العظيم الذي فجَأ أهلَ دمشق في يوم الأحد ثاني عشر شوال سنة ٦٦٩هـ، وقت الظُّهر، مِن جرَّاء هطول أمطارٍ كثيفة على جبال بعلبكَّ، وكانت الثلوج في واديها بكثرة، فذاب ذلك كله، وأقبَل الماءُ حاملاً الصخور والطين، مُقتَلِعًا أشجار الجَوْز الضَّخْمة من جذورها، فهدَّم البيوت والعمائر، وأخذ الطَّواحِين بحِجارتها، وخرَّب خانًا (فندقًا)، وارتفَع الماءُ حتى بلغ أحد عشر ذراعًا، وكان حُجَّاج (الأَنَضول) قَدْ قَدِموا حُجَّاجًا ونزلوا بالميدان، بين النهرين، فغرِقوا عن آخِرِهم، هُمْ وجِمالهم ودَوابِّهم وأزوادهم، وذَهَبَ معهم كلُّ ما يَدُلُّ عليهم، فلم يتمَكَّن تلاميذه في (قونية) أوعارفوه في دمشق أن يؤرِّخوا وفاته إذْ ظنُّوه حيًّا، أو كانت «الجماعةُ» كلها معه، فما بقي منهم مُخَبِّر، واللَّه أعلم.

(٣) مخطوطات أجزاء (جامع الأصول) في مكتبة (يوسف أغا)، في قونية.

- أحمد بن الأسعد، تقي الدين السّنْجاري.
- يوسف بن إسماعيل بن إبراهيم، رضيّ الدين التلعفَري.
- يعقوب بن يوسف، نجم الدين القراغاجي.
- أبوبكر بن محمد، شهاب الدين ابن الهمذاني.
- محمد بن علي بن أبي نصر، جمال الدين ابن الأصفهاني.
- إسحاق بن علي، شرف الدين القونوي.

قال كاتب الطَّبَقة، وهو أحد مماليك القونوي، واسمه: آصف بن عبداللَّه، الذي عبَّر عن ولائه لسيده بهذه العبارة: (طريح أبوابه وربيب أفضاله)! : «هؤلاء الجماعة هم الأئمة المذكورون - أدام اللَّه بركتهم - سمِعوا الكتاب، تمامًا من غير عوَز ولا فائتٍ، بفضل اللَّه وحُسن تأييده، منهم من عُلِم فائتُه وأُثبِتَ إلى زمانٍ تيسير اللَّه لاستدراك فَواتِه، ومنهم من جُهل فواته، فأمَّا الذين فائتهم معلومٌ، فهم:

- إسماعيل بن عبد الملك، كمال الدين التِّبْريزي.
- عبد اللَّه الصوفي، أمين الدين.
- محمد بن عمر القونوي، شمس الدين.
- الحاج محمد بن الحاج محمود، محيي الدين القونوي.
- عمر بن أحمد، جمال الدين.
- علي بن عبد العزيز، كمال الدين ابن غازية

ثم قال: «وأمَّا الذين جُهل فَواتهم فهم:

- عمر بن الغزَّال، شرف الدين.
- محمد بن مسعود، زين الدين.
- علي بن عمر، علاء الدين.

- أحمد النقيب، جمال الدين.

- زين الدين قلَمْشاه».

ثُمَّ ختَم كاتبُ الطبقة بقوله: «واتَّفق السماع بقراءة كاتب هذه الطبَقة، آصَف بن عبد اللَّه - عفا اللَّه عنه - وهو أحد فقراء مولانا وسيدنا الشيخ المُسْمِع- دام ظِلُّه - في مدَّة آخرها آخِر الشَّهر المحرَّم سنة: سبْعٍ وستِّين وستمئة».

وكتب الصدرُ القونوي تحت هذا بخطِّه: «صَحَّ سماع المذكورِين أعلاه، على حسب ما فُصِّل وبُيِّن، وكتَب الفقير إلى اللَّه، محمد بن إسحاق بن محمد ابن يوسف بن علي، حامدًا ومصلِّيًا، والمنَّةُ لله.».

٢- **سليمان بن علي بن حسن الكارِيُّ** (نسبة إلى كار من عراق العجم)، المشهور بمعين الدين البَرْوانة(١) (أو كما يَرِد في المصادر العربية: البرواناه! وهو لقب تشريف بالفارسية منحه إياه هولاكو)(٢)، وزير سلاجقة الأنَضول، والمتحكم فيها، قتله المغْلُ صَبْرًا سنة ٦٧٦هـ(٣). ويبدو أنه كان يُعظِّم الشريعة، فقد حفظ القرآن، وسمع الحديث على القونوي من كتاب (جامع الأصول)(٤) من نسخة نفيسة لعله هو من أمر بنسخها، فليس اسمه في نسخة «جماعة» الزين الرازي، فيبدو أنه سمع عليه الكتاب من نسخته قبلهم، ثمّ وقعتْ تلك النسخة الخزائنية - بشكل مِن الأشكال - إلى صوفي من

---

(١) أخطأ الدكتور ميكائيل بيرم حين قال إن هذا الوزير هو المذكور في جماعة الزين الرازي باسم: معين الدين عبد المجيد بن علي الجِيلي!

انظر: صدر الدين القونوي حياته ومحيطه ومؤلفاته، لميكائيل بيرم (ص٨٥).

(٢) صدر الدين القونوي حياته ومحيطه ومؤلفاته، لميكائيل بيرم (ص ٨٦).

(٣) تاريخ الإسلام، للذهبي (١٥/ ٣١٢-٣١٣).

(٤) مناقب العارفين، للأفلاكي (١/ ١٧١).

الأنضول يقال له نور الدين يوسف (ت٧١٢هـ)، انتقل بها بَعْدُ إلى دمشق وسكن زاوية السميساطية، ورآها الحافظ البرزالي هناك[1].

وجاء في رسالة بعثها الصدر القونوي إلى البروانة قوله بعد بيتين لشاعر معروف، و ثناء طويل: «. . . وصَلَتْ المشَرِّفةُ الكريمة، المبشِّرة بالغُنْم والغَنِيمة، والمعرِّفة بما فتَح اللَّه به للإسلام وأهله، مِن فُتوح أعَزَّ بها [أهل] الإيمان، وأذلَّ بها أهل الكُفر والطغيان، وكانت بُشرًى أورَثَتِ البهجة والسرور، ونبَّهتْ من حيث حُسْن الظنِّ بفضل اللَّه بها، تجارةً لن تَبور. وغير مَستورٍ عن عناية الحق بذلك الخيار المعظَّم - لا زال محروسَ هذه المنحة والنصرة - فإنها ليست له بأول مرةٍ، إذْ له أمثالها ماضياتٍ، ونرجوا من فضْل اللَّه أمثالَها مستقبلات، بل نقول رجاءً وتفؤُّلًا ما قال -عزَّ وعَلا-: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ [الفتح: ٢٠]، واللَّه المأمولُ مِن كرمه أن يتمَّ السرور بلقائه الكريم، ويُسبغ به على الكافَّة فراغ البالَ والأمان، بمَنِّه، إنه هو البَرُّ الرحيم. . . »[2].

ويَظهر للمتأمل في المصادر سوء العلاقة بين الوزير البروانة وبين الجلال الرومي وحُسْنها مع الصدر القونوي، فمن ذلك أننا نرى الجلال في رواية للأفلاكي قد استهان بحفظ هذا الوزير للقرآن، وسماعه الحديث على القونوي[3]، وقد كان البروانة وقاضي قضاة قونية يَعلمان أن للرومي جاهًا عظيمًا عند المغول، فلذلك لم ينبسْ الوزير ببنتِ شفة حين سَبَّ الجلالُ أميرَ المحفل كمالَ الدين سبَّة مقذعة (قال له: يا أخا القحبة. . .)، وهُمْ في زاوية الصدر القونوي، فلا عظَّمَ الوزيرَ ولا جلساء الوزير ولا زاوية الصدر،

---

(١) المقتفى، للبرزالي (٤/ ٨١).

(٢) من صورة مخطوطة متحف الرومي بقونية، نقلا عن كتاب د. ميكائيل ص ١٠٣

(٣) مناقب العارفين، للأفلاكي (١/ ١٧١).

وكذلك باءت محاولات الفقهاء في منع التَّدَيُّن بالاستماع إلى الموسيقا عند هذا الوزير وقاضيه بإخفاقات مَريرة في كل مرة، حتى إنهم جاؤوه بعد موت الجلال يقولون: ها قد مات، فامْنَع منه! فذهب الوزير إلى شيخه القونوي مستشيرًا، فنبَّهه بكلام اختلَقَه ألَّا تفعلْ، وفي ذلك تلميح منه ذكي إلى أن العلة قائمة بولده (سلطان ولد) الذي يُعلَم مِن أمره أنه خلَف أباه في العمالة للمغْل، وغير بعيدٍ أنه مَن أوعزَ - أعني سلطان ولد - إلى خلصائه منهم أن يغتالوا (أحمد الأخي) في وقتٍ عيَّنه لهم، وذلك لإنكاره في جنازة مولوي أن تُرافقها فِرْقَتُهم الغنائية[1]. ولقد سجَّل القاضي ابنُ السراج الدمشقي سوء علاقة الوزير البروانة بالجلال الرومي، ولأنه نصٌّ نادر لم يورده غيره، فإني أسوق الحادثة بلفظِ ابن السراج، قال: «الشيخُ جلال الدين، المعروف بـ(مولانا)، المقيم - كان - بقونيا من إقليم الروم، وتُرْبته الآن ظاهر قونيا أيضًا -رحمة اللَّه عليه- وكان ذا أحوال عظيمة، وخوارق قلّ نظيرها. واتفق أنَّ جماعة من تلامذته، صنع لهم طبيب أدوية، في فصل استعمال الأدوية، قيل أربعون، وقيل أحد عشر، فرأى الشيخ الأدوية، فقال: أنا أحتاج إليها، فشرب الجميع من غير استعداد، فبلغ الطبيب، فحَمَل همَّه، وكان بينهما شنآنٌ كبير، بحيث كان يصدُّه، ويقدحه[2]، وهذا الطبيب هو أكمل الدين، الرجل الفاضل الذي كان يشتغل عليه أصحاب قاضي القضاة، سراج الدين الأرموي - رحمة اللَّه عليهم - فحذَّرهم الطبيب من دخول الشيخ

(١) مناقب العارفين، للأفلاكي (١/ ٣٣٧، ٢/ ١٤٩-١٥٠).

(٢) تقرأ في أخباره كيف كان أهل الشريعة من علماء قونية ومنهم سراج الدين الأرموي (ت٦٨٢هـ) يبذلون ما في وسعهم، في جهاد رجُل المغْل، الناسك نسك الأعاجم: جلال الدين الرُّومي، وانظر نقل الإمام العيني (الذي حكم بزيغ وكفر بعض ما في المثنوي) تكفير ابن تَيْمِيَّة للجلال الرُّومي، وهذا النقل مما فاتني إثباته في أخباره. انظر: عقد الجمان، للعيني (٢/ ١٨٢)، وكشف القناع المرنى، للعيني(٢٢٨- ٢٢٩).

الحمَّام[١]، فبلغ الشيخ، فقال: قوموا بنا إلى الحمّام، فبلغ الطبيب فقال: احذروا عليه من الجليد. لأنه بقونيا، وبلاد الروم عرض الثلج بالشام، فقال الشيخ: هاتوا الجليد. ثُمَّ دخل بأصحابه الحمَّام، وصار يضع الجليد على رأسه، من غير حائل، إلى أن يذوب وتصير بلاطة الجليد في عنق الشيخ طوْقًا، ويشرب هو وأصحابه اللبن المخيض بالجليد، إلى أن أتَمَّ كذلك ثلاثة أيام بلياليها.

وفي تلك الأيام أتى البروناه - مُقدَّم الرُّوم - وأشرفَ على الشيخ من سطح الحمام مستشرفًا، وذلك لأنه سلَك أدبًا بحسبه، فلِمَ يَدخلُ على الفقراء[٢] الحمامَ؟! ولكن أخطأ بما فعل أيضًا، فقال الشيخ كلامًا معناه بالعربية: إن هذا الأمير الكذاب جاء يتطلَّع علينا، لابُدَّ أن يقطِّعوا لحمه، ويُطعموه إيَّاه، ويَضربوا عنقه!

ففُعِلَ به ذلك بعد مدة في دولة (أبَقا بن هولاكو)، فصار الطبيب بعد ذلك من أكبر محبِّيه وزائري ضريحه بعد موته[٣]!!

وهذا مولانا جلال الدين الرُّومي، من أكابر القوم، وله أحوال عالية، وآثار غالية، وأظنه لم يفعل ذلك إلا طلبًا لإصلاح علَّة الطبيب الموجبة لبغضه له، ولمثله، ورحمة له، فشَفَقَتُهم، ومروءتهم، وكرمهم وجودهم، وإحسانهم، وجبرهم، وصَفْحُهم، وعفوهم، وحلمهم إليه المنتهى، رحمة

---

(١) كان مُولعًا بالحمّام، وإقامة السماع فيه، انظر كتاب: (أخبار الجلال الرومي) في مواضع كثيرة.

(٢) المقصود من الفقراء الصوفيةُ، من مريدي الجلال الرُّومي، الذين كانوا أوشابًا من الناس، وأكثرهم من قلندرية قونية، من مريدي الشمس التبريزي، أو علي الحريري، أو جمال الدين الساوي.

(٣) نعلم من ذلك أن أكمل الدين الطبيب هذا كان حيًّا بعد سنة ٦٧٢ هـ.

اللَّه عليهم أجمعين!»[١]، ففي هذه الرواية نرى وزير الدولة الأول يصْعَد فوق حمَّام كان فيه مولاهم الرُّومي، فيا للَّه العجب! وهما احتمالان: الأول ما بلغه عن أهل الشريعة من احتواء سماعه في الحمام على ما يجاوز الموسيقا والرقص[٢]، والاحتمال الآخَر: ما بلغه من عمالته للمغول، فأحب أن يمسكه بالجرم المشهود، فما تمَّ له ذلك. بقي الجواب على ما ورد في خبر في الكتاب المسمَّى: (فيه ما فيه)، في آخِر الفصل الأول منه، من كلام للجلال غير متَّسِق مع المعروف من موقفه الموالي للمغول، فإنه في ذلك الموضع يُظهر نفْسَه في صفِّ السلطان الظاهر بيبرس (ت٦٧٦هـ) والمصريين، بلَوْمِه الوزير على مساندته المغول ضدّ المماليك[٣]، مما هو خلاف المعروف عن طاعة الرُّومي للمغول ودفاعه عنهم، في أدلة كالشمس في رائعة النهار[٤]، والتفسيرُ الذي يدنو من الصواب إن لم يَكُنْهُ، أنَّ ذلك الكلام متأخر التاريخ قطعًا، ولعله في أواخر أيام الجلال الرومي إذْ رأى تغيّر موازين القوى بين المغل والمصريين، وإذْ علم أن قلوب أهل قونية مالت علانية إلى الدولة التي ترفع راية الإسلام في مصر حتى صاروا يدعون في يوم الجمعة للسلطان بيبرس في جامع قونية[٥]، فقد تزايدت احتمالات دخول (بيبرس) إلى الأنَضول، ولا يخفى على (بيبرس) مكانة الجلال عند

(١) تشويق الأرواح، لمحمد بن السراج الدمشقي (الورقة ٢٨٣).

(٢) كما كانت الحال في حمامات الصوفي الكبير علي الحريري!

(٣) انظر ما جمعَه المولوية من كلام الجلال الرومي في كتاب: «فيه ما فيه» (ص ٤).

(٤) من شواهد كون جلال الدين أحد خفراء المغول وعملائهم، مثله في ذلك مثل(صلطوق)، و(دازلاق)، و(براق) وأمثالهم كلامه في الكتاب نفسه عن جنكيزخان حين حكى رواية للمغول، في سياق جواب لمريديه تُظهر ذلك الملك المشرك نبيًّا يوحى إليه! انظر: «كتاب فيه ما فيه» (ص ٥٥).

(٥) تاريخ الملك الظاهر، لابن شداد (ص ٣٥).

المغل، فهي مرحلة يمهِّد بها لتغيير ولائه فيما لو دخل (بيبرس) قونية فاتحًا، وقد نقل لنا الأفلاكي حال الجلال النفسيَّة في تلك الأيام، فقال: كان مولانا في أيامه الأخيرة يُقبِلُ ويُدْبِرُ في مدرسته، ويصيح ويصرخ، ويتأوَّه ويضطَّرب، ونقَل - أيضًا - أنه أسرَّ لزوجته قائلًا: إنني أفكّرُ كيف ستكون مِيْتَتِي[(١)]. وإذا كان الظاهرُ (بيبرس) يطلُبُ ابنَ سبعين بسبب انتمائه لأشراف مكة[(٢)]، الذين كانوا «يهتدون بأفعاله، ويَعتمدون على مقاله!»[(٣)]، فقَمِنٌ أنه كان لمن انتمى للمُغْل أطْلَب!، ولأمرٍ ما لم تطأ قَدَمٌ للجلال ولا للصدر، أرضَ الشام مُذْ تولَّى أمرها المماليك.

قال (سلطان ولد) ضمن قصيدة فارسية يمدح فيها مدينة قونية، وهي ترزح تحت وطأة ظلم ولاة المغْل، وضَمَّنها بيتًا في ذمِّ المصريِّين فقال بعد مطلَعِها:

أيْ قونيه كه بر سباهي در خُطه روم تختكاهي

أيْ مصر به بيش اين جنين شهر بس خرد وحقير همجوكاهي

وترجمة البيت الأول بالعربية: يا قونية، يا بلدة ملؤها العسكر، أنت قاعدة بلاد الروم، (والبيت الثاني): فيا مصر، إنك لتصغُرين حقيرة بجنب مدينة قونية حتَّى لكأنكِ قِشْرة شَعِيرة![(٤)].

---

(١) مناقب العارفين، للأفلاكي(١/ ١٥١، ١٥٢)، ونقل عن العفيف التلمساني ما يشبه هذه الحال من التغير والاضطراب والتأوه. انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٢/ ٢٦٨).

(٢) تاريخ الإسلام، للذهبي (١٥/ ١٧٠).

(٣) عنوان الدراية، للغبريني (ص ٢٧٨).

(٤) ديوان سلطان ولد بالتركية (ص ١٢٤)، وقد أهدى (سلطان ولد) بعض شعره بالفارسية (ولد نامه) إلى (كيخاتو بن هولاكو) (ت٦٩٤هـ) دائرة المعارف الإسلامية (١٢/ ٩٦)، وانظر كتاب (أخبار جلال الدين الرُّومي) وكتاب (الصوفية القلندرية)، ففيهما ما ترجم من أخبارهم في الولاء للمُغْل.

ويُعلم أن الرايات البَيْبَرسية رُفعتْ في قونية مدة ٣٧ يومًا[١]، في وقت قصير، بعد موت والده الجلال الرومي.

٣- صائن الدين، محمد بن محمد بن موسى الهُذَلي البصري (ت٦٨٤هـ)، نزيل مدينة قونية، نقل الذهبي أنه كان شيخ القراءات في بلاد الأنَضول، وقال إنه لم تبلُغه ترجمته كاملة، فلم يَعرف مِن اسمه إلّا الأوّل منه، وأَخبر أنه دخلها، وقد شاخَ وكَبُرَ[٢]، (ورد اسمه في «الجماعة» مع الزين الرازي في الجزء الرابع من أجزاء مخطوطة جامع الأصول)، وهو الإمام الذي سَخِر منه الجلال الرومي، صاحب المثنوي، لأنه قرأ سورة الضُّحى بالإمالة، على قراءة الكسائي! وكانا حاضرَيْن مراسمَ إجلاس شيخٍ من المشايخ على «بساط» مشيخةِ مدرسةٍ في قونية[٣].

(١) تاريخ الملك الظاهر، لابن شداد (ص١٧٩-١٨١).

(٢) تاريخ الإسلام (١٥/ ٦٢٠)، ومعرفة القراء الكبار (٢/ ٦٣٧)، والعِبَر في خبر من عَبَر (٣/ ٣٥٥) وجميعها للذهبي.

(٣) مناقب العارفين، للأفلاكي (١/ ٣٠٩).

سمع هذا المجلد من أوله إلى آخره على مولانا وسيدنا الشيخ الإمام العالم العامل الراسخ الكامل
المكمل قدوة أكابر المحققين إمام أئمة العلماء الراسخين سيد صدور العالمين حجة الله على الخلق في الأرض
صدر الملة والدين أبي المعالي محمد بن إسحق بن محمد بن يوسف بن علي أسبغ الله على الكافة ظلال بركاته المولى
الشيخ الإمام العالم الفاضل زين العلماء قدوة الفضلاء محيي السنة ناصر الشرع [illegible] زين الدين أبو عبد الله
محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي مد الله في حياته والمولى الإمام العالم العامل الفاضل ملك الحفاظ
سيد القراء صاين الدين محمد بن محمد بن موسى الهذلي البصري والمولى الإمام العالم العامل الفاضل تقي الدين
أحمد بن الأسعد السنجاري أدام الله بركتهما والمولى الإمام العالم العامل الفاضل رضي الدين يوسف بن إسمعيل بن إبرهيم
[illegible] دامت بركته والمولى الإمام العالم الفاضل نجم الدين يعقوب بن يوسف القراغاجي دام فضله والمولى الإمام
الفقيه شمس الدين محمد بن عمر القونوي والمولى الإمام العالم معين الدين عبد المجيد بن علي الحلبي والمولى الإمام العالم
الحافظ شهاب الدين أبو بكر بن محمد الهمذاني أبوه والمولى الإمام العالم جمال الدين محمد بن علي بن أبي نصر الأصفهاني أبوه
والمولى الإمام الفاضل كمال الدين إسمعيل بن عبد الملك التبريزي أبوه والمولى الإمام الحافظ زين الدين محمد بن مسعود
والمولى الإمام الفاضل الحافظ شرف الدين إسحق بن علي القونوي والمولى الإمام الحافظ علاء الدين علي بن عمر والمولى الإمام
الحافظ أمين الدين عبد الله الصوفي عتيق أخي محمد [illegible] والمولى الإمام الفاضل شرف الدين عمر بن الغزال
والمولى الشيخ كمال الدين علي بن عبد العزيز وولده عبد الغفار والشيخ الفاضل نجم الدين عمر بن أسعد التبريزي
أبوه أحد خدام مولانا وسيدنا الشيخ المسمع أدام الله ظله والمولى الإمام العالم الفاضل زين الدين محمود بن محمد وهو ابن أخت
المستوفي [illegible] واتفق السماع بقراءة كاتب الطبقة أحمد فقراء مولانا وسيدنا الشيخ المسمع أدام الله ظله [illegible]
[illegible] عبد الله عفا الله عنه وكاتب الطبقة [illegible]

صح السماع المذكور أعلاه لمن ذكر فيه وكتب العبد الفقير إلى الله تعالى
محمد بن إسحق بن محمد بن يوسف بن علي حامدا لله ومصليا ومسلما [illegible]

№ 3930

أسماء «الجماعة» الذين سمعوا على القونوي كتاب (جامع الأصول) وبينهم الإمام صائن الدين الهذلي البصري.

٤- سليمان بن علي بن عبد اللَّه بن ياسين، عفيف الدين، التِّلِمْساني الكُومي (نسبة إلى «كُوْمِيَه» قبيلة بالمغرب، وقد تصحَّفتْ في بعض نسخ المصادر إلى: الكوفي!)، قال الذهبي: «وكتب بخطِّه: مولدي سنة ست عشرة وستمئة (٦١٦هـ)»، ومات سنة ٦٩٠هـ[١]. وهو أشهر تلاميذه، بل يَقْدُمهم إذا ذُكِروا، ممَّن لم ينسهم القونويُّ في وصيَّته، وكان من المغاربة الذين دخلوا الأنَضول، ومكث بها أكثر من أربع سنواتٍ[٢]، قال الذهبي عنه: «خَدَم في جهات المكْس، وغيرها. وسَمِع وحدَّث بشيء من «صحيح مسلم» عن ابن الصلاح، والسخاوي، وجماعة. كتب عنه بعض الطلبة. وكان يُتَّهم بالخمر والفسق والقيادة. وحاصل ما يقال في أمره إنه كان من غلاة الاتحادية القائلين بوحدة الوجود، وأن عين الموجودات هي ذات اللَّه، تعالى اللَّه عن قولهم علوًّا كبيرًا»[٣]، وأطلق عليه في كتابه (العِبَر): «أحد زنادقة الصوفية»[٤]، وذكر المؤرخ د. ميكائيل بيرم أن العفيف التلمساني تزوج سُكينة بنت الصدر القونوي، ولم يُحِلْ إلى مصدر بل قال باحتماله، وعلَّل ذلك بأنه لو لم يكن صِهْره ما كان أوصى إليه بمؤلفاته![٥]. وسيأتي مزيد كلام على بعض شأنه، عند فصل: «شاهِدِيَّة» شيخِه القونوي.

٥- محمد بن أبي بكر، شمس الدين الفارسي الأيْكِي (ت٦٩٧هـ)، قرأ عليه (جامع الأصول في أحاديث الرسول) مع سعيد الدين الفرغاني. وكان صاحب عفيف الدين التلمساني، وكانا على مذهب فلسفي واحد[٦].

---

(١) تاريخ الإسلام، للذهبي (١٥/ ٦٥٩).

(٢) تاريخ حوادث الزمان وأنبائه، لابن الجزري (١/ ٨٠).

(٣) تاريخ الإسلام، للذهبي (١٥/ ٦٥٥). (٤) العبر، للذهبي (٣/ ٣٧٣).

(٥) صدر الدين القونوي، حياته ومحيطه ومؤلفاته، لميكائيل بيرم (ص ١٢، ٩٩).

(٦) تاريخ الإسلام، للذهبي (١٥/ ٩٠٩). والقول المنبي عن ترجمة ابن العربي، للسخاوي (٢/ ١٢٠). قلت: وقد لقيَ شيخُ الإسلام ابنُ تيميةَ ولدًا للفرغاني، ونصَحَهُ وبين له فساد قول الوجودية. انظر: الرد على الشاذلي، لابن تيمية (ص ١٧٥- ١٧٦).

٦- **مُحَمَّد بن أحمد الكاساني الفرغاني**(ت ٦٩٩هـ)، شيخ خانقاه الطاحون في دمشق، تولّاها، فيما يُظن، في سنة ٦٥٤هـ، بعد وفاة شيخها بدر الدين المراغي، وكان مشهورًا في زمنه بـ(الشيخ سعيد). قال عنه الذهبي: «كان من رؤوس الإتحادية»[١]، وهو مَن عناهُ ابنُ تَيْمِيَّة في بعض كتبه بأنه أحد مدَّعي العرفان - ولم يسمِّه - وأنه «كان يعتقد صحة قصيدة الشاعر الحلولي ابن الفارض، لكونه قرأها على القُونَوِي!»[٢]، ولذلك كتَب شرحًا لها[٣]، ويُفهم أنَّ القُونَوِي كان يُقرئ الحديثَ إلى أيامه الأخيرة، مِن سماعٍ للفرغاني بخطِّه، على نسخة كتاب (جامع الأصول)، أحدها بتاريخ سابع عشر شعبان سنة ٦٧٠هـ[٤].

٧- **مؤيد الدين بن محمود بن صاعد بن مُحَمَّد الجَنَدي**، أول شارح لـ(فصوص الحكم)، ومنه نسخة في مكتبة الملك عبد العزيز (وقف مكتبة المحمودية برقم ١٥٦٩) بالمدينة المنورة. ذكر ناسخُها نقلًا عن أحدهم أن مؤيد الدين الجَندي سِبْطُ ابن عربي الطائي. مات سنة ٦٩٩هـ[٥].

٨- **محمود بن مسعود، قطب الدين الشيرازي**(ت ٧١٠هـ) الفيلسوف، تَلْمَذ - أيضًا - للنَّصير الطوسي، ولازمَه، «واجتمع بـ(هولاكو)، و(أباقا)، وقال له (أباقا): أنتَ أفضل تلاميذ النصير، وقد كَبُر، فاجتهِدْ حتَّى لا يفوتكَ شيءٌ من علمِه، قال: قد فعلتُ، وما بقي لي حاجة. ثُمَّ دخَل الرُّوم (الأنَضول)، فأكرمَه (البرواناه)، وولَّاه قضاءَ سيواس، وملَطْيَة»، وما زالت

---

(١) تاريخ الإسلام، للذهبي (١٥/ ٩٠٩) والعِبَر، له (٣/ ٣٩٩).

(٢) درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (٣/ ١٦٥)، وذيل مرآة الزمان، لليونيني (١/ ٤٣١-٤٣٢).

(٣) وقد سمَّاه في موضع آخر، ويُفهم أنه قرأ شرحه. انظر: الرد على الشاذلي، لابن تيمية (ص١٧٦).

(٤) نسخة مكتبة (يوسف أغا) في قونية.

(٥) وفي كشف الظنون للحاج خليفة عند ذِكْر اسمه كلمة (الخاتمي) فلعلها بالمهملة (الحاتمي) (٢/ ١٢٦٣).

ملوك المغْل تعظِّمُه، وتُنيله الدراهم بالعشرات المؤلفة كل سنة، وتُلَبِّي طلباته إلى آخِر حياته[١]، وكان ممن روى عنه كتابَ (جامع الأصول)[٢].

□ تلاميذ مقرَّبون ذَكَرهم في وصيَّته:

يبدو أن بعض تلاميذه جمعوا مع المكانة الخاصة منه فقرَ ذات اليد أيضًا، فكانت لهم من شيخهم عطايا مالية بعد وفاته قد وثَّقها كتابة في وصيته، وهم مع العفيف التلمساني:

١- بدر الدين عمر.

٢- شهابَ الدين الأبْراري.

٣-فخر الدين العراقي، الشاعر الفارسي، القلندري المشْرَب، صاحب كتاب (اللَّمَعات)، المتوفَّى بدمشق سنة ٦٨٦هـ[٣].

٤- كمال الدين الملازم.

٥- محمد النَّخْشواني.

٦- ضياء الدين محمود، وللعفيف التلمساني مديح فيه في كتابه (شرح الأسماء الحسنى) حيث قال: «أخي في اللَّه تعالى، وفي الخرقة الشريفة، خادمُ شيخنا، الشيخ الوارث قطب الحقيقة، صدر الدين القونوي - رضي اللَّه عنَّا به - وهو السيد العارف ضياء الدين محمد بن محمود متَّعَ اللهُ بطول حياته!»[٤].

---

(١) انظر ترجمته في ذيل التاريخ، للذهبي(ص ١٠١، ١٠٢).

(٢) وذيل مرآة الزمان، لليونيني (٢/ ١٣٩٠)، و ذيل تاريخ الإسلام، للذهبي (ص ١٠٠)، أعيان العصر، للصفدي (٥/ ٤١٠) الدرر الكامنة، لابن حجر العسقلاني (٤/ ٢٠٧-٢٠٨).

(٣) كشف الظنون، للحاج خليفة (٢/ ١٥٦٢).

(٤) شرح الأسماء الحسنى، للعفيف التلمساني (الورقة ١٠٤).

ومحتمل أن يكون حمزة والد الملَّا الفناري أحد تلاميذه[١].

□ **مِن رفقائه في طلب الحديث:**

١- عباس بن بزوان بن طرخان بن بزوان، أبو الفضل الشيباني الموصلي، كمال الدين، نزيل القاهرة، كان معه في مجالس سماع الحافظ يوسف بن خليل الدمشقي في حلب في العشر الأخر من شهر ربيع الآخرة سنة ٦٤٠هـ، توفي سنة ٦٥٢هـ[٢].

٢- محمد بن يوسف بن محمد، الفخر الكَنْجي، نزيل دمشق، عُني بالحديث ورحل وحصَّل، وكان كثير الكلام، يميل إلى الرفض، وجمع كتبًا في التشيُّع، وداخَل المغول، وقتل سنة ٦٥٨هـ[٣].

٣- لؤلؤ بن عبد اللَّه، مملوكه.

٤- محمد بن الحسن بن الإمام الخُوَيِّي، أبو حامد، إمام الدين.

٥- إساعيل بن محمد بن شعيب الرومي التبريزي.

٦- محمد بن محمد بن أبي الكرم الواسطي، أبو حامد.

٧- أبو بكر بن شداد بن زنكي التبريزي، مجد الدين[٤].

هؤلاء جميعًا، ومعهم ولد للأوَّل يقال له: أبو الفتح محمد، كانوا في مجلس سماع الحافظ يوسف بن خليل، في حلب من التاريخ أعلاه.

---

(١) الشقائق النعمانية، لطاشكبري زاده (ص ١٨).

(٢) ترجمته في تاريخ الإسلام، للذهبي (١٤/ ٧٢٥).

(٣) ترجمته في تاريخ الإسلام، للذهبي (١٤/ ٩٠٠).

(٤) ما وقفت لهذا ومن قَبْله على ترجمة.

□ **ثروته:**

مرَّ بك أن أباه تسنَّمَ الوزارة في بلاط سلطان السلاجقة، وأن أمَّه تزوجت من ابن عربي، فما يَبْعُد لو قلنا: إنه أصابه مِن إرثهما سهمٌ وافرٌ، ويُسوِّغ هذا أنه حين استقرَّ في قونية سنة ٦٤٥ هـ، وقد كان قبل ذلك قد مكث مدَّةً في حلب، (يمكننا تحديد زمن وجوده في حلب باليوم وذلك من تاريخ انتهائه من كتابه: «النفحات الإلهية» أنه كان فيها ليلة الأحد تاسع شهر شعبان سنة ٦٤٠هـ)، اتخذ مسكنًا بها وزاوية، قد صوَّرتْه روايات مصدر أوّل في فخامة قَصْر، ويؤخذ من نصٍّ وَقْفِيةٍ كتِبَتْ على باب مسجده في قونية، باقيةٍ حتَّى اليوم، أنه ابْتَنَى ذلك المسجدَ وغيره، في أواخر شهور حياته، مما يعني أنه لم يُنكب في ثروته من المغول وعمالهم، وهذا نصّ الوقفية: «أُنشئت هذه العمارة المباركة مع التُّربة التي فيها، للشيخ الإمام الشيخ المحقق العالم الرباني صدر الدين مُحَمَّد بن إسحاق بن مُحَمَّد، رضي اللَّه عنه، ودار الكتب التي فيها له - أيضًا - مع كتبه الموقوفة عليها، كما ذَكر ذلك، وشرَط وبيَّن في الوقفية برسم الفقراء الصالحين مِن أصحابه المتوجهين بقلوبهم وقالبهم إلى اللَّه تعالى في شهور سنة ثلاثة وسبعين وستمئة»[1].

و هذه واحدة من روايات الأفلاكي تحكي بعض مظاهر ثروته في قصة تاجر من (تبريز) أراد زيارته، قال الأفلاكي: «. . . فلما جاء التاجرُ التبريزيُّ باب الشيخ صدر الدين، رأى هنالك عديدًا من الخدّام، وأركان المعيَّة، والحِسان، والعبيد[2]، والحُجَّاب، والبوَّابين، والخِصْيان. فحين مَلأ عينيه

(١) تاريخ قونية، لإبراهيم حقي القونوي (ص ٤٨٧).
(٢) وسيأتي ذكر رواية فيها تشبيه الجلال الرومي عيشةَ القونوي بعيشة الملوك، وتلك عهود على ما قاله التاج السبكي في كتابه: (معيد النعم، ٣٤، ٣٥) كاد بعض سلاطينها يستغنون بالذكور عن النساء، فكانوا يتخذون «الجمدارية» وهم في الغالب صبيان ملاحٌ مردٌ، كانوا يلازمونهم حتَّى=

مما رأى، قال وهو يُغالب خيبة الأمل: «أنا ما جئتُ بيتَ صوفي، قد أتيتُ بيتَ أمير!»، فقال الذين هُمْ هنالك: إن حال الشيخ هذه لا تضرُّه، لأن له روحًا ناضجة، إنها كالحلوى لا تضر الطبيبَ إذا أكلها، وهي للمريض المحموم ضارة، فلأجل ذا لا يَصلح للمريض أكلها!»[1].

□ **وصِيَّتُه:**

نصُّ الوصية[2]:



«يقولُ العبدُ الفقير إلى رحمةِ اللَّه تعالى، ورضوانهِ - الخالص - وعفوه، وغفرانِه، مُحَمَّدُ بنُ إسحاق بنِ مُحَمَّد بن يوسف بن عليّ، كاتبُ هذه الوصيَّةِ، مُشْهِدًا على نفْسِهِ مَن حضَرَه مِنَ المؤمنين، ومَن غاب عنه، لِمَن يُقَدَّرُ وُقُوفه

= وقت نومهم، وكانت ملابسهم مهيجة للشهوة، أرْبَوْا في ذلك على النساء، وكانوا يفتنون الناس بجمالهم.

(١) مناقب العارفين، للأفلاكي (١/ ١٣٦).

(٢) وقفتُ لهذه الوصية على ثلاث نُسَخ، وهي:

أ- نسخة: «حاجي محمود» (برقم ١٩٤٠، الورقة ٤)، قال ناسخها: «نقلت هذه الوصية من خط الشيخ الكامل: أَقْ شمس الدين، حيث قال في آخر كتابه: كَتَب هذه الوصية مُحَمَّد بن حمزة الملقب: بأَقْ شمس الدين، سنة ستة وخمسين وثمانمئة (٨٥٦هـ) في بعض سباه سلطانية (. . .) على البحر عند قسطنطينية، رحمةُ اللَّه لمن أوصاه، ولناقله، وناقل ناقله! فتأمَّل، وصحِّح بقَدْر الطاقة».

ب - ونسخة: أسعد أفندي (برقم ٣٨٤١)، وهي الوحيدة التي بها تاريخ النسخ، وهو الثالث والعشرون من ربيع الأول سنة ١١٠٩ هـ، وقد تفضل بإرسال مصورتهما، الأستاذ المحدِّث يوسف أوْزْبَك، شكر اللَّه له.

ج - ونسخة: شهيد علي باشا، (برقم ٢٨١٠).

على هذه الوصية، إنه: مؤمنٌ بأنَّ اللَّه - سبحانه - واحدٌ، أحدٌ، فردٌ، صمدٌ، ولم يَلِد، ولم يُولد، ولم يكنْ لَه كُفوًا أحد، وأنه بَعَثَ مَنِ اختارَ مِن صفوتِهِ إلى خَلْقِهِ، عُمومًا، كنبيِّنا مُحَمَّد ﷺ وعلى آله، وخُصوصًا، كباقي المرسلين إلى طائفةٍ مخصوصةٍ حَقٌّ، وأنَّ الجميع صدَقُوا فيما أَخبروا أُممهم عنِ اللَّه تعالى، وحَكَمُوا بِهِ قَبلَ نَسخِ شرائعهم، وتَيقَّن أنَّ القيامةَ حقٌّ، وأنَّ الجنَّةَ حقٌّ، والنارَ حقٌّ، وتجَسُّدَ الأعمالِ، وقَبُولها الوَزْنَ حقٌّ، **وتحوُّلُ الحقِّ في الصُوَرِ الاعتقادية**، بحَسْبِ اعتقادِ أهلِ العقائد حقّ[1]، والنَّعيم والعذاب المحسوسَين، والمعنويين حقٌّ، والصراطَ حقٌّ، والبَرْزَخ المتوسط بين الدنيا والآخرة حقٌّ، وتفاصيل ما ثَبَتَ عن نبينا مُحَمَّد ﷺ أنه أخبرَ به مِن أحوالِ الآخرةِ، والجنة والنارِ، وشؤون الحقِّ وصفاته، وأفعاله في كل موطن حق، على هذا أحيا وعلى هذا أموت، إن شاء اللَّه تعالى.

وأُوصِي أصحابي، ومَن انتسبَ إليَّ[2] بالمبادرة بعدَ دَفْني في عموم مقابر المسلمين، أولَ ليلةٍ بقراءة سبعين ألف مرَّة ذكر: «لا إله إلا الله»، ثُمَّ ينفرد كلّ منهم ممن يحضر وفاتي بقول: «لا إله إلا الله» سبعين ألف مرة بحضور وسَكينة ووقارٍ، يَبتغون بذلك كله براءتي من عذاب اللَّه مطلقًا، وأن يعتقني اللَّه تعالى من جميع أنواع عذابه، وعقوباته، وأحكام سَخَطِه، رجاءَ الإجابةِ مِنَ اللَّه سبحانَه، بموجِبِ تَصدِيقنا ما بلغنا في ذلك عن مُحَمَّد رسول اللَّه ﷺ.

وأُوصِيهم -أيضًا-: أنْ يَغسِلوني بِمُقْتَضى ما هو مذكورٌ في كتبِ الحديث، لا بمقتضى ما ذُكِرَ في كتب الفقه، ويُكَفِّنُونَني في ثيابِ

---

(١) كما قال في شرح بل في تحريفِ معنى حديثٍ من الأحاديث: «فهو عين كل معتَقِد، وعين كل معتَقَد». شرح الأربعين حديثًا، للصدر القونوي (ص ٢٦).

(٢) ويُعَرَّفون في بعض المصادر بـ(الصَّدْريَّة).

الشيخِ، رضي الله عنه(١)، وفي إزارٍ أبيضَ - أيضًا - ويَبْسُطوا في اللَّحدِ سجادةَ الشيخ: أوحد الدين الكرماني، رضي الله عنه، ولا تَصحبوا جنازتي أحدًا، مِن قرَّاء الجنائز، ولا تَبْنُوا على قبري عمارةً، ولا سَقْفًا، بَلْ تَبنونَ نَفْسَ القَبرِ بحجارةٍ وَثيقةٍ، لا غيرَ، وذلك لئلا يَنْدَثِرَ القبرُ، ويَعْفوَ أثرُه، وَليَتصدَّقوا يومَ دَفني بألفِ درهمٍ على ضُعَفاء الفقراء والمساكين مِنَ الرِّجالِ والنِّساء، وخُصوصًا منهم الزَّمْنى، والعُميان، ويُعطَى لكلِّ أحدٍ مِن ملازمي البيتِ مِنَ الأصحابِ مئةَ دِرهمٍ، ويُعطُوا شهابَ الدين الأبْراري، مِنْ هذه الألفِ مئةَ درهمٍ، والكمالَ الملازمَ، والشيخَ مُحَمَّد النَّخْشوانيِّ مئةَ درهمٍ أيضًا، وثيابي تُقَسَّمُ على الأصحابِ، لكلِّ أحدٍ بحسبِ ما يَليقُ بهِ، على نَحوٍ ما يتفقون عليه، ويُبلِّغُوا سلامي إلى ضياء الدين محمود، ويَحْملوا إليه بعضَ ثيابي تذكرةً - وكذلك بدرُ الدين عمر، ولكُلٍّ واحدٍ منهما سجادة مِن السجادات التي أصلي عليها.
وكُتبِيَ الحِكَمِيَّةِ تُباعُ ويُتَصدَّقُ بثَمَنِها(٢)، وباقيها مِنَ الطِّبِّياتِ، والفِقْهيَّات، والتفاسيرِ، والأحاديثِ ونحوها، تكونُ وَقْفًا بدمشق، ويُعطَى لِمَنْ يَتَقَرَّبُ إلى اللَّه بِحَمْلِها إلى هناك، وإيصالها إلى عفيف الدين(٣)، ووصيَّتِه عليها، خمسمئة درهم، وتصانيفي تُحْمَلُ إلى عفيف الدين، لِتكونَ له تَذكرةً مني، مع الوصيةِ ألا يَضِنَّ بِبَذْلها على مَن يرى أهليَّةَ الانتفاعِ بها.

وأُوصِي ابنتي السُّكَيْنَةَ - وفَّقَها اللَّه تعالى - على مواظبةِ الصلاة، وسائر الفرائضِ، ودوامِ الاستغفارِ، وحُسْنِ الظنِّ باللَّه، وأُوصِي أصحابي ألَّا يَخُوضوا بَعْدِي في مُشْكلاتِ المعارف الذَّوقِيَّةِ - مُجْملاتها - بَل يَقْتصروا

(١) يعني ابن عربي.
(٢) كتبُه مُرْدِيةٌ، حتى قليل الخُبْر بها يَعلم أنها لا تُشْبه كلام مُهْتَدٍ يَبغي الهداية بالإيضاح والتبيين، فلو كان قد رجع عن وجوديته لأمر بحرق كتبه أو غسلها، لِيُفادَ من ورقها، لا أن يتسبب في إضلال غيره حين تنتقل إلى قرَّاء آخرين!
(٣) يعني: التلمساني.

على تأمُّل الصَّريح منها، والمنصوصِ دونَ نِيَّةٍ بتأويلٍ، فيما سوى الجَلِّي الصريح، وسواء كان ذلك في كلامي، [أو] كلام الشيخ[١]، رضي الله عنه، فهذا بابٌ مَسدودٌ بَعْدي، فلا تَقْبلُوا كلامًا مِن ذَوقِ أحَدٍ، اللهمَّ إلا مَن أَدركَ منهم الإمامَ المهديَّ، فلْيُبَلِّغْهُ سَلامي، وليأخذْ منهُ ما يُخْبِرُ به مِنَ المعارفِ، لا غيرَ!

ولْيَقْتَصِروا - الآن - بعد الاختصار على الصريحِ والجليِّ مِن كلامي، وتصانيفي، وتصانيفِ الشيخ، رضي الله عنه!

وليتمسكوا بالكتابِ والسُّنةِ وإجماعِ الأمة، ودَوامِ الذِّكر، والاشتغال بتفريغِ القَلبِ لمواجهةِ جَنابِ الحقِّ، بموجبِ ما ذَكَرْتُه في «الرسالة الهادية المرشدة» وحُسن الظنِّ باللّه، ولا تَشتغِلوا بشيء من العلوم النظرية وغيرها، بل يقتصروا على الذِّكر، وتلاوةِ القرآن، والمثابرةِ على الأورادِ الموظَّفة، ومُطالعةِ ما سبقَت الإشارة إليه في الصريح الجَلِّي مِنَ الأذواق المذكورة.

ومن كان مُتجرِّدًا، فليقصِدِ المهاجرةَ إلى الشام، فإنه ستحدُث في هذه البلادِ فتنٌ مظلمة، يَعْسُر سلامة الأكثرين منها. ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [غافر: آية ٤٤].

وأوصي الفَخْرَ[٢] على التَّعْيين بالمهاجرة إلى الشام، فإنه الآن مجرَّد، وإياه أن تَحْمِله الشَّفَقةُ الطبيعية على ابنتِه، فيختار الإقامة هنا، لأنه سيندم حين لا ينفع الندم، وإنَّ اللّه حسبُ مَن اتَّقاه، وسلَك سبيلَ هُداه.

ولْيَذْكُرني -معاشر الإخوان والأصحابِ- في صالحِ دُعائهم، وليَجْعلوني في حلٍّ من كلِّ حقٍّ يَتَعيَّن لهم عليَّ شرعًا، ولتَطْلبوا المحالَلة من جميع المعارف.

---

(١) يعني: ابن عربي.

(٢) يعني: فخر الدين، تلميذه القلندري، الشاعر الفارسي الذي مرَّ في المقرَّبين من تلاميذه.

ومَنْ زَعمَ أنَّ له حقًّا عليَّ مشروعًا ويتقاضاهُ صاحبه، ولم يحالِلْ، فليخبر ابنتي سكينة بذلك لتُرضيه بما شاء.

أقولُ قولي هذا، وأستغفرُ اللَّه لي ولكم، وأَختم وَصيتّي بقولي: سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنتَ، أستغفرك وأتوبُ إليك، فاغفرْ لي وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم».

هذه وصية الشيخ الكامل صدر الدين القونوي قدس الله سره

بسم الله الرحمن الرحيم يقول العبد الفقير الى رحمة الله ورضوانه ولطفه الخاص وغفرانه محمد بن اسحق
بن محمد بن يوسف بن علي كاتب هذه الوصية مشهدا على نفسه من حضره من المؤمنين ومن غاب
عنه ممن يقف على هذه الوصية انه مؤمن بان الله سبحانه واحد احد فرد صمد لم يلد ولم يولد
ولم يكن له كفوا احد وان بعثته من اختاره من صفوته الى خلقه عموما كنبينا محمد صلى الله عليه وسلم
وخصوصا كانبيائه المرسلين الى طائفة مخصوصة حق وان الجميع صدقوا فيما اخبروا [illegible] عن الله تعالى
وحكموا به قبل نسخ شرائعهم [illegible] وان القيامة حق وان الجنة حق والنار حق وتجسد الاعمال
وقبولها الوزن [illegible] وتحول [illegible] من الصور الاعتقادية بحسب ادراك [illegible] حق والنعيم والعذاب
الجسمانيات والعقوبات حق والصراط والبرزخ المتوسط بين الدنيا والاخرة حق وتفاصيل
ما ثبت عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم انه اخبر به من احوال الاخرة والجنة والنار وشؤون الحق [illegible]
تعالى في كل موطن حق على هذا احيى وعليه اموت ان شاء الله تعالى واوصي [illegible]
بمبادرة بعد دفني في عموم مقابر المسلمين اول ليلة بقراءة سبعين الف مرة ذكر لا اله الا الله
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

إحدى النسخ المتأخرة من وصية الصدر القونوي

□ **وفاته:**

كانت وفاته في قونية، في سابع عشر المحرَّم سنة **٦٧٣** هـ[١]، ودفن في موضع بُنيَ بُعَيْد وفاته مسجد بجنبه، وفي عليَّة المسجد غرفة أوقف عليها كتبه وشرط ألا تخرج إلا برهن وثيق، ويُلحَظ أن قبره غير محتفًى به احتفاءهم بقبر الشاعر الجلال الرومي، فلا مقاربة في زخرف ما بينهما، ويمكن القول بالنظر إلى معماري بناء قبرَيِ الرجلَيْن: إنَّ العداء المتوارث بين الطريقتين، المولوية والصدرية، قد تجلَّى في المظاهر!

وأما قول ابن السرَّاج عن الصدر القُونوي إنه توفي: «بعد التمَكُّن التامِّ ظاهرًا وباطنًا، وخضوع الملوك ونظائرهم له، وطاعتهم لأمره ونَهْيه!»[٢]، فهو وَهْمٌ منه أوتزيُّد، فإن قوله هذا ينطَبِقُ بحذافيره على الجلال القونوي، لا على الصدر القونوي، ولو رأى ابن السرَّاج وصية القونوي لتنبَّه من وَهْمِه، إذْ ما الذي يَدْفَع رجُلاً - هذا وصْفُه - أن يُوصي أصحابَه وأنصاره بالهجرة إلى الشام، وحمل «مكتبتِه» إليها؟! نَعَمْ، حسْبُه أن يكون من وجهاء البلدة مَرضيًّا عنه من المغول، أو متصدَّقًا منهم - عليه - بروحه!

ولا يُعْلَم أَنَسِيَه ابن بَطوطة (ت٧٧٩هـ)، فلم يأتِ باسمه في رحلته، أمْ أنَّ أهل قونية لم يأخذوه إلى قبره، وكذا البدر العيني جاءهم في قونية فذهبوا به إلى قبر الجلال الرومي، وما أخبر أنهم كانوا يُغالون في تعظيم القونوي، فيُفهَم أنهم تغاضَوا عنه عمدًا.

وقد لحظ ذلك التغاضي والتناسي لأمر القونوي بعضُ المتأخرين من الصوفية الذين تكاثرتْ تصنيفاتهم، كالصوفي المشهور عبد الغني

---

(١) تاريخ الإسلام، للذهبي (١٥/ ٢٦٦).

(٢) تفاح الأرواح، لابن السراج الدمشقي (المنقول ٢٠٦).

النابلسي(ت ١١٤٣هـ)، وله في ذلك تعليل فَسْل، إذْ زعم أنه كالذي كُوفِئ على ذلك بأن كان زُهْد الصَدْر القُونَوِي بعدَ وفاتِه! وزُهْد جلال الدين الرُّومي في حالِ حياتِه، وتعليله أنَّ وَجَاهَةَ صَدْر الدِّينِ القُونَوِي كانت في الحياةِ، وإخمالَ ذِكْرِه بَعْدَ الوفاةِ، وجلال الدينِ على العكسِ مِنْ ذلك!، وهذا ترديد باردٌ لأكاذيب المولوية؟!"[1]. ولو قال: إن الأول كتب في الفلسفة لخاصة الصوفية، والآخر قال الشعر والحكايات للعامة منهم، لأشْبَه الواقع الذي كان من أمرهما في شيء!

* * *

(١) انظر: الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، لعبد الغني النابلسي، (ص٦٢).



القسم الثاني

الكلام عليه، وعلى الطارِقِين طرْقَه

□ نظرة تحليلية لوصِيَّة القونوي:

ليس ثَمَّة ما يدعو إلى الشك في نسبة هذه الوصية إلى الموصِي بها: الصدرِ القونوي، وإنْ لم يُعْثَر على نصِّها أو ذِكْر أنه كتبَها في مصدرٍ أوَّل، فإنه يكفي أنها معروفة عند صوفية الأنَضول، فقد رآها (أَقْ شمس الدين) ونَسَخَها، وأنَّ متْنَها متوائم مع شخصيته، زِدْ على ذلك أنَّ فيما ذَكَره الذهبيُّ، في ترجمة القونوي، مِن أنه أوصى بحَمْل تابوته إلى دمشق، وأن يدفن مع شيخه ابن عربي، فلم يتهيَّأ له ذلك، ما يُقَوِّي تلك النسبة. فأنت ترى أنه أوصى مريديه بنقل جثته، وذلك وإنْ دلَّ على أنها وَصاة شفهية، ولكنه لا ينفي أن يكون حَرَّرَ معها - قَبْلها أو بَعْدَها - ما فصَّله في قرطاس.

فإن قيل: أين في الوصية ذِكْرُ حَمْلِ تابوته إلى دمشق؟ فالجواب المحتمل أنه إمَّا أن يكون قد ألغى من الوصية تلك الفقرة - وللمَرْء أن يُجَدِّدَ في وصيَّتِه ما عَنَّ له فيها - لمّا ظهر له صعوبة ذلك سياسيًّا وأَمْنيًّا، وهي صعوبة أشار إلى كِبارها في الوصية بـ«الفِتَن المظلمة»، ويعني حال العداء المسْتَعِر القائم بين دولَتَيْ المغْل والمماليك[١]، وكثرة الهَرْج وقِلَّة الأمان في الطريق، وهي فتن قد تؤدِّي إلى تخييب مُشتهاه في أن يدفن عند شيخه ابن عربي بصالحية دمشق، فخَشِي أنه لو أبقاها مكتوبة، وذهَبوا بجُثمانه أن يُنْتَهَب الذين سيَحْمِلون تابوتَه، بل والتابوت نفْسه، وربما قُتلوا، ثُمَّ يُلقى بجُثَّته بفلاةٍ من الأرض، فلا يُعرف - بَعْدُ - له جَدَثٌ ومَزار، أو فأنْ تكون تلك وَصاة شفهيَّة مع المكتوبة، تَرَكَ للمريدين النظر في إمكان تحقيقها، (كما تَرَكَ لهم الخِيَرة في اقتسام ثيابه بعد مماته حسب اتفاقهم)، وجَعَل التي نصَّ عليها في الوصية، وهي دَفْنُه في مقابر المسلمين هي الأصل، في حال تعذُّر ذلك، ويَرِدُ - أيضًا - أنّ إرادةَ النقل لم تكن لجثمانه أصلًا، بل كانت منه لكُتُبه،

---

(١) انظر: تاريخ قونية، لإبراهيم حقي القونوي (ص٤٩٦).

كما في الوصية، فيكون الخلط قد وَقَع مِنَ النَّقَلَة، حتى حدَّثوا بذلك الذهبيَّ، -رحمه اللَّه تعالى-.

وكما ذَكرتُ آنفًا، ليس فيما تحويه الوصية من معلوماتٍ ما يتعارضُ مع الخطوط الرئيسة المعروفة من أمْر الصَّدْر القُونَوِي وآرائه وحياته، ما شئتَ مِن شواهد تُثبتُ أنها له قد ضُمِّنَتْ فيها، عقيدةٌ وجودية بُثَّتْ فيها، وتلميذٌ له معروف سمَّاه فيها، وأوصى له بكتبه الوجودية، أعني عفيف الدين التلمساني، وكذا اسم مريدِيه الذين «شرَّفهم» بذِكْره في الوصية، مثل ضياء الدين محمود، كلهم تلاميذه، وحالٌ سياسيةٌ ألمحَ إليها، كانت الأنَضولُ تَموجُ فيها يومئذ مَوْجًا، والنُّسَخُ المعروفة للوصية كل أولئك دلائل تنادي بصحة نسبتها إلى القونوي.

وإنَّ من تلك الدلائل ثراء صاحب الوصية، وهو ما يَفهمه قارئها بأدنى تأمل، فالدراهم للمحتاجين المذكورين، وتلك التي خصَّها لملازمي بيته من أودَّاء مريديه، والكتب الحِكَمِيَّة المعَيَّنة للبيع وللتصدق بأثمانها، والخمسمئة درهم المخصصة لناقل مكتبته لوَقْفِها، وإعطاء ما كان وجوديًّا منها للعفيف التلمساني بدمشق، وسجاجيده وثيابه المعطاة لبعض مريديه، يبلغ أثمانها في المجموع آلاف الدراهم، كل هذا يأتلف مع ما عَلِمناه من مصادر أخرى، من امتلاكه للعبيد والعقار، وتكلفة العمارة التي يُرجَّح أنه ابتُدِئ في بنائها في شهوره الأخيرة، وأكملها بعد وفاته ورثتُه، جميع ذلكم شواهد تقطع بأن الوصية له.

□ تاريخ كتابة الوصية:

يحتمل أنَّها كُتبت بعد سنة ٦٦٠هـ، بعد إخماد ثورة زعماء التركمان على دولة المغول والسلطة السلجوقية الخانعة لهم، حين أرسل (هولاكو خان)، كبير قواده إلى الأنَضول، «يأمره بقتل مَن ارتاب منه مِن التركمان.»، كما

أورد ذلك مصدر قريب العهد بها، فهذا القتلُ على الريبة في الشخص يعني ازدياد مظالم المغول فيها، وهو ما أخبر به المصدرُ ضمنًا بَعْدَ ذِكره حدوثَ مَقتلة عظيمة أُوقِعَتْ بالتركمان حين قال: «وكان هذا سبب انحياز بقيَّتهم إلى الشام»(١).

وهي في أغلب الظَّنِّ الأيّامُ التي كتب القونوي فيها لصديق له خارج قونية رسالة كساها بالرُّموز، إلا أنَّ كلمات منها أعلَنَتْ بتَخَوُّفه حين قال: «وأما حالُ الداعي في هذه الجهة، وإنْ كان محمدِيّ المحْتدِ، ذاتيّ المَشْرَع والموردِ، فإنه مِنْ جهة الصورة الجزئية يونسيٌّ إبراهيميٌّ، باعتبار كينونة أحدهما في النار، وإنْ كانت بَرْدًا عليه وسلامًا، وكون الآخَر محبوسًا بظُلمة الغواشي الكونية، وإنْ لم يفارقه الحابس ولم يفقد شهوده ملازمة وإلمامًا، ومع هذا وذاك:

هَوى ناقتي خَلْفي وقُدّامي الهوى　　　وإنـي وإيّـاهـا لـمـختـلـفـانِ»(٢)

وقد أخفقتْ ثورات التركمان، ومنهم الأَخِيَّة (أهل الفُتوَّة) في مدن عدة من الأنَضول، مثل (أقصراي)، و(أنقرة)، و(دَنيزلي)، و(قَرَمان)، و(قِرْشَهِر)، وكان من المقتولين فيها - على ما قيل - ابنُ القُونَوِي (سعد الدين)، وكذلك (علاء الدين) بن الجلال الرُّومي، كما مرَّ بك، ولكن يُذكر هنا أن الجلال الرومي كان على خلاف مع ابنه علاء الدين، فلما أقْبلوا بجثمانه إليه، لم يُصَلّ عليه الجلال الرُّومي، مع عَفوه عن جريرته الكبرى عند الجلال، وهي اشتراكه في قتل شمسه التبريزي(٣)، وذلك ليُظهر أنه لا يُصلِّي على باغٍ مِنَ البغاة الخارجين على الدولة المغولية، وقد علمْتَ رأي الجلال

---

(١) ذيل مرآة الزمان، لليونيني (٢/ ١٦٢). (٢) النفحات الإلهية، للقونوي (١٩٢-١٩٣).

(٣) ذلك واضح في رسالتين أرسلهما الرُّومي إلى ابنه العلاء، واصفًا إياه بـ«مفخرة المدرسين» يدعوه إلى القدوم إلى قونية. انظر رسائل جلال الدين الرُّومي (ص ١٦، ١٧، ١٠١، ١٠٢).

في أسياده المغْل![1]

وغير بعيد أن يكون القونوي قد عدَّل في وصيته بحسب مجريات الحوادث من حوله، بل لعله فعل ذلك غير مرة، و إلى آخر سنة من حياته، ففي السنة التي توفي فيها، وهي سنة **٦٧٣**هـ، نزلت مصيبة على أهل قونية، نقرأ مجمَلَها من كلام مؤرخ عاصرها زمانًا، وإن كان في الشام مكانًا، قال: «وفي هذه السنة بعث (أبقا) إلى الروم (تقو نوين) عوضًا عن (أجاي)، ومعه أربعين رجلًا من خواصِّه، وأمره أن يكتب جميع أموال الروم ويضبطها، ولا يحكم البرواناه، ولا غيره من أمراء الروم إلا بحضوره، ولا يُصْدِرون إلا عن رأيه، فلما وصل حضر مجلسه جميع أمراء الروم وقدَّموا الهدايا والتحف، خصوصًا البرواناه، وطاف (تقو نوين) جميع بلاد الروم، وحصَّل منها أموالًا جسيمة، وحملها إلى (أبَقا)، ولمَّا رأى البرواناه تمكُّنَ (تقو نوين) ذَلَّ له واستكان، وبذَل الطاعة.»[2]

□ هل في الوصية ما يدلُّ على توبته عن الوجودية؟

الجواب: لا، وشواهد ذلك كثيرة، ولَقراءةٌ واحدة للوصية، لمن عرف مذهب الوجودية، تكفي للعلم بذلك، فمن تلك الشواهد الصريحة قوله الذي يَنْضح كِبْرًا: «فهذا بابٌ مسدودٌ بَعْدي»، هل يقولها تائب؟ وقوله: «وتصانيفي تُحْمَلُ إلى عفيف الدين لتكون له تذكرة منِّي!»، فأنت ترى بقاء حبل الودِّ مع التلميذ الوجودي الباقعة، حتى إنه لم ينسه في وصيته، كالذي يقول: استَلِمْ راية الفلسفة الوجودية من بعدي، ووصَّاه ألا يُطلع عليها إلا مَن هو أهل لاعتقادها، فهذا من «الكَتْم» الذي حدَّثْتُك عنه في مقدمة الكتاب، وهو حين

(١) وانظر كتابي: المهول من نبأ من خدم المغول.

(٢) ذيل مرآة الزمان، لليونيني (٣/ ٨٩).

أوصى مريديه ألَّا يَخُوضوا بَعْده في مُشْكلاتِ معارفه ومعارف زوج أمِّه ابن عربي الذَّوقِيَّةِ (الفلسفية الوجودية)، وأن يَقْتصروا على تأمُّل صريحها، لَمْ يُرِدْ الرجوع عنها والتنكُّر لها، بل أراد قطع تأثير خلفاء الجلال الرومي وطريقته المولوية عليهم، ألا ترى إلى قوله: «فلا تَقْبلُوا كلامًا مِن ذَوقِ أحَدٍ»؟!

ويدلُّك على أن ما فرَّقَ به في الوصية بين المجمَل المشْكِل - بزعمه - وبين الصريح الجليِّ شِنْشِنةٌ معروفة عند الوجودية، ومن أمثلة ذلك ما ذكره الحاج خليفة (ت١٠٦٨هـ) في (كشف الظنون) نقلًا مما طالعه من شروح كتاب (فصوص الحكم): أن صدر الدين القونوي بدأ بشرح خطبة كتاب الفصوص، ثم أشار إلى تلميذه مؤيد الدين الجَنَدي بتكميله، وأن شيخه ابن عربي نهى أن يُجمَع بين كتاب فصوص الحكم وبين غيره من الكتب في جلد واحد، وإنْ كان من مؤلفاته، وعلَّل ذلك أنه (أي الفصوص) مِن الورث المحمدي![1]

وكما ذكرتُ آنفًا من أن أمورًا طرأت في حوادث أيامه جعلتْه يَرجع عن أمور نصَّ عليها في الوصية ومنها حَمْل الكتب إلى الشام، فإن المفهوم من نصوص الوَقْفيّات على بعض ما تملَّكَه من الكتب، وما كَتَبه هو على كُتبه بخاصَّة، وبقيتْ محفوظة حتى أيامنا هذه، ما يُرجِّحُ - أيضًا - عدم توبته من مذهبه الرديء. اقرأ نصَّ وَقْف كتابه (مفتاح غيب الجَمْع والوجود) الطافح وجودية، على نسخة بخط بعض تلاميذه[2]، وهو قوله: «وقف هذا الكتاب الشيخ الإمام العالم الراسخ، صدر الدين، أبو المعالي، محمد بن إسحاق ابن محمد - وهو مِن جملة مُنشآته، رضي اللَّه عنه وعن سَلَفه - على دار

(١) كشف الظنون، للحاج خليفة (٢/ ١٢٦٣).
(٢) نسخة يوسف آغا، في قونية، برقم (٥٦١٢/ ١١-٢٦٠).

الكتب المنشأة عند قبره لِيَنتفع به سائر المسلمين، وشَرَط ألّا يخرج منها، لا بِرَهْنٍ، ولا بغيره! بل يُنتفع به في مَوْضِعه، ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: ١٨١]»، وأنت لا تقرأ هذا التحَرُّز الشديد في كتب الشريعة، مثل كتابٍ للحديث النبوي وعلومه، كان من شَرْطه فيه هذه العبارة فقط: «. . . وشَرَطَ ألَّا يخرج منها إلا برهن وَثيق. . .»![1]

وهنا نسأل: أما كان في قونية مَن يوصي له بتسلُّم كتبه الوجودية، من تلاميذه الباقين في قونية كالمؤيد الجندي، أو من أقرانه الأصفياء من أمثال الجلال الرومي، فإن قيل: إن الروميَّ مات واتَّحدَ في (شبِ عروسه)! فأين تلاميذه العشاق؟ أين ولد الجلال (سلطان ولد)؟ أمَا إنه لو قيل: أيكون لمغربية التلمساني دخل في ذلك؟ لقلت لك: ولم لا؟ فإن أبيتَ طارَدك هذا السؤال: لِمَ خَصَّه هو بكُتُبِ الفلسفة، وغيره بتصانيف الشريعة؟

□ أفيلسوفٌ ومُحدِّثٌ؟!

نَعَمْ، هي العجيبة، ولَهِيَ أعجب مِنْ قولك: أشاربٌ للخمر ومحدِّث؟! كما كان واحد من تلاميذ الأوحد الكرماني، وهو عبد العزيز بن عبد الجبار الخِلَاطي (ت٦٨٠هـ) الذي سمع (جامع الأصول) على مؤلفه ابن الأثير![2]

نعم، فلسفة ولا كأيِّ فلسفة، إنها القول بالوجود الواحد، فما بقي إلا أنه حِرْصٌ من القونوِي على إحاطة نفسه بدِرْع واقٍ من مكانة المحدثين المرموقة، فلذلك اجتهد في تحصيل إجازات من شيوخ الحديث في عصره.

فلا يكبر عندك وَصْف مَن وَصَفَ القونوي، من الكُتَّاب المعاصرين

---

(١) كتاب مختصر الأحكام الشرعية من حديث رسول اللّه ﷺ، تأليف أبي محمد عبد الحق الأزدي، نسخة يوسف آغا، برقم (٥٤٨٧).

(٢) تاريخ الإسلام، للذهبي (١٥/ ٣٩٣).

الجهلة بأمره، بأنه محدِّثٌ من المحدِّثين، ولا تعوِّل عليه، ولا أنَّ في إيراد الحافظ الذهبي، لاسم القونوي في (تذكرة الحفَّاظ)[١]، دليلُ ذلك أو مسوِّغُه، فإنَّ أبا عبد اللَّه الذهبي ذَكَره هناك - فيما بدا لي - نوْعَ استطرادٍ لتأريخ وفيات أعلام مشتهرين اتَّفَقتْ نهاياتُ أعمارهم في تلك السَّنة (سنة ٦٧٣هـ)، ، فقد ذَكَر الذهبيُّ هناك: كبيرَ القرَّاء، وكبير الرؤساء، وكبير المحدِّثين المسنِدين، والأمراء، والفلاسفة، والأصولية، والفقراء، والزهاد، والنحاة، وكبير ملوك الإسلام، فكان صدر الدين القونوي بين هؤلاء، في العام المذكور: كبير المشايخ الاتحادية!

وهو في (تاريخ الإسلام) إنما أخبر خبرًا تاريخيًّا حين ذكر أن الصَّدْر القونوي قرأ كتاب (جامع الأصول)، لابن الأثير (ت٦٠٦هـ)، على الأمير العالم: شرف الدين يعقوب الهذباني، مصدِّرًا ذلك بقوله: «هو الشيخ الكبير الشهير، الزاهد، أبو عبد اللَّه مُحَمَّد بن إسحاق بن مُحَمَّد بن يوسف الرُّومي، الصوفي على مذهب أهل الوحدة شيخ الاتحادية (أهل وحدة الوجود) بقونية، صحب الشيخ محيي الدين ابن العربي، وقرأ كتاب (جامع الأصول) على الأمير العالم شرف الدين يعقوب الهَذَباني، ورواه عنه قراءة عليه الشيخ قطب الدين الشيرازي. . .»[٢].

والذي أقصد إليه أن تسمية الصَّدْر القُونَوِي محدِّثًا ينبغي أن تُقْرَن دائمًا بوَصْفٍ يُبَيِّنها - حتَّى لا يُخْدَع المسلمون - فيقال عنه: «المحدِّث

(١) تذكرة الحفاظ، للذهبي (٤/ ١٤٩١).

(٢) تاريخ الإسلام، للذهبي(١٥/ ٢٤٠)، وترجم له السبكيُّ ترجمة مختصرة جدًّا في طبقاته الكبرى، (٨/ ٤٥) وقال بعد أن ذكر اسمه وأنه شيخ زاهد: صاحب التصانيف في التصوف، توفي سنة ثلاث وسبعين وستمئة، والصفدي في الوافي بالوفيات (٢/ ٢٠٠)، وابن الملقِّن في طبقات الأولياء (ص ٤٦٧).

الوجودي»، ثمَّ إنه أَوْلى مَن يقال فيه: ليس له في علم الحديث كثير إمتاع، غير السماع والإسماع!»[1]، ذلك أن شيخه الأول في الحديث هو ابن عربي، وكان مِن رأي هذا الشيخ في الحديث - وغير الحديث من العلوم - ما يَنْسِف الفائدة مِن تعَلُّمِه على معتقِد كاعتقاده فيها. اقرأْ، واعجبْ لجرأة التخريف، قال ابن عربي: «. . . وأمَّا حالة أنبياء الأولياء، في هذه الأمة، فهو: كل شخص أقامَه الحقُّ في تجلٍّ من تجلياته، وأقام له مظْهَر مُحَمَّدٍ ﷺ، ومظهر جبريل عليه السلام، فأسمَعَه ذلك المظهرُ الروحاني[2] خطاب الأحكام المشروعة لمظهَر مُحَمَّد ﷺ. . .»، ثُمَّ قال: «. . . فرُبَّ حديث ضعيف قد تُرك العمل به، لضعف طريقه من أجل وضَّاع كان في رواته، يكون صحيحًا في نفس الأمر، ويكون هذا الواضع مما صدق في هذا الحديث، ولم يضعه، وإنما ردّه المحدِّث لعدم الثقة بقوله في نقله. . .»، وقال: «وهذا وليٌّ قد سمعه من الروح (يعني المظهر الروحاني) يلقيه على حقيقة محمَّد ﷺ كما سمع الصحابة في حديث جبريل عليه السلام مع محمَّد ﷺ في الإسلام والإيمان والإحسان. . .»، حتَّى قال: «ورُبَّ حديث يكون صحيحًا من طريق رواته يحصل لهذا المكاشف الذي قد عاين هذا المظهر، فسأل النبي ﷺ عن هذا الحديث الصحيح فأنكره وقال له: لم أَقُلْه ولا حكمتُ به، فيعلم ضعفه، فيترك العمل به عن بينة من ربه، وإن كان قد عمل به أهل النقل لصحة طريقه. . .»[3]، إلى آخر هذا الخيال الذي يستحق أن يُلقى في أقرب سلَّة مهْمَلات!

(١) قيلتْ في شبيه له، انظر: القول المنبي عن ترجمة ابن العربي، للسخاوي (٢/ ٢٨١).

(٢) الرجُل صادق في الذي ظَهَر له، ولأمثاله في خلواتهم، لكنه ربما جَهِل أن هذا المظهر الروحاني هو في الحقيقة شيطان، أو جني، يَتَلَعَّب بالحالمين بمقام النبوة!

(٣) الفتوحات المكيَّة، لابن عربي، الباب الرابع عشر، وهو: «في معرفة أسرار الأنبياء، أعني أنبياء الأنبياء. . . . . .» (١/ ١٥٠).

واعلم أن الفلاسفة بعامَّة، والوجودية من الصوفية بخاصة، كانوا ممن يخبئون عقيدةً يرفضها العامة والخاصة من المسلمين، فلا يصرِّحون بما يعتقدونه في مجتمعهم إلا حيث يأمنون سيف الشريعة، الذي قد لمَعَ بريقُه قديمًا على قَفا الحلَّاج لمعانًا سكن سُويداء قلوبهم على وجه الدهر! ومخطئٌ مَن ظنَّ أن ابنَ عربي دَفَع «بفُصوصه»، أو بالمقطِع من أجزاء «فُتوحاته»، إلى النُّسَّاخ في دمشق، أو لكل مَن طلبهما للقراءة، ذلك أنه كان وهو في دمشق: «منقبضًا عن الناس، إنما يجتمع به آحاد الاتحادية، ولا يُصرِّح بأمْره لكل أحد، ولم تشتهر كتبه إلا بعد موته بمدَّة، ولهذا تمادى أمره، فلما كان على رأس السبعمئة جدَّد اللَّه لهذه الأمَّة دِينها بهَتْكِهِ وفضْحِه، ودارَ بينَ العلماء كتابُه الفصوص»[١]، واخترع لتَسْويغ ذلك هذه المعذرة، فقال: «أمَّا الكتبُ التي أمَرني الحقُّ تعالى في قلبي بوَضْعِها، ولم يأمرني - إلى الآن - بإخراجها إلى الناس وبثِّها في الخَلْق. . . »![٢]. لكنه في رسالته إلى الفخر الرازي، قال: «وكنتُ أريد أن أتكلم على الخلوة وشروطها وما يتجلَّى فيها على الترتيب شيئًا بعد شيء، ولكن منَع من ذلك الوقتُ، وأعني بـ(الوقت) علماءَ السوء، الذين أنكروا ما جهلوا . . . »[٣].

نَعَمْ، قد كانوا جِدّ حَذِرين، وإنَّ مِن مُنْجِحِ حَذَرِهم هذا، طلَبَهُم الحديثَ لِيُمْكنهم التَّفَنُّن في تحريف معانيه، ثُمَّ زخرفتها بألفاظ مُشْكِلة وغير ذات معنى في حقيقتها، ثُمَّ (بَيْعها) للمغفَّلِين من الأتباع، إذْ أيِسُوا من إحكام تحريف ألفاظ الوَحي المنزل المتْلُوِّ، واسمعْ إلى ما قاله تلميذُ هذا «المحدِّث

(١) تاريخ الإسلام، للذهبي (١٤/ ٥٢١).

(٢) عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المئة السابعة ببجاية، لأبي العباس الغبريني (ص١٦٩).

(٣) بحوث وتحقيقات، لعبد العزيز الميمني (٢/ ٥٢).

الوجودي» - وأعني العفيف التلمسانيَّ - لرجُل من طلاب الحديث دخل عليه مع معرفة للتلمساني يَعُودانه، فأخذ التلمساني يتكلم على قاعدته أن الفكر حِجاب، وأن الأمر مداره على الكشف، وغايته إقناعهما بقبول الولوج من بوابة الدخول إلى وحدة الوجود، فقال طالب الحديث له: «فما معنى قول أمّ الدرداء: أفضل عمَل أبي الدرداء التفكر؟ فتبَرَّم التلمساني بدخول مثل هذا عليه، وقال للذي جاء به: كيف يدخل عليَّ مثل هذا؟ ثُمَّ قال للمعترض (وتأمل قوله التالي حتَّى تعلم غرضهم من طلب الحديث): أتدري يا بُنَيَّ ما مَثَل أبي الدرداء وأمثاله؟ مثَلهم مثَل أقوام سَمعوا كلامًا وحفظوه لنا، حتَّى نكون نحن الذين نفهمه، ونعرف مراد صاحبه، ومثَل بَريد حمَل كتابًا من السلطان إلى نائبه!»[1]، فهل في التهوين من مكانة الصحابة والطعن فيهم وسبِّهم أخبث قولًا من هذا؟

وإذا أردتَ أن تعرف مأخذ التلميذ في نظرته الاستعلائية للأحاديث فلك أن تبحث عنها في مثل كلام شيخه القونوي الذي قال في مقدمة كتاب جمع فيه عددًا من الأحاديث، في قوله: « . . واتفق أن جماعة من معارفي وأصحابي لما رأوْا وجرَّبوا أن بضاعتي في علم الحديث بفضل اللَّه وافرة، وصَفْقَتي في معرفة أسراره رابحة غير خاسرة، رغبوا إليَّ في استخراج جملة من الأحاديث النبوية والكلام عليها، أُسوةَ ببعض المتقدِّمين، فتوقَّفتُ في ذلك أَنَفَةً مِن مشاركة مَن كان حاصل استخراجِه[2] سَرْد الأحاديث، وإنْ قُدِّر لبعضهم

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٤/ ١٠٣). قلت: في الاحتمال أن يكون هذا «المعرفة»، الذي جاء بطالب الحديث لعيادة التلمساني هو الإمام الحافظ المزيُّ يومَ كان - في وقت- يلزم صحبته، «فلما تبيَّن له انحلاله واتحاده تبرَّأ منه وحَطَّ عليه». انظر: تذكرة الحفّاظ، للذهبي (٤/ ١٩٤).

(٢) والحظْ أنَّ هذا الحَطَّ يتناول عَمَل ابن الأثير صاحب «جامع الأصول في أحاديث الرسول»، الكتاب الذي كان يتباهى بروايته!

الكلام عليها فإنما يتكلم عليها مِن حيث إعرابها والمفهوم من ظاهرها، مما لا يخفى على مَن له أدنى مشاركة في العربية، ومَن له فطرة سليمة، وليس في كل ذلك كثيرُ فضيلة ولا مزيد فائدة، وإنما الشأن في معرفة مقصوده ﷺ وبيان ما تضمَّنه كلامه من الحِكَم والأسرار بيانًا تَعْضده أصول الشريعة، من الكتاب والسنة، وتشهد بصحته العقول المنوَّرة السليمة، والفطرة الطاهرة المستقيمة. ثم إنَّ الحقَّ شرح صدري لاستخراج جملة من الأحاديث النبوية الصادرة من مقام جوامع الكلم[١] وكشف أسرارها المشتملة على نفائس الحكم. . .» حتى قال: «سالكًا فيما أذكره إن شاء اللَّه تعالى أسلوبًا جامعًا بين الإفشاء والكَتْم. . .»[٢].

بل كانت لهذا الصِّنف طرُق أخْفَى وأمْكَر، فمنها قول أحدهم: «وصيةٌ: عليك باعتقاد أهل الحديث، واجتهدْ أن تكون منهم، فإنهم ورثة الأنبياء، وإياك وتقليد أهل الكلام فإنهم ملعبة الشيطان.»[٣]، وهذا على قاعدتهم: «كن في نفسك هَيُولى لجميع المعتقدات!». وثِقْ، وتأكَّدْ، ولا تَرْتَبْ - أيها القارئ - أنهم خَيَالِيُّون إلى أبعدِ حَدٍّ يُتصوَّر، تعبثُ بهم التناقضات ويَعبثون بها، فكنْ عارفًا بحِيَل أقطابهم، التي يبلغ شدة إمعان الحيلة فيها - أحيانًا- ظنَّكَ أنْ لا حيلةَ فيها!

وأين أهل الحديثِ والأثرِ في قونية، وأكثر مُدُنِ الأنَضول؟! إنه لو كان لهم فيها منَ التأثيرِ عُشْرُ ما كانَ لهم بالشام لما كانت هذه البلدة مُتخيَّرًا لابن

(١) قد تلحظ في كلامه القطع بصحة الأحاديث التي جمعها إلى المصطفى عليه الصلاة والسلام، ويبدو أن تصحيحه كان على طريقة شيخه ابن عربي، وتكون بمكاشفة وسؤال يوجهه إلى النبي ﷺ في الآن واللحظة التي يَعِنُّ له السؤال فيها: أهذا من حديثك يا رسول اللَّه؟!

(٢) شرح الحديث الأربعين، للصدر القونوي، مخطوطة عارف حكمت، (الورقة ٢).

(٣) شرح رسالة الأنوار، لابن عربي (الورقة ١١).

عربي ورَبيبِه وتلاميذهما، لِيَبْذُروا فيها بنات أفكارهم الوجودية، ولكانت بلاد القرم أنسب لهم!

وإنَّ في سؤال (سلطان ولد)، وجواب الجلال الرُّومي عليه، الذي نقله الأفلاكي لشاهدًا على ذلك. قال (سلطان ولد) لأبيه: «ما أجملَ زمانَنا هذا! كلّ الناس فيه معتقدون مخلصون، وإن كان فيه منكرون فلا قوة لهم! فقال الجلال: ما وجه قولك هذا يا بهاء الدين؟ فقال الابن: أعني أن المنكرين فيما مضى من الدهر قد قتلوا الحلاج، لقوله: (أنا الحقّ)، وأرادوا قتل (أبي يزيد)، وكم شيخ عظيم قتلوه، والحمد للَّه أننا في وقت لا يُعْترض على أبيات سيدي، التي كلّ بيتٍ منها في مثل (أنا الحقّ) و(سبحاني)! فضحك أبوه وقال: إنَّ أولئك عاشقون ممتحنون، و(هو) وأمثاله معشوقون تحصُل إرادتهم، ويحكُمون على الأرواح والعقول!»[١].

لا يذهبْ عنك - أيها القارئ - أن هذا الارتياح من الوجودِيَّين - الأب وابنه- كان بعد القضاء على ثورات التركمان ومنافسي الجلال الرومي المكانة في قونية، حينئذ كانت قونية ممتِعَة المناظر يَشِعُّ منها أنوار الرحمة![٢]، وما هكذا كانت قبلُ، فقد كان شبَّهَها - بلدةً - بأهل سَبَأ، وكان مبغضًا لأهلها لأنهم (والفقهاءُ والشرفاء منهم) تكلَّموا على خَلْوةِ التبريزي والجلال، وعلى إهداء الجلال ولده المراهق (سلطان ولد) إلى التبريزي في خَلْوَته، وغير ذلك.

والرأيُ أن فيلسوفًا وجوديًّا كان مِن فروع مذهبه تصويبُ النصارى في تَثْلِيثهم، تَصْغُر عنده هذه المسائل، فالقوم - أعني: الوجودية - كما يرى وجودي كبير متأخّر: «إنما يُذْكَرون منسوبين لأحد المذاهب الأربعة المتَّبَعة،

---

(١) مناقب العارفين، للأفلاكي(١/ ٦٩٦).

(٢) مناقب العارفين، للأفلاكي(٢/ ٣٩١).

رعايةً لِرَصانة جمال الإسلام، فيقال: هذا حنفيٌّ، وذاك شافعي.. إلخ، وإلّا، فلا شكَّ أن أولياء اللّه، في حقيقة الأمر، قد وصلوا إلى مقام الشهود، وعَبَروا قنطرة التقليد، ونالوا مقام الاجتهاد، وهم بريئون مِن دَرَكة المقلِّدين، فاجتهاداتهم قَرِينةُ شُهودهم!»[1]، وعلى هذا، فما قَدْر الفائدة التي أفادها التاجُ السُّبكيُّ بحَشْر اسم الصَّدْر القُونَوِي بين الشافعية؟![2]

□ **نمَطٌ من شَرْحِه الأحاديثَ الشريفة:**

وخُذ إليك مثالًا على شرح الصدر القونوي للحديث القدسي: (يا ابنَ آدمَ مَرِضْتُ فلَمْ تَعُدْني...)، في كتابٍ اسمه (شرح الأربعين)، قال: «أمَا علمتَ، أيْ: أما عَرَفْتَ، أن وجودي المطْلَق يَتعيّن بكل تعيُّن، وفي كل متعيِّنٍ مُطلَقٍ، وأمَا علمتَ أن العبدَ المريضَ حقيقتُه عينُ حقيقتي، وأنا الظاهر فيه، وبُدُوٌّ، أيْ: ظُهور تَعَيُّنِه بالنسبة إلى المسمَّى، والاسم عين المسمى، قوله: أمَا علمتَ أنك لو عُدْتَه لوَجَدْتَني عندَه. أيْ: أمَا عرفتَ أن الوجود المطْلَق[3] سارٍ في وجوده الإضافي وظاهرٌ به!»[4]، فعلى هذا الشرح فَقِسْ ما رواه في (جامع الأصول) من الأحاديث كيف يكون شروحها عنده!

إنَّ تحديث القُونَوِي، لا يعني إيمانه بالأحاديث التي يرويها، ولا أنه يفهمها كما فهمها الصحابة ومن بعدهم، فإنّ هذا الضَّرْب من غلاة أهل

---

(١) هذا معنى كلام المولوي (ولد جلبي إيزبوداق) أحد مترجمي (المثنوي) وصديق كمال أطاتُرك في كتاب جمعه عن أشعار ابن الجلال الرُّومي (سلطان ولد) بالتركية. انظر كلامه (ص ٩٨).

(٢) طبقات الشافعية، لتاج الدين السبكي (٨/ ٤٥).

(٣) «الوجود المطلق» في اصطلاح الوجودية هو: الرب الخالق، سبحانه و تعالى وتقدس عما يقول الظالمون!

(٤) كشف أستار جواهر الحِكَم المستخرجة الموروثة من جوامع الكَلِم. المطبوع باسم: شرح الحديث الأربعين، لصدر الدين القونوي (ص ١٤، ١٩).

وحدة الوجود- كما قال ابن تَيْمِيَّة -: «إمَّا آلهة عند نفوسهم، وإما زنادقة أو فسّاق!»[١]. ومَن كان لا يُصَدِّق إلا بنقل مِن كلامه، فليقرأ كلام القونوي في مقدمة كتابه (الفكوك)، قال: «... وبعد: فإنّ كتاب «فصوص الحكم» مِن أنفَس مختصرات تصانيف شيخنا الإمام الأكمل، قدوة الكُمَّل، هادي الأمة، إمام الأئمة، محيي الدين، محمد بن علي بن العربي، رضي اللَّه عنه وأرضاه، به منه، وهو من خواتم منشآته، وأواخر تنزُّلاته، وردَ مِن منبع المقام المحمدي، والمشرب الذاتي، والجَمْع الأحدي، فجاء مشتملاً على زبدة ذوق نبيّنا ﷺ في العلم باللَّه، ومشيرًا إلى مَحتِد أذواق أكابر الأنبياء المذكورين فيه، ومرشدًا كل مستبصر نَبيهٍ لخُلاصة أذواقهم، ونتائج متعلقات هِمَمهم وأشواقهم، وجوامع محصولاتهم، وخواتم كمالاتهم، فهو كالطابع على ما تضمَّنه مقام كمال كل منهم، والمنبِّه على أصل كل ما انطوَوْا عليه وظهر عنهم. ولا شك أن الاطلاع على أسرار كتابٍ هذا شأنُه، ومنبَعِ عِلمٍ هذا عنوانُه، موقوفٌ على التحقُّق بوِرْث كل مَن ذاق ذلك كله، وفُتح به عليه، وكوشف له عنه، وأرسِل به إليه، ثم إنه لـمَّا ورد التعريف الإلهي إلى هذا الضعيف باختصاصه لسرِّ الأخرية، وأنه لا وارث كمال جمعيته من صحبه غير ربه، تألَّم لانطواء هذا البساط الذاتي الآلي (لعله الإلهي)، ونقض هذا الفُسطاط العليّ، فأخبر أنه سيبقى لبعض ما يشتمل عليه هذه الجمعية حمَلَة تابعون، كما قال ﷺ: (يحمل هذا العِلم مِن كل خَلَف عُدوله، ينفون عنه تحريف الغالين وزيغ المبطِلين)، فحمِد اللهَ، وسُرَّ بهذا الإخبار، وبقي منصبغ الحال بحكم الترجِّي والانتظار، فأمام الحق في هذا الوقت طائفة من خلّص الأخدان، وخاصة الأصحاب والخلان، من أهل النفوس الفاضلة، الذين لم يقفوا عند ما وقف عنده أهل الهمم النازلة، بل عملوا بموجب ما

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٢/ ٦٠).

اختار سبحانه للصفوة من أحبابه، وأشار إليه في محكم كتابه بقوله: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]، فحملتهم المسابقة بالهِمَم السَّنيَّة إلى نَيْل المراتب العَلية، ورأوا أن للعقول حدًّا تقف عنده، من حيث أفكارها التفسدية، وأن في المعلومات ما لا تستقل العقول النظرية بإدراك حقائقها وأسرارها، لغلبة أحكامها الإمكانية، وأن بصائرهم تُغشى عن استجلاء أنوارها المطلقة الربانية، ورغبوا في حلّ مشكلات هذا الكتاب، واستجلاء غوامض أسراره الكلية، وعلومه العَليّة، التي هي غذاء أرواح أولي الألباب، الذين خلصوا من حُبوس قيود مدارك الفكر والحس، وخرجوا إلى فسيح حضرة القدس، فأدركوا حقائق الأشياء في مراتبها الكلية، بالإدراكات المقدسة المطلقة الآلية، واقترحوا عليَّ أن أفُكَّ خُتومَه، وأوضحَ سرَّ مَحْتِدِه وأكشفَ مكتومَه، وأفتح مُقْفلَه بما يفصِّل مجمله، فأجبتُهم إلى ذلك، علمًا منِّي باستحقاقهم، وتقرُّبًا بإرشادهم إلى خَلاقهم، هذا مع أني لم أستشرح من هذا الكتاب على منشئه، رضي اللَّه عنه، سوى الخُطبة لا غير، **لكن مَنَّ اللَّه عليَّ ببرَكته أن رزقني مشاركته في الاطلاع على ما اطلع عليه!! والاستشراف على ما أُوضِح لديه، والأخذ عن اللَّه دون واسطة سَبَبيَّة، بل بمَحْض عناية إلهيَّة، ورابطة ذاتية**، واللهُ يعصمني فيما أُورِدُ، مِن أحكام الوسائط، وخواص الأسباب والشروط والروابط، وجعل ذلك خالصًا لوجهه، مقرِّبًا إليه، نافعًا لي ولهم، هنا ويوم الورود عليه، آمين، والحمد لله!»[(١)].

---

(١) الفُكوك، للصدر القونوي، مخطوطة مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة (برقم ٢٦٩٥).
قلت: وأكثر ما يثير الضحك والمرْثية - معًا - تَعاوُر زَعانف من شِيخة الأعاجم على شرح كتب أئمة الوجودية، قد دَفَعَهم إلى ذلك - ولا جَرَم - تلعُّب أولئك «الأشياخ الفراعنة» بالألفاظ، في كتبهم، بالنَّفْخ فيها بمُجْمَل الكَلِم وفَخْمِها، وتركيبها بتراكيب طويلة متداخلة، فيأتي هؤلاء «الشُّراح» بالمَضاحِك في شروحهم، ولله تعالى في خَلْقه شؤون!

□ من رسائله إلى أمثاله !

« هذه نسخةُ كتابٍ كتبه الشيخ الكامل صدرُ الدين إلى الشيخ قطب الدين، المعروف بابن سبعين قدَّس اللَّه سرَّهما :

لا تحسبوا نأيكم يغيِّرنا   أن طالما غيَّر النأيُ المحبِّينا

سلامُ اللَّه ورحمتُه وبركتُه ورضوانه وتحياتُه، على الأخ الوليِّ والخِلِّ الصَّفِي، الإمام العالم العارف، المدرِك الواصف، السائر الواقف، ذي العلم الراسخ، والمقام الشامخ، قطب الدين أبي محمد. . . . . ثبَّتَ اللَّه رسمَه فوق الملأ الأعلى، وميَّزه في الحضَرات العُلى، وأوقف في مواقف السواء، حيث لا حيث ولا سوى! الشوقُ إليه شديد، والمرادُ مِن حيث حظُّ الصدر بعيد، ووُدُّه في اللَّه ثابت ويزيد. لم يزل هذا الضعيف يَتَنَسَّمُ مِنْ هِمَّة المولى أخباره السارَّة، ويَتفحَّص عن طامر ما يمكن للمخبرين كالاطلاع عليه، فإنَّ السؤال عمّا وراء ذلك ليس من شِيَم المحققين أهل الاستبصار. ولا يخفى عليكم أن حامل الكتاب رجل من المنيبين والمسقطين والمستدركين، وقد أعرض عن جاه عريض، فعال وافر بخاصية جوهرية تضمّنتها ذاته، وساعدته على ذلك صفاته، فإنه من ذوي الأخلاق الرضية، وحملة الصفات الشريفة السنية. والأمور تنتفي وتثبت بالنسبة والإضافات التي لولاها لم يتحقق حمد ولا ذمٌّ، ولم يتغيّر في الوجود الموجود، ولا اسم ولا رسم، ولا وصف ولا حكم. ولا يُخْلِيني أخي من باطنه في متَّسَع وقته من أن يذكرنا عند ربِّه بما هو نافع لي قَدْر علمه به، ومنزلته لديه، فإني أقنع منه بذلك، واللهَ سبحانه أسأل أن يُعَجِّل خلاصي من كل قَيْد وحصر، يتعلق بكل حدٍّ وطور، ومقام وحال وأمر، فلا يبقي معي، ولا يتركني رهين قيودي بل يطلقني ويستخلصني بالكلية له، ويأخذني منِّي، ويكون لي عوضًا عن كل شيء وعنِّي، وأنْ يُبدِّد شمل النار ويُبدله بالنور حسب [. . . .] عن التجلي

والتحقق به بل حسب ما يعلمه من أعلى درجات علمه وأتمها وأكملها، وأن يحققني وسائر الإخوان بكمال النورية والإصابة في مجموع تفاصيل هذه القضية. آمين. وسلام اللَّه عليه ورحمته وبركاته، والحمد لله. إن لحظ حاملها بنظر عنايته يتم جميع حاله زوال محاله»[١].

□ مَن كان يَحميه مِنَ «الفِتَن المظلِمة»؟

يُلحظ أن الصَّدْر القُونَوِي كان على وفاق مع شيوخ أهل الفتوة المعروفين بالأخية، الذين كانوا عصاة لدولة المغْل، متمردين على أذنابهم، مِن بَنِي سلجوق، مثل الشيخ: زين الدين صَدَقَة، والشيخ: ناصر الدين الخُوئي(أوْرَن الأخِي) - اللذَيْن يحتمل أنهما قُتلا سنة ٦٦٠هـ - وكانت علاقته الحسنة معهما كفيلة بإنزال الدَّواهي على الصَّدْر القونوي، وجَعْل مآله في مِثل عاقبة شيوخ التركمان، الذين غُصِبَتْ أوقافُهم وأموالهم في مُدُن الأنَضول، وأُعطِيتْ عملاءهم فيها، ولولا معرفتُه الشخصية، ومُراسلاته المُقَرَّبين من المُغْل، مِن أمثال قاضي القضاة (قاضي هولاكو)، محيي الدين ابن الزَّكي[٢]، في دمشق، والفيلسوف الوجوديّ المترفِّض، النصيرِ الطُّوسي(٦٧٢هـ)، المستشار المكِين (لهولاكو)، وكذا للوزير السُّلجوقي معين الدين (البروانة)، لكان صدرُ الدين خَبرًا مِن أخبار قَتْلى المغْل، ولكانت مدرستُه وبيته الذي شُبِّه بالقصر، وثروته الكبيرة، في حيازة الرُّومي، أو بعض مريديه.

---

(١) من كتاب ترجمة الصدر القونوي للدكتور ميكائيل (ص ١٠٣).

(٢) ألحقَ تلاميذُ القونوي بعض رسائله لأصدقائه في نهاية كتابه: النفحات الإلهية.

□ مراسلاته مع المستشار الأوَّل للمغول:

نَعَمْ، كانت مراسلاته مع كبير عملاء المغول وخفرائهم، الفيلسوفِ الطوسي «المترفِّض» هي أكثر ما وصل إلينا من رسائله، وقد نشر مستشرقٌ ألمانيٌّ بعض مراسلات النصير والصَّدْر، وحَشْوُها فلسفةٌ بائرةٌ، فإنْ عارضَه الطوسيُّ في شيء، فإنما عارضه لمخالفة القُونَوِي ابن سينا في بعض فلسفته.

وأمّا لُقِيّه إيَّاه فثابتٌ، وهو المفهوم من بعض الرسائل بينهما، ويقوِّي من ثبوت التقائهما، جَوْلة الطوسي «التَّفْتيشِيَّة» إلى العراق سنة **٦٦٢**هـ، وهي سنةٌ أعْقَبَتْ مذابحَ هائلة أوقَعَها المغْلُ بالتُّركمان في الأنَضول، وجاء تعليلها: بأنها «لِتَصَفُّح الأحوال، والنظر في أمر الأوقاف، والبحث عن الأجناد والممالك، ثُمَّ انحدر إلى واسط والبصرة وجمع كتبًا كثيرة لأجل الرصد»[١]، «واتخذ (في مدينة مَراغة) في خزانة عظيمة عالية، فسيحة الأرجاء، وملأها بالكتب التي نُهبَتْ من بغداد والشام والجزيرة، حتَّى تجمَّع فيها زيادة على أربعمئة ألف مجلد»، «وكان ذا حُرْمة وافرة، ومنزلة عالية عند (هولاكو)، وكان يُطيعه فيما يُشير به، والأموال في تصريفه»، وأخبرَ تلميذُه - وتلميذُ القونوِي أيضًا - شمسُ الدين الأيكي: «أنَّ النصيرَ تمكَّن إلى الغاية، والناسُ كلُّهم من تحت تصرُّفه.»، وأقام عنده سبع سنين[٢]، ثُمَّ علاقته مع تلميذه الآخَر، القطب الشيرازي، الذي عُدَّ خليفةَ الطوسيِّ في المكانة لدى المغْل، كان كلُّ أولئك صَكّ حمايةٍ له (وقد كانت هناك - بالفعل - صكوك تُعْطى للمَحْمِيِّين!) مِن مُصادرات المغول، ألا ترى إلى أصدقائه من التركمان، من الأوحدية، ومن الأخيَّة (أهل الفتوة في الأنَضول)، ممن لم يظفروا بعلاقة قوية مع المغول ورجالهم، كيف استُؤْصِلوا في مدينة (قِيرْشَهر) سنة **٦٥٩**هـ؟!

---

(١) كتاب الحوادث، لابن الفوطي (ص ٣٨٢).

(٢) تاريخ الإسلام، للذهبي (١٥/ ٢٥٣).

وكانت قضية «المراسلات» بين القونوي و الطوسي، قد شغلَتْ حيِّزًا واسعًا من دراسات الدكتور (ميكائيل بَيْرَم)، ولكنه يَرى أنَّ نصير الدين الطوسي لم يكن أحد طرفَيْها، وإنما كانت بين الأوَّل وبين ناصر الدين (أو نصير الدين) الُخوييِّ الذي حقق الدكتور (ميكائيل) أنه الشخصية التركمانية الصوفية المعروفة باسم: (أوْرَن الأخي) زعيم حركة أهل الفتوَّة في الأنَضول، والخصم اللدود المعْلِن بالخصومة للجلال الرومي.

ومِن شواهده على ذلك أنه عثر على نسخة من المراسلات بخط (يار علي) الشيرازي[١] زعَم أنه، أوْ في المحصَّل مَن نقل عنه - في رأيه - كعبدالرحمن الجامي في (نفحات أنسه)، أنهما مَن يُظَنُّ أنهما أبْدَلا الطوسيَّ بالخُوَيِّي، وبُنْيانه الذي بنى عليه رأيه هذا قائمٌ على أنْ ليس ثَمَّةَ مصدر قبل (يار علي) و(عبد الرحمن الجامي) أشار صراحة إلى مراسلة القُونَوِي للطوسي، وهذا غير صحيح، ولذلك قلت: (زَعَم)، فقد مرَّ بك عِلْم ابن تيمية بها، ويُعلَم أنه كانت للنصير الطوسي مسائل سيَّرها لغير القونوي[٢]، فكان الأقرب إلى العلمية أن يقول بالاحتمال في دعواه لا الجزم.

والتأمل المنطقي في حوادث ما وقع يُلزم أن تكون مراسلاته مع نصير الدين الطوسي، المسموع القول لدى المغول، تعريفًا بنفسه وتقرُّبًا إليه، لا أن تكون مع عدوِّ المغول، المُؤَلِّب الثائر عليهم، ثُمَّ المقتول بسيفهم: (أوْرَن) الأخي الخُوئي!

□ المؤرخ (ميكائل بَيْرَم) ونَمَطٌ من عِثاره:

يبدو أن خطأ النُّساخ إذا انضاف إليه الإصرارُ على ردٍّ تصحيح ذلك

---

(١) انظر ترجمته في: الشقائق النعمانية، لطاشكوبري زاده (ص ٢٥).

(٢) ذيل مرآة الزمان، لليونيني (٣/ ٧٩).

الخطأ، فالنتيجة موغلة في الغرائبية، ولقد وقع صديقي الدكتور ميكائيل في خطأ شبيه بما وقع فيه في أمْر «المراسلات»، وكم نبَّهته لكنه لا يَقْبَل، كان ذلك في صيف سنة ١٤٣٣هـ، في قونية، حين أخبرني أنه أوشكَ أن يدفع بكتابه عن الصدر القونوي إلى المطبعة، وكنتُ قد صورت له مسودةَ كتابي هذا، فطلبتُ إليه ونحن في دكان مَن نشر له الكتابَ بَعْدُ، في «جادَّة الظَّفَر»، في مدينة قونية، طلبتُ إليه أن يُخرج لي من مسوَّدته في الحاسوب نسخة من الكتاب أطَّلع عليها، وكنتُ على سفر وشيك، ففعل مشكورًا، فجعلتُ أقلِّب صفحاتٍ من أقسامه السَّبعة، أقرأ أسطرًا في مواضع مختلفة منه كيفما اتَّفَقَ، حتى وقفتُ على صورةِ مخطوطة خطُّها تعليقٌ، وفيها أبيات بأعلاها هذه العبارات: «وقد نَظَم بعضُ اليهود أبياتًا بالشام وأرسلها إلى الشيخ صدر الدين قنوي[١] قُدِّس سرُّه، وطلب الجواب عنها:

أيا علماء الدِّينِ ذِمِيٌّ دِينكِم تَحَيَّرَ دُلُّوه بأوْضَح حُجَّةِ. . .إلخ»،

فتذَكَّرتُها أبياتًا سَمِجَةً مَرَّتْ بي، ثمَّ قرأتُ استنتاج الدكتور ميكائيل من تَخْبِيص الناسخ في هذه الحادثة المعروفةِ تفاصيلها في المصادر[٢] فكان أعجب مِن تَوَهُّم النسّاخ وتصحيفهم، لأن هذا القونويَّ المسؤولَ ليس هو الصدر الوجودي، إنه قاضي قضاة الشافعية الإمامُ علاء الدين، عليُّ بن إسماعيل القونوي (ت٧٢٩هـ)، واقرأ ما قاله الدكتور: في هذه الأثناء نَظَمَ بعضُ علماء اليهود سؤالًا في القضاء والقدر في ثمانية أبيات موجَّهة إلى علماء المسلمين في دمشق، فكتبَ الصدرُ القونوي بالنيابة عنهم جوابًا في

---

(١) كذا.

(٢) قائل هذه الأبيات ليس يهوديًا بل هو معتزلي مترفِّض، وقد رد عليها نخبة من علماء الشام في مقدمتهم ابن تيمية، كتب جوابها مرتجلًا. انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٨/ ٢٤٥)، والوافي بالوفيات، للصفدي (٢/ ١٩٣)، وأعيان العصر، له (٤/ ٣٥٧)، وطبقات الشافعية، للسبكي (١٠/ ٣٦٥-٣٦٦)، والدرر الكامنة، لابن حجر (٣/ ٢٤٩).

تسعة أبيات، ويَضِحُ مِن هذه الحال ما كان للقونوي مِن مكانة علمية يُحسَب حِسابها، ويُعرَفُ بها في تلك الأرجاء كونه رجُل عِلْم، ويُرَى من هذه المنظومة كذلك أن صدر الدين القونوي كان ماهرًا في صناعة الشِّعْر -أيضًا-![١]

أبيات العلاء القونوي التي نبهت د. ميكائيل بيرم إلى خطئه في متابعته مَن نسبها إلى الصدر القونوي، وقد ألحقها الناسخ بكتابه (الفكوك). نسخة المحمودية في المدينة النبوية.

(١) صدر الدين القونوي، حياته ومحيطه ومؤلفاته، لميكائيل بيرم (ص٦١).

□ مقارنة بين فلسفته وفلسفة الطُّوسي:

أُسُّ مذهب القونويِّ الاعتقادُ بأنّ ربَّ العالمين (الواجب الوجود) هو الوجود المطلَق لا بشَرْط، وهذا مما قد اتفق العقلاء على امتناع وجوده في الخارج[١]، وأسُّ مذهب الطوسيِّ إنكارُ وجودٍ مستقِلٍّ للَّه تعالى، وباختصار من القول: كان الطوسي في اعتقاده في اللَّه تعالى وأنبيائه ورسله واليوم الآخر على اعتقاد (ابن سينا) الطبيب الفيلسوف!

قال ابن تيمية: «وإنْ كان الفلاسفة المسلمون لا يوافقون على ذلك بل يقرُّون بالرَّبِّ الّذي صدر عنه العالَمُ؛ لكنَّهم بتعظيمهم للوجود المطْلَق صاروا متّفقين متقاربين، ومَنْ تأمَّل كلام النّصير الطوسي الصابئي الفيلسوف، وكلامَ الصّدر القونوي النصرانيّ الاتّحاديّ الفيلسوف، وكلامَ الإسماعيليَّة في «البلاغ الأكبر والنّاموس الأعظم» - الّذي يقول فيه: أقرب النّاس إلينا الفلاسفةُ، ليس بيننا وبينهم خلافٌ إلّا في واجب الوجود، فإنّهم يقرُّون به ونحن ننكره - عرف ما بين هؤلاء من المناسبة. وكذلك المراسلة التي بين الصّدر والنّصير، في إثبات النّصير لواجب الوجود على طريقة الصّابئة الفلاسفة، وجعل الصّدر ذلك هو الوجود المطلق لا المعيّن، وأنّه هو اللَّه، علمَ حقيقة ما قلته، وعلم وجْه اتّفاقهم على الضّلال والكفر، وأنّ النّصير أقرَب من حيث اعترافه بالرّبّ الصّانع المتميّز عن االخَلْق، لكنّه أكفر من جهة بُعده عن النّبوّة والشَّرائع والعبادات. وأنّ الصّدر [القونوي] أقربُ من جهة تعظيمه للعبادات والنُّبوّات والتّألُّه على طريقة النّصارى؛ لكنّه أكفرُ مِن حيث إنّ معبودَه لا حقيقة له، وإنّما يَعبد الوجود المُطْلَق الذي لا حقيقة له في الخارج.»[٢].

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل، لابن تَيْمِيَّة (٣/ ٣٦٣، ٦/ ٩٦، ٩٧).

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٢/ ٩٢).

□ **مقصد ابن تيمية مِن وَصْفه له بـ(النَّصراني) !**

معلومٌ من رأي ابن عربي وأمثاله من جهمية الصوفية أنهم كانوا يقولون: إنما كَفَر النصارى لتخصيصهم الألوهية بعيسى. وقد قرأتُ في الكتاب المسمَّى: (فيه ما فيه)، ويمكن وصفُه بـ(محاضرات الجلال الرُّومي)[١]، سجَّلها عنه مريدوه، قرأتُ فيه ما يلي: «الفصل التاسع والعشرون: قال الجرَّاح النصراني: آكَلْتُ طائفةً من أصحاب الشيخ صدر الدين [القُونَوِي] وشارَبْتُهم، ثُمَّ إنهم قالوا لي: **إنَّ عيسى إلهٌ كما تقولون، وإنَّنا لَنَعْلَم أنَّ ذلك حقٌّ كما تعلمونَه أنتم، ولكننا نُخْفِي ذلك عَمْدًا، مراعاةً للشريعة، وبسببها نُنكِرُ إذا أنْكَرنا !**

فقال (يعني: الجلال الرُّومي) قدَّس اللَّه سرَّه: يَكْذِبُ عدوُّ اللَّه، حاشاللَّه، هذا لا يكون، هذا قولُ مَن هو في إسار شراب الشيطان (يعني: الخَمْرة)، قولٌ ضال مضِلٌّ، قول ساقطٌ مُسقِط، . . . » (حتَّى قال): «ثُمَّ مَن كان خالق السموات والأرض قبْل عيسى؟ تعالى اللَّه عمَّا يقول الظالمون.»[٢]، فإن كان أصحاب الصدر القونوي قالوا ما سمعه ذلك الجرَّاح النصراني منهم، فالقول: إنهم سمعوا ذلك ومعناه من شيخهم الصَّدْر أمْرٌ جِدُّ محتمل، بَلْ لو قلتُ: هو شِبه مؤكَّدٍ ما أبعَدْتُ. إذْ لا يُعرَف في تاريخ طرائق التصوف طريقة خالف فيها المريدون شيخهم وهو حيٌّ يرزق، فضلًا

---

(١) يُعظم المولويةُ هذا الكتاب وإن كان لا يَرْقَى إلى تقديسهم للكتاب المثنوي، وانظر إلى ما كتبه أو نقله واحد من نُسَّاخها المولويين، واسمه: مستنجد بن ساتي بن الحسن، إذْ قيَّد على نسخته التي انتهى من استنساخها بقونية في سنة ٨١٩هـ، هذه الأبيات:

كتابٌ فيه ما فيهِ ... لطيفٌ في معانيهِ
فمَن لم يَرْضَ ما فيهِ ... فبَوْلُ الكلب في فيهِ

من مقدمة المترجِم: عبد الباقي كولبينارلي للكتاب المذكور.

(٢) كتاب فيه ما فيه، للجلال الرومي (ص ١٠٦، ١٠٩)، وفي بقية كلامه فساد.

عن أن يعاكسوه ويُضادُّوه في أمْر من الاعتقادِ أساس!

فوصْفُ ابن تيمية للقونوي بـ(النصراني) هو على المعنى الذي صرَّح به التلاميذ «الصَّدْريَّة»، وليس أنه وأنهم دَخلوا في دين النصارى. وحقيقة غير مدفوعة لمن قرأ تاريخ أئمة الوجودية، ظهور موالاة بعضهم لأهل الكتاب[1].

وقد نقل ابن تَيْمِيَّة أنّ عفيفَ الدين التلمساني - وقد عرفتَ أنه مِن مُقَدَّمي تلاميذ القُونَوِي- كان يُسَوِّغ للنصارى واليهود تمسُّكَهم بدينهم، وكانوا يُهَوِّنون مِن قَدر الدين بالقول: إن دياناتهم بمنزلة مذاهب المسلمين![2]، ومَن كان هذا عَقْده جاز نَعْتُه بالنصراني واليهودي وبكل ديانات الأرض إلا دين الإسلام!

ثم يقال - أيضًا -: في المحتمل أنَّ التلمسانيَّ مَن صرَّح بذاك الاعتراف للجرَّاح النصراني، فقد دخل العفيف الأنَضول ومكث فيها زمنًا، وقد ذكره ابن تَيْمِيَّة في موضع من كتبه بين أسماءِ نَفَرٍ من «الوجودية» كانت تدخل بِيَعَ النصارى وتشرب الخمْر معهم، وذكر هناك أنَّ أحمد المارديني (مريد لابن عربي) كان يفرح إذا قيل له: لستَ بمُسْلِم![3]

وقد لا ينقضي منك العَجَب حين تقرأ أنَّ هذا الجلال الرُّومي الذي أنكر على تلاميذ القونوي اعترافَهم بتأليه عيسى عليه السلام كان - نَفْسُه - يسجدُ لغير اللَّه تعالى، ويُقِرُّه لمن فَعَله! والأئمةُ من المسلمين، من الأوَّلين والآخِرين، على تضليل مَن فعل ذلك وتكفيره، وقد عُلم من الروايات الصوفية أنَّ مُوبقة السجود لغير اللَّه، التي يُدافع عنها بعض صوفيةِ دهرنا، كانت - يومئذ - مِن

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٢/ ٩٢).
(٢) الصَّفَدية، لابن تيمية (ص ٢٦٨).
(٣) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٤/ ١٦٥).

أُسُس العَداء بين الجلال الرومي وبين العلماء في قونية، فكان إصرار الجلال الرُّومي على ترسيخِها مَشْرَبًا لأتْباعِه يُعَدُّ تناقضًا مع إنكاره على تلاميذ القُونَوِي موافقتهم النصارى في تأليه عيسى، وبخاصة عند سجوده لمحبِّيه مِن نصارى الأرمن ورهبانهم[١]، (شَعَر الأفلاكيُّ برفض الشريعة السجود لغير اللَّه، فزعم أن السجود كان منه تواضعًا!) حتَّى إنه قال مرةً لفتى أَرْمَني يُسَمَّى (ثريانوس): «ماذا يقول علماء النصارى في حقيقة عيسى؟ فأجابه الفتى (ثريانوسُ): يقولون: عيسى هو اللَّه. فقال الجلال: بَعْدَ الآن قُلْ لهم: مُحَمَّدنا آلَهُ مِنَ اللَّه، آله من اللَّه، آله من الله!»[٢]، وأصبح هذا النصراني بعدئذ تاركًا لثالوث النصارى، قائلاً بحلوليةٍ تُؤلِّه ما لا عَدَّ له من الموجودات بمظاهرها المتنوعة، ومن أعلاها عندهم الجلالُ الرُّوميُّ نفْسُه، فروى الأفلاكيُّ أنه صار يؤلِّهه عَلنًا ويسمِّيه إلهَهُ، حتَّى شَكَوْه إلى القاضي سراج الدين الأرموي في ذلك[٣]، وهنا سؤال هام: فما معنى إنكار الرومي على تلاميذ القُونَوِي؟

□ الوحشة بينه وبين صاحب المثنوي[٤]:

يُفهَم من روايات كتب القوم، أنَّ وحْشَةً ما كانت تُوَتِّر أجواء علاقة الصَّدْر القُونَوِي بالجلال الرُّومي، بخلاف ما رُوِّج له قديمًا وحديثًا. ويُشْبِه أن يكون

(١) مناقب العارفين، للأفلاكي (١/ ٣٣٠، ٣٣١، ٧١٦).

(٢) مناقب العارفين، للأفلاكي (١/ ٤٧١).

(٣) مناقب العارفين، للأفلاكي (١/ ٤٧١، ٤٧٣).

(٤) وهنا سؤال: ما بال عظماء الرجال (عند الصوفية على الأقلِّ!)، الذين كانوا جيران الرُّومي، ممن سكنوا قونية، من أمثال القُونَوِي وصاحب (مختار الصحاح) الرازي، والسراج الأرموي، والصفي الهندي وغيرهم لم يذكره واحدٌ منهم في كتاب- لا بخير ولا بشر - وإنما تفرَّدَتِ المصادر المولوية بذلك؟!

تاريخ هذا التجافي بينهما قديمًا، لعله نشأ منذ اجتماعهما في دمشق في مجلس شيخ الوجودية الأكبر ابن عربي(١)، ويمكن القول إنها علاقة تقلَّبتْ، فقد ذُكِر أنه كان في البدء مجافيًا منكرًا على الجلال الرُّومي، ويبدو أنه لمّا نال الرُّوميَّ تكريمُ المغْل له(٢)، لجأ إلى تقيَّةٍ في العلاقة معه، فإن من السياسة المعقولة أن تُقَوَّى العلاقة مع البغيض المتمكِّن الذي لا مندوحة للمرء من القرب منه أوالتقرُّب إليه، فيمدحه بكلمات مقولة، ولكنه يمتنع من كتابة كُلَيْمة ثناء عليه في كتبه، فلا يُنتَظَر أن يَقْلب المجَنَّ له بمَرَّة، وإن كانت بغضته له لتفلت منه، فيصلحها بتمثيلية!

نقل الأفلاكي عن شيخه (سلطان وَلَد) نَصًّا في إثبات أصل الخلاف بينهما، فقد ذَكر أن (سلطان وَلَد) قال: «كان الشيخ صدر الدين شديد الإنكار على مولانا، في بادئ الأمر!». غير أنك حين تقرأ بقيَّة الخبر، تتذكر كلامَ العلماء في التحذير من (الأولياء) الزُّيوف، الذين تشكَّلُ الشياطين على صور أوليائهم، لِيُرعِبوا الجهَّال، وليُوَثِّقُوا الشِّركَ بهم(٣).

ويَرِدُ أنَّ عامل المزاحمة في المكانة هي التي صيَّرتْ علاقةَ القُونَوِي بالجلال «متوترةً» منذ ألقى القونوي عصا الترحال في عاصمة السلاجقة قونية، وقلت: (مُزاحَمة) لمعنًى مستَخْرَجٍ مِن اعترافٍ للجلال، قالَه يومَ سألَه ابنُه (سلطان ولد) وهما في دمشق، في قَدْمَةٍ مِنْ قَدماتهما إليها، وقد عَلِم أنَّ لأبيه عشيقًا بها، يقال له حميد الدين: «لِنأْخُذْه معنا إلى قونية»، فقال أبوه الجلال: «لا يَصلُح هذا، فإن بها صلاحَ الدين زركوب (ت٦٥٧هـ)،

---

(١) رسالة السبهسالار، لفريدون القائد (ص ٣٥).

(٢) غاية ما استطاع المؤرخ التركي الشهير فؤاد كوبرولي (ت١٣٨٦هـ) الاعتراف به من أمر المغول وتكريمهم للجلال الرومي هو الادعاءُ بأن المغْل اضطروا لاحترامه لشخصيَّته! انظر كتابه: الإسلام في الأنَضول (ص ٥٤).

(٣) مناقب العارفين، للأفلاكي (١/ ٥٠٨).

ورجُلَيْن من أولياء اللَّه كأسدَيْن، لا يجتمعان في مكان واحد!»[١].

وثمة روايات أفلاكية تُظهر الجلال الرومي غير معجب بالصَّدْر القُونَوِي، بل تُريه مبغضًا لشيخَيْه الذين ارتضَع - بتعبيره - منهما فِكْره الوجوديَّ، أعني: الأوحد الكرمانيَّ، وابنَ عربيٍّ الطائيَّ، بل ربما دارت في مجلسه في قونية أحاديث تُزري بمكانة شيخ الأكبرية (ابن عربي) فعَنْ بعض عرفاء المولوية، قال: «كان بعض العارفين من الأصحاب يتحدَّث ذات مرة عن الكتاب المسمَّى بالفتوحات المكِّيَّة، فبَيْنا هو يتكلَّم في ذلك ويقول: إنه لكتاب غريب، لا يُعلَم مَرام صاحبه، ولا يُدْرَى مِن حكمةِ قائلِه سِرٌّ ما، إذْ بـ(الزَّكيِّ القوَّال) يَدخل من الباب ويَشرع في بيان الأسرار (يعني: يُغَنِّي!)، فقام الجلال إلى السماع وهو يقول: الفتوحاتُ الزَّكية الآن أفضل من الفتوحات المكِّية!»[٢].

والحق أنّ النُبَذ مِنَ الأخبارِ التي رُويت عنهما تؤكد في مجموعها أنَّ وحشةً ما كانت بينهما، ليس بأهونها قذفُه بالأُبْنة صديقَ القونويِّ، صاحب كتاب (التبصرة) وزعيم أهل الفتوَّة (أورن الأخي)، مع وصْف الراوي له أنه كان في العِلم والقونوي كفَرَسيْ رهان[٣]. وستأتيك روايات يمكن حَمْل بعضها شاهدًا لبعض في ذلك.

لقد كان الجلالُ الرُّومي - وبعضُ معاصريه من الصوفية الغلاة - يَميل الميلَ الواضح إلى المُغْل ودولتهم، ولك أن تَعدَّ ما ظهر من عقيدة بعض الصوفية في القَدَر السبب في ذلك، ولكن يمنع من ذلك هنا أنَّ القُونَوِي كان من هذا المشرب، والأقوى عندي أنَّ المصلحة الشخصية للجلال وافقتْ

(١) مناقب العارفين، للأفلاكي (٢/ ٢٩٧).
(٢) مناقب العارفين، للأفلاكي (١/ ٧٠٠).
(٣) مناقب العارفين، للأفلاكي (١/ ٣٧٠).

مذهبَه في القدر، في حين إن القُونَوِي ورأيه السياسي خالفه. ومن أقوى الأدلة في عمالة الجلالِ للمغْل الناشئة من عقيدة فاسدة في القضاء والقدر تسميتُهُ جندَ المغْل: «عساكرنا»، والتصريح بكون أكبر أميرٍ لهم في الأنَضول الأمير «بايجو»: وليًّا للَّه تعالى[١]. وهو ما لم يتركه المغل بلا مكافأة، فعيَّنوه شيخَ شيوخ الأنَضول (بالفارسية: مولاى روم) - والروم هي الأنَضول - وانهالتْ صُرَر الذهب عليه، مع توزيع للمدارس وما يتبعها من أوقاف على أصحابه، وحماية ممتلكاتهم وصونها عن المصادرة[٢].

□ القونوي عند الجلال الرومي مقلِّد!

جَعَل الجلالُ الرُّوميُّ بَلَدِيَّهُ صَدْرَ الدِّينِ القُونَوِي في مرتبة «المقلِّدين»، الذين لم يبلغوا التحقيق، وإذْ كان الأمر كذلك عنده، فإنه متشبِّع بما لم يُعْطَ، فهو عن صواب الرأي والمعتقد بمَعْزِل، واقرأ إفشاء هذا الأمر في هذه الرواية التي أسوقها لك كاملة: «قال سلطانُ الخلفاء، ونَبْعُ الصِّدق والصفاء، الجلبيُّ حسام الدين -قدس اللَّه سرّه- وهو بين أعزّة الأصحاب: كان قد أُجْرِيَ ذات ليلة سماعٌ كبير، فلما انتهى السماع، جعلتُ أُدَلِّكُ صدرَ الشيخ (الجلال الرُّومي) المبارك، فسألته: إنَّ مولاي المليك (يعني شيخَه الجلالَ) يُولي مِن العناية والرعاية بالشيخ المحدِّث صدر الدين ما هو كثيرٌ زائد، أتراه شيخًا يبحث عن الحقائق؟ أم هو مقلِّد؟ فقال مولانا: وحقِّ صدري، مرآةِ سِرِّ اللَّه، الطاهرِ عن الحسد والغِل، إنَّ الشيخَ لمقلِّدٌ، واللَّه إنه لمقلدٌ!»[٣].

إنَّ هذا الحكم من الجلال ليس شرعيَّ المنطلق من قائله بحالٍ، فما هو إذن؟ إنه نوع من التعالي و التعاظم، ومدح الذات لدى أئمة الوجودية، مما

---

(١) مناقب العارفين، للأفلاكي (١/ ٤٥٤)، وهناك شواهد غيرها.

(٢) في كتاب (أخبار جلال الدين الرومي ووقفات مع ترجمته. . .) من أدلة ذلك جملة وافرة.

(٣) مناقب العارفين، للأفلاكي (١/ ٧٠٢).

رئي مثيله في بعض شيوخ الوجودية من معاصريه، فهذا ابن سبعين يصف بعض آراء ابن عربي بقوله: «إنَّ كلامه فلسفة مخموجة» أي عَفِنَة[١]، وقال عن الغزالي: «إدراكه في العلوم أضعف من خيط العنكبوت!»، وقال عن أبي مَدْيَن (ت٥٩٤هـ): «شُعَيْبٌ عبدُ عَمَل، ونحن عبيدُ حَضْرةٍ!»[٢]، وكثيرًا ما ترى بعضهم يقولون: «إنَّ الشيخ فلانًا أفضل من فلان، ومن ذلك قول التلمساني: إنَّ شيخَه القُونَوِيَّ أتَمُّ مِن شيخه ابن عربي، وكان ابنُ سبعين يُفضِّل التلمسانيَّ على ابن عربيٍّ»[٣]. وذكر ابن تيمية وهو يتكلم على ابن قَسِيٍّ (ت نحو ٥٥٠هـ)، ذاكرًا أن ابن عربي شرح كلامه، فقال: «فتارةً يُعَظِّمه وتارةً يبالِغ في ذمِّه والدَّقِّ عليه.»[٤]. وكان اختلافهم العِرْقي والثقافي والسياسي ضغثًا على إبّالة، ولك أن تعُدَّ طرائق التصوف في ذلك العصر كالأحزاب السياسية اليوم، يناوئ بعضهم بعضًا، وهُمْ أشباهٌ.

ولا يبعُد أنَّ الجلال الرُّومي قد بلغه من مديح القُونَوِي نفْسه في تصانيفه ما بلغه، وتعريضه به وبكتابه المثنوي، فزاده ذلك عليه حنقًا على حنق، من مثل قول الصَّدْر القُونَوِي في كتابه (النصوص): «فافهم هذا وتدبَّرْه، فقد أدرجتُ فيه من نفائس العلوم والأسرار ما لا يَقْدُر قَدْرَه إلا الله! وهذا هو الحق اليقين، والنصُّ المبين!»، (ما بقي إلا أن يقول: وليس المثنوي المزعوم أنه تنزيلٌ من ربِّ العالمين!)، ولعل الروميَّ قد اغتاظ أكثر، من قوله بعد ذلك في الكتاب السابق: «ومن النصوص الكلية نصوص ذكرتُها في كتاب: مفتاح غيب الجمع وتفصيله، وفي غيره من الكتب التي أنشأتها، ولم أمزجها بكلام

---

(١) بغية المرتاد، لابن تيمية (ص١٨٣).

(٢) الكواكب الدرية، للمناوي (٢/ ٤٤٢).

(٣) بغية المرتاد، لابن تيمية (ص ٤٠٩).

(٤) الرد على الشاذلي، لابن تيمية (ص ١٤٣).

واحد من الناس! فإن ذلك ليس من دأبي، إذْ قد عصمني اللَّه (!) من ذلك وأغناني بهباته الخالصة العلِيَّة عن العَواري الخارجية السُّفلية!»[١].

□ تكذيب الرومي له!

وهذا مشهد آخَر حاول به القونوِي - فيما يبدو - التقَرُّب إلى السُّلْطة، حين زعم للوزير، (الموظَّف عند المغول!) معين الدين البروانة، أنه عُرِجَ به ليلة إلى الملكوت! فلما ارتفعتْ حُجُب كثيرة أمامَه رأى الجلال الرُّومي واقفًا فوق العرش[٢]! ثُمَّ أكمَلَ خياله للوزير بالقول: هذا قُرْبٌ لم ينَلْه وليٌّ قبْلَه! فلما كان مِن غَدٍ ذهب الوزير إلى الجلال ليخبره بما سمع من القُونَوِي، فعاجَلَه الجلالُ بالكلام قبْل أن يَنْبِسَ الوزير ببنتِ شَفَةٍ قائلًا: «أيها الأمير، هو ذا المعنى صحيحٌ، وإنه لكما رأى الشيخ، بَيْدَ أني لم أرَ الشيخَ هناك!»[٣].

ويبدو أنَّه حين نُقل جواب الرُّومي مع تعليقه الأخير إلى القُونَوِي، عَلِم أنَّ (صناعتَه) قد سُلِخَ عليها بذلك التعليق، فنَقِفُ عند أحمد الأفلاكي على رواية أخرى بَدَتْ أنها محاولةٌ تزلُّفٍ جديدة منه (وإن لم يذكر الأفلاكي تاريخ الحُلمين)، فكان أن زاد هذه المرَّة في حلمه (أو تَحلُّمه) من جرعة الخيال قدرًا أكبر، فقال للوزير: «رأيتُ مولانا هذه الليلة، وهو قريب من اللَّه قربًا تضيق الشعرة عن أن تسَعَ ما بينه وبين الله! فلما أبلغوا «حلمه» هذا للجلال قالها على منوال الأُولى: إذَنْ كيف اتَّسَع المكان له ثمَّة، والحال على ما ادَّعى؟ لأن اللَّه الذي لا شريك له في عالم الوحدة، لا يسعه شريك

(١) النصوص، للصدر القونوي (الورقة ١٧).

(٢) لا يبعد أن يكون القُونَوِي صادقًا حين قال إنه رأى عرشًا، أُوقف عليه شاعر الفارسية الرومي، لأننا نعلم كما ورد في الحديث أن لإبليس عرشًا ما، وأنه ينصبه على ماء، ويستعرض إنجازات بنيه، وهل يبعد أن يكرِّم (أبو مُرَّة) مَن ينطق بوحيه؟!

(٣) مناقب العارفين، للأفلاكي (١/ ٦٣٩).

ولا شبيه!»(١).

قلت: وهذان التعليقان من الجلال الرُّومي، في التكذيب والتحقير للصدر القُونَوِي أمام الوزير البرواناه كما ترى، وغير بعيد أنه أومأ إلى تكذيبه في رؤاهُ التي دوَّنَها في كتبه.

□ ..ويُخالفه في كلِّ رأي!

قال (حارسه الشخصي) السِّبهْسالار(٢): «دعا السلطانُ ركن الدين، ذات يوم، جميع علماء وقته، إلى مأدبة عامرة، أعدَّها لهم في قصره، فجلس قاضي القضاة سراج الدين الأرموي على أريكةٍ في جانب السِّماط، وجلس صدر الدين (القُونَوِي) على مِثْلها في الجانب الآخر، وجلس (السيد شرف الدين) عند كرسي السلطان عند قدمَيْ السلطان، وإذْ مولانا المليك (يعني الجلال الرومي) يدخل من الباب ومعه الأصحاب (مريدوه)، فسَلَّم ومشى وسط القصر، وجلس عند حوض ماءٍ في وسط القصر، فجَهِدَ الوزير البرواناةُ أن يقْنِعَه بتغيير مكانه، والجلوس بموضع أعلى، ومعه في ذلك الأُرْمويُّ، والقُونَوِي، والسيِّد شرف الدين، فما قدروا إذْ لم يُرضِ ذلك مولانا.

فالتفَتَ الشيخُ صدر الدين بوجهه إلى مولانا (يعني: الرومي) وقرأ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، فأجابه مولانا قائلًا: «لا، ربَّما مِنَ اللّه نفْسِه!»(٣)، فزَعَم (السَّبهسالارُ) أنَّ الجميع قاموا وجلسوا بين يديه.

---

(١) مناقب العارفين، للأفلاكي (٢/ ١٨٢).

(٢) تعني كلمة (السبهسالار) القائد؟ فلم لا يكون هذا الرجل حارسه الشخصي المعيَّن من قِبَل المغول لحمايته؟

(٣) رسالة فريدون السبهسالار، في ترجمة الجلال الرومي (ص ٨٩، ٩٠).

□ ..وزيارات متأزِّمة!

وربما زار الجلالُ الرُّوميُّ الصَّدْرَ القونويَّ في منزله، ولكنها ليست كما يُصوِّرها بعض المعاصرين من الكَتَبة زيارات تَعْبَق بالوداد، ولا أن ما وصلنا من أخبارهما يدلُّ على أنها كانت بين فترات متقاربة، بل على الاحتمال الذي يُرَجَّح، فإن القول: إنها كانت نادرة أوْفَقُ مع سياق ما ورَدَ من الروايات، فمن ذلك أنَّ الجلال قد أُهِين مِن قِبَل (الحاج الكاشي) - مريدٍ للصدر القُونَوِي كان في المجلس - لما جاءه زائرًا بسؤال وجَّهه هذا المريدُ إليه، وفي الخبر أنَّ هذا المريد قُتل بعد ثلاث، وقد تسأل بعد وُقوفِكَ على (أخبار الجلال الرُّومي) التي جمعتُها في كتاب كبير: أقتَلَه مُريدو الرُّوميِّ؟!(١).

وإنَّ في تكرار ما يُشبه صنيع (الحاج الكاشي) - وهي معاملة جاسِيَة على كل حال - مِن قِبَل مريدي القُونَوِي وخَدَمِه مع الرومي لَدلالةً على النِّفار لا التَّوَادِّ، هاكَ فاقرأ:

حكى الأفلاكيُّ في «مناقب عارفِيه» أنَّ مولاهُ الرُّوميَّ قصد زاوية القُونَوِي ذات مرة لزيارته، فلمَّا كان قُرْب الزاوية خرج خادمُ القُونَوِي من الباب، وقال هذه الكلمة: الشيخُ ليس بالزاوية! فقال الجلال مُغضبًا: «اخرَسْ، لا تتكلم قبْلَ أن تُسأل، ألم تتعلَّم هذا من شيخِكَ أيضًا؟»(٢).

فهل يُفْهَمُ أنَّ الجلال يُعرِّضُ بمعرفته بأنَّ ذلك الاستقبال السيِّئ، وعدم الترحيب بمَقْدَمِه، ولمَّا يأتِ البابَ، إنما لُقِّنه الخادمُ من سيِّده القُونَوِي داخل

---

(١) مناقب العارفين، للأفلاكي (١/ ٤٧٥).

(٢) مناقب العارفين، للأفلاكي (١/ ٤٠٧). قلت: لا يُدرى كيف تمالك الجلال نفْسه ولم يشتمه شَتيمَتَهُ، التي يطلقها حال غضبه، (كما أورد الأفلاكي ذلك) وهي قوله: «يا أخا القحبة»، وكان ممن قذفه بها (الحاج بكداش) الخراساني صديق القونوي.

الزاوية؟ أَوْ أنَّه ذَمٌّ لتربيةِ القُونَوِي غِلمانَه فحسب؟!

وذُكِر أنَّ قطب الدين الشيرازي، تلميذ النصير الطوسي والصدر القُونَوِي، لمّا دخل على الجلال الرومي وجلس عنده، سكت عنه الروميُّ زمانًا، لا يُكلِّمه، ثُمَّ بعد ذلك ذكر له الرُّوميُّ حكايةً لا تَعْنِينا، فلما فرغ منها مِن حكايته خرج الشيخ قطبُ الدين الشيرازي على وجهه، قال الراوي: «وذلك أنَّ الشيخ جلال الدين فهم عن الشيخ قطب الدين أنه جاءه ممتحنًا له!»[1]، والسؤال هنا: ما الذي أدَّى بالجلال إلى أن يظنَّ أنَّ القطبَ جاء لامتحانه؟ أليس أقرب إلى ذلك أنه رأى شابًّا ممن يتردد إلى منزل القُونَوِي ومجالسه، فظنَّه مرسَلًا من قِبَله، مُوعَزًا إليه بِمِحْنَتِه؟

□ ..والأصفر الرَّنان!

ويَرِد أنَّ الدينار والدرهم واقتسامهما كانا سبب ذلك الجفاء وعدم التآلف، وانظر رواية الأفلاكي هذه، قال: «ونُقل - أيضًا - أنَّ معين الدين البروانة جاء ذات يوم إلى الشيخ صدر الدين يزوره، وكان حديثهما الذي جرى الكلام عليه، مسألة الرواتب (جاء لفظها في الرواية: الإدرارات)، التي كان الأصحاب يومئذ يُعْطَوْن منها كل يوم نصف دينار، فقال الشيخ صدر الدين: ليس «حضرة مولانا» بحاجة إلى عائدات الدارَيْن معًا (يعني: الدنيا والآخرة!) فلْيُعط عائداته المالية إلى الفقراء المستحقِّين، ذلك يَلْزَمُه! ثمَّ إنه في اليوم نفْسه زار البروانةُ مولانا - أيضًا - فقال مولانا: يا معين الدين، إنَّ خَرَجَ الشيخ (يعني الصدر القُونَوِي) ومصروفاته كثيرة، إنه يعيش عيشة تليق بالملوك! لا يحتاج أصحابنا إلى شيء، إنَّ مِن المناسب جَعْلَ ذلك الدينار في مصروفات مطبخ صدر الدين أيضًا!»[2].

---

(١) الجواهر المضية في طبقات الحنفية، للقرشي (٣/ ٣٤٤).

(٢) مناقب العارفين، للأفلاكي (١/ ٦٦٣).

وفي الخبر المحكيِّ تأثرُ الوزير بما سَمِعَ! لكنَّ فَهْمَ المؤرخِ الناقدِ مِن «الخبَرِ الأفلاكي» غير هذا.

أمَّا روايات الأفلاكي التي فيها أنَّ الرُّومي في مرضه الأخير شَرب ما قدَّمه له القُونَوي بعد أن ردَّها من يَدِ القاضي التاج الأرموي، ودعاء القُونَوِي له بالشفاء، وما أجاب به الرُّومي، ثُمَّ ما أوصى به من تقديمه في الصلاة على جنازته، وأن القُونَوِي حين قُدّم للصلاة غُشِي عليه[١]، فينبغي أن تعاد قراءته بغير ما فسره دراويش المولوية به، وذلك بأن تُفهم في الإطار الذي شهدت به الروايات الأخرى الواضحة.

□ الشمسْ التبريزيُّ وشنآنُه مُعَلِّمَيْ الصدرِ:

كان عشيق الجلالِ الرُّومي، الذي أطارَ تَعَشُّقه لُبَّه، وأسالَ لُعابَ «تغزُّليَّاته» بألوفٍ مِن الأبيات الفارسية الخَلْوَةُ في حُجْرة معه- أعني الشمسَ التبريزي - باديَ الشَّنآنِ لِشَيْخَيْ صَدْرِ الدِّينِ القُونَوِي، ابن عربي، والأوحد الكرماني، فقد كان اتحاد العاشق والمعشوق شاملاً للآراء أيضًا، فمِن ذلك ما نقَلَه الشمسُ التبريزيُّ في قونية، في مجلس حضره الجلالُ الرُّومي -لا ريب في ذلك! - والقلندرية من مريديهما، حين عَرَض الحديثُ إلى بغيضٍ آخَر لعشيقه ووالد عشيقه، المتسبِّب في مفارقتهما وأهل بيتهما قُرَّة أعينهم مدينة (بَلْخ)، فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، فقال: «أيُّ قوَّة كانت عند الفخر الرازي حتَّى يَفُوهَ بقولِه: قال مُحَمَّدٌ الرازي كذا، وقال مُحَمَّد التازي كذا؟[٢]، ألا يكون هذا مرتدَّ العصرِ، كافرًا بإطلاق؟»، ثُمَّ قال: «إنهم لا يُشفقون على

---

(١) مناقب العارفين للأفلاكي (٢/ ١٦٥، ١٥٣، ١/ ٥٦٥).

(٢) روَتْ بعض المصادر هذه الكلمة الشنيعة عن الفخر الرازي، منها: مقالات الشمس التبريزي (٢/ ١٤٣، ١٤٤)، والذيل على الروضتين، لأبي شامة (ص ٦٨)، وتاريخ الإسلام، للذهبي (١٣/ ١٣٩)، والبداية والنهاية، لابن كثير (١٧/ ١٢).

أنفسهم، هذا الشيخُ محمَّدُ بنُ العربي، كان يقول في دمشق: «مُحَمَّدٌ مِنْ حُجَّابِنا!»، فقلتُ له: لم لا تَرى في مُحَمَّدٍ ما تراه في نفسكَ؟ كلُّ امرئ حاجبٌ لنفْسِه! فقال ابن العربي إثْرَ ذلك: كيف تكون الدعوة لمكانٍ فيه الحقيقة والمعرفة؟ وأين يُقال: افعَلْ ولا تفعل؟ فقلت: هذه فِكرة أنت افتَكَرتَها. وكانت تلك الفضيلة زائدةً! أليس هذا عين التصرف والإنكار والدعوة؟ فما دُمْتَ تقول: إني أدعو، وتقول: لا تنبغي الدعوة، ففي تلك الحال يكون الشيخ مُحَمَّد (يعني: ابن عربي) نِعْمَ شَريكُ البَلْوى، هو رجُل مؤنسٌ وعميق، بَيْد أنه لم يكنْ مُتَّبِعًا للنَّبِي! فقال أحدُ الحاضرين: إنَّ ابنَ العربي - ذاتَه - عينُ متابعةِ النبيِّ! فقلتُ: كلَّا! ما كان متَّبِعًا النبيَّ! كان الشيخ مُحَمَّد (يعني: ابن عربي) كثيرَ الركوع والسجود، وكان يقول: إني عبدُ أهل الشريعة! لكن ما كانَ متبعًا النبيَّ! ولقد أفدْتُ منه كثيرًا، ومع هذا فلمْ يكن ممن يتبعون النبي! والفائدة التي أفدتُها منه ليسَتْ مِنْ جنس ما كان منه لأحدكم ومنكم له، شَتَّان ما بين الدُّرِّ والحَصَى!»(١).

ثُمَّ قال التبريزي - أيضًا -: «وكثيرًا ما رأيت الشيخ مُحَمَّد بن العربي يقول: أخطأ فلان، وغلط فلان، وقد رأيته أنا وهو يخطئ، فكم أوقفته على أخطائه، فكان يحني رأسه ويقول: يا بُني، إنك لَتُنزِلُ لَسَعَاتِ سوطِكَ بقُوة..» إلخ.

وهذا من عجائب المنقول: حُلوليٌّ ينكرُ على وجوديٍّ!

أحسب أنَّ «مُشجِّعًا» من مُشَجِّعِي التصوف، «ماشِيًا على عَمَاها!»، ممن لم يكلِّف نفْسَه مشقَّةَ قراءةِ المصادر في تاريخ هذا الرجُل وأمثاله، ممن لَفَّ لِفَّه من صوفية الأنَضول، ربما ظنَّ التبريزيَّ من دُعاة السُّنة وخصوم البدعة لِكلامه حول عدم اتباع شيخ الصوفية الأكبر ابن عربي، للنبيِّ ﷺ(٢).

---

(١) مناقب العارفين، للأفلاكي (٢/ ٢٥٧).

(٢) مناقب العارفين، للأفلاكي (٢/ ٢٥٨).

أكان إذَنْ السهرورديُّ المقتول على الزندقة[١]، (قتله سلطان المسلمين)، أكان هذا المقتول متَّبعًا النبيَّ ﷺ كي يستحقَّ أن يَسُبَّ التبريزيُّ الفقهاءَ والقضاة، الذين أباحوا دَمَ السُّهروردي بقوله عنهم: «أولئك الكِلاب! كفَّروه، وما هو بكافر؟!»[٢].

وأقِفُ بك عند قول ابن عربي للتبريزي: «يا بُنَيَّ «شاهدًا على أنَّ الشمس كان حينئذ شابًّا، وأنت إن افترضْتَ أنه قد رأى ابن عربي في السنة التي مات فيها، وهي سنة ٦٣٨هـ، وقلت: إنه حين قُتِل في قونية كان في السبعين لكنت مسلِّمًا بما قاله المؤرخ الدكتور (أحمد ياشار أوجاق) من أن عُمُر التبريزي حين لقي الجلال بقونية، كان الخامسة والأربعين[٣]، وهذا وإن كان محتملاً، فالقول إنه جاز الستين استنتاجًا من بعض أقواله في (المقالات) ليس ببعيد أيضًا، وللفَطِن المطَّلِع على ما بلغنا من ترجمته أن يزعم بعدُ؛ أنه كان يملك جسدًا قويًّا رياضيًّا؛ من جرَّاء قَلَنْدَريَّته، التي شَدَّتْ عُودَه[٤]، فجعلته ممن لا يُنكَر عليه أن يُزوَّج من كَعاب (أعني الفتاة المسمَّاة: كيمياء خاتون)، واضطرَّ أعداؤه حين أرادوا خلاصًا منه أن يُكثِروا عدد من أُرسِل لاغتياله!

إن المؤرخ الفَهِم، هو مَن يجمع الروايات، ويحلِّلها غير منساقٍ إلى ما تزعمه تفسيرات الرواة لها، فإن (وراء الأكمة ما وراءها) غالبًا، وبخاصة عند أناس تَدرَّعوا دِرعًا من القداسة - أعني الصوفية - يضنُّون بمثله

(١) منهاج السنة، لابن تيمية (٨/ ٢٤).
(٢) مناقب العارفين، للأفلاكي (٢ / ٢٥٥).
(٣) القلندرية، لأحمد ياشار أوجاق، (ص ٧٢).
(٤) القلندريُّ رحَّالٌ وهو لا يتخذ دابَّة أصلًا، فهو ممارسٌ لرياضة المشي، وكذا طعامه يُشْبِه أنْ يكون صحيًّا!

لأصحاب النبي ﷺ، الذين ما أعطوا العصمة، ولو أعطوها لكانوا بما نقل من الروايات الصادقة مستحقين لها.

أما نُسَّاك الأعاجم هؤلاء، فضَرْبٌ مِن الناس مختلفون، منهم المقبول وكثير منهم: أسفل سافلين! وهنا ترى الجلال والشمس يذكران من أسباب البغضاء لهذين الصوفيين، ما قد عرف الناس أنهما على نوع منه قَبْلهما، وإذن فليس ذلك السبب الحقيقي لشنآنهما لهما، ففي مثال ابن عربي، لم يذكر الجلال والشمس سوى كلام مُبْهَم لا يُدرى ما يعنيان به عند نقدهما له، أجْمَلاهُ بمخالفة الشريعة وعدم اتباعها، فهل كانا هما على صراط مستقيم غير ذي عِوَج منه؟ هيهات!

نَعَمْ، كان الأوحد الكرماني، مغرمًا بالمذهب الشهواني في التصوف (القول بالشاهد) داعيةً له، سيِّئ الرأي في النساء، كارهًا لهُنّ(١)، ولكن ما يهمُّ الباحث هاهنا هو تفنيد زعم الجلال الرُّومي (صاحب مثنوي آخِر الزمان)(٢)، أنه وشيخه التبريزي إنما يبغضان الكرماني لغير هذا السبب المعلن، فقد كذب الرُّومي على مريديه حين زعم أنَّ الكرماني أول من ابتدع هذا الفسق المبطَّن في دنيا التصوف، حتَّى قال: «فعليه وِزْرُها، ووزر من عمل بها»(٣).

---

(١) انظر: مقدمة رباعياته: (ص ٢٢٢٦).

(٢) أطلقتُ عليه ذلك استنادًا إلى الأثر الموقوف، وله حُكمُ الرفعِ: عن عبد اللَّه بن عمرو، رضي اللَّه عنهما، قال: «مِن اقتراب الساعة... ويقرأ بالقوم المثناة (في رواية أخرى: المثاني) ليس فيهم أحد ينكرها (وفي رواية: فلا يعيبها أحد منهم) قيل: وما المثناة؟ قال: ما استكتب سوى كتاب اللَّه ﷻ». رواه الحاكم (٤/ ٥٥٤)، والدارمي، (٤٨٢)، وابن أبي شيبة (٥/ ١٦٥)، وانظر: الصحاح، للجوهري (٦/ ٢٢٩٤)، ومقاييس اللغة، لابن فارس (١/ ٣٩٢)، و غريب الحديث، لابن الأثير (٤/ ٢٨١، ٢٨٢).

واقرأ كلامي عليه في: أخبار جلال الدين الرومي، (ص ٣٥٧).

(٣) مناقب العارفين، للأفلاكي (١/ ٦٦٤، ٦٦٥).

ونسأل بأي قسطاس كان جَرْح الرُّومي والتبريزي لحامد الكرماني؟ أليست الملامية و«التخريب» مما يَدينان به؟ أمَا روى ابنُ الجلال (سلطان ولد) عن أبيه الجلال قوله: «.. ومن أولياء اللَّه من يرتكب منهيَّات الشريعة حتَّى يُسقِط نفسه من أعين الناس؟!»[١] ألم يكن التبريزي قَلَنْدريًّا؟[٢].

□ **فَرْق ما بين فلسفته وفلسفة ابن عربي:**

يرى ابن تَيْمِيَّة فرقًا بين درجاتِ معارف الوجودية الذين قرأ كتبهم بالإسلام، فعدَّ ابن عربي أعلم الوجودية في زمنه بالإسلام[٣]، وهو يرى أنَّ الصَّدْر القُونَوِي كان أكفر مِن ابن عربي، وأقلّ علمًا وإيمانًا ومعرفة بالإسلام وكلام المشايخ، وذلك لأنه كان أحذق منه بفلسفة الوجود والواحد. ولا يذهبنَّ عنك أنه حين قال: «أكفر» فإنه إنما عنى كلامه وفلسفته، لا الحكم على مصيره في الآخرة، فإن رأيه في تكفير المسلم المعيَّن معروف. ولا يعلم إلا علام الغيوب ربّنا ﷻ كيف كانت أيام القُونَوِي الأخيرة؟ وبأيّ شيء خُتم له؟ وإن كانت وصيته - وهي التي يُحتمل جدًّا أنه كتبها في أُخريات سِنِيِّ عُمُره - دالَّة على بقائه على المسطور في كتبه.

ولو كان في حُكم أبي العباس في هذا الصنف المنحرف مَغْمَز لما استشهد كبار الحنفية به، فهذا الإمامُ العيني ساق كلامًا لشيخ الإسلام في فصل عَقَدَه العينيُّ في أسماء الزنادقة في كتاب له، فقال: «... وقال ابن تَيْمِيَّة: وهنا طائفة كُفْرهم أشد مِن كفر اليهود والنصارى، وهم: محيي الدين بن عربي، وابن سبعين، وعفيف التلمساني، وجلال الرُّومي، وعمر بن الفارض»![٤].

---

(١) مناقب العارفين، للأفلاكي (١/ ٣٧٥).

(٢) من أراد معرفة بهذا الصنف من الصوفية فعليه بكتاب (الصوفية القلندرية تاريخها...) لهذا الفقير إلى اللَّه تعالى، كاتب السطور.

(٣) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٢/ ٢٧٢).

(٤) كشف القناع المرنى، للعيني (٢٢٨، ٢٢٩).

□ هل كان الصدر القُونويُّ «شاهِدِيًّا»؟

«الشَّاهِدِيَّة» التي أعني، هي الانتساب بالاعتقاد إلى ما يَعْنِيه الاصطلاحُ الصوفيُّ في كلمة «شاهِد»، التي عُرِف بها بعض الصوفيِّين قديمًا، فجاهَرَ بها بعضُهم، وأنكرها بعضهم، وتكاتَمَ أمْرَها آخَرُون في عصرنا، ممَّنْ كتبوا في مَدِيح الصوفية، أو ذكروها في «الثَّنايا» مُبدِّلِين معناها إلى معنًى مقبولٍ عند مثقَّفي العصر. وأمَّا تعريفها عند القوم - أعني الصوفية القدماء، لا شيوخهم العصريين - فكما عرَّفها أخبَرُ الناس بموقف الصدر القونوي منها، أعني تلميذه الصوفي سعيد الفرغاني، إذْ قال: «. . . واعلم أنّ «الشاهد» في لسان القوم إنما هو «الوجود» مُفيضًا كان أو مفاضًا!! أمّا بالنسبة إلى أرباب البداية فيَظهر الوجود المفاض لبعضٍ مجرَّدا، وذلك كالبرق الخاطف، ولبعضٍ يَظهر بصورة روحانيةٍ نورانية، تَظهر نوريَّتُه في الباطن، وينشرحُ الصدر حالتئذ!! ويبدو لسمعه في تلك الحالة خطابات لم تكن للمخاطب مرئيَّة، ولبعضهم يظهر ذلك بصورة مثالية، تارةً مِثل كوكب، وتارة مثل قمر، وتارة مثل شمس، وتارة يبدو بصورة إنسان مليح الصورة، يُؤنس الرأي ويُرشده إلى ما فيه تَرَقِّيه وصلاحه، وربما يخبره عن الكوائن ويزجره عما فيه مضرَّة حاله ونقصانها، ومن ذلك ما يبدو للذاكرين في خلواتهم بصورة ضياء تنوِّر به خلوتهم، وأمّا بالنسبة إلى الأكابر فهو عين التجَلِّي الأسمائي أو الذاتي، وإنما سَمَّوْه «شاهدًا» لأن شهودهم في أيِّ رتبة كان لا يضاف إلا إليه، فتارة هو يَصِير سمعهم وبصرهم، وتارة هُمْ يَصِيرون سمعه وبصره!! بحسب حُكْم التجَليَّيْن الظاهري والباطنيِّ!»[1].

ونقَل الشيخُ التهانويُّ الهندي (ت ١١٥٨هـ) في كتابه أنَّ: «الشاهد عند

---

(١) منتهى المدارك شرح تائية ابن الفارض، للفرغاني(ص ٢٦٩).

أهل التصوف: هو التَّجَلِّي. كما في بعض الرسائل، وفي «كشْف اللُّغات» يقول: الشاهد عند السالكين هو الحق، باعتبار الظهور والحضور، وذلك لأن الحق يظهر بصُوَر الأشياء، فقوله: هو الظاهر عبارة عن ذلك، وفي العُرْف: الشاهدُ هو الشخص الحسَن الصورة!»(١).

□ شهود القُدرة في الجماليات:

النفسُ السَّويَّة تتذوق الجمال في مخلوقات اللَّه ﷻ وتلحظُ فيها صفةَ الحُسن، والأسوياءُ من المسلمين يؤمنون بأنَّ كلَّ خَلْقِه - سبحانه - حسَنٌ، ويقرؤون في كتاب ربِّهم العليم الحكيم آياتٍ فيها ذِكْر بعض آلائه ونعمه، منها خَلْقه الأنعامَ لهم، فيقرؤون بَعْد ذِكْره منافعها قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [النحل: ٦]، فذكر (الجَمال)، وحين ذكر منافع مركوبهم من الخيل والبغال والحمير قال: ﴿وَزِينَةً﴾ وهي جَمال في المحصَّل.

إنَّ الحسَّ بجمال هذه المخلوقات يبعث السرور والرضا في الإنسان؛ وكذلك النظرُ إلى حديقة غنَّاء، إلى وُرودِها وأزهارها وشجرها، والتأمل في مرأى الشمس وهي تُشرق من الأفق أو حين تغيب فيه، وما أشبه ذلك من بدائع الخلق، لهيَ علائم طبيعية على فطرة لم تُخرَّب فيها زاوية هذا الشعور، ولهي ممَّا يُذكِّر بقدرة اللَّه تعالى. وأمَّا جمال الإنسان، فقد وُضِعَتْ معايير للنظر إليه، وهي أحكام الشريعة في ذلك، ومعلوم أنه - سبحانه - قد مَنَّ علينا بخلْقنا ﴿فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾، وأنه دعانا إلى التأمل فيما يَمُرُّ به المرء في سِنِيِّ عُمُره من تغيُّرات، فقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤]، وأمَرنا أن نغضَّ من أبصارنا حفْظًا لفُروجنا، ويَفْهم العاقل من ذلك أن النظر بشهوة إلى هذا

---

(١) كشّاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي (ص ١٠٠٣).

الإنسان، وهو في مرحلة القوة يُعْقِب آثامًا، كما كان من امرأة عزيز مصرَ، التي أرادت أن تُوقِع يوسف عليه السلام في الفحشاء، بعد نظراتٍ سابقة -آثمة- كانت منها، إذْ كان مِلْؤها الشَّهْوة إلى حُسْنه، في مَدِيد مُكْثِه في بيتها، وقد كان ذلك منها بَعْدَ أن بلغ أشُدَّه، وإن كان قد أُعطيَ شَطْر الحُسْن قبْل ذلك، فعصمه اللَّه تعالى وصرَف عنه «كَيْدَهُنَّ»، كي لا يَصْبُوَ إليهن. وإذَنْ ففي الناس جميلٌ وأجمل، رجلاً كان أو امرأة، وهي حقيقة من فضول القول تفصيل الكلام عليها.

□ شاهدية الوجودية الصوفية:

مِن الصوفية - و(من) تبعيضية- صِنفٌ تشرَّبوا منذ قديم دَهْرهم الوجودية، وعَدُّوها سِرَّ الأسرار، وغايةَ الأمر، ممن إذا أُحْرِجوا في الحِجاج بفساد فلسفتهم في التطبيق والواقع، وقيل لهم انطلاقًا منها: ما الفرق بين الأخت والزوجة في بحث الوجود الواحد؟ أعلنوا بشذوذهم، وقالوا: لا فرق، وإنما أنتم قلتم: حرامٌ! فقلنا: حرام عليكم! يعنون أن الحجاب المسدول على أفهام سواهم من العقلاء سوَّغ التحريم المزعوم!

فكان أن ظهر منهم أناس أُولِعُوا بجمال البشَر - الإناثِ أحيانًا والذُّكْرانِ غالبًا - إلى قَدْر كبير من الوَلَع، قارَبَ العبادة، بل قد صَرَّحوا بالتأْليه، حتى سُمُّوا في بعض المصادر: بعُبَّادِ الجَمال، (بالفارسية: جَمال رَسْت)، وعبَّادِ الحبيب (بالفارسية: محبوبْ رَسْت)، وأهْمَلوا المحذورات الشرعية، في إتباع النظْرةِ النظْرةَ، وتأوَّلوها، بل عكسوا الأمْرَ من: (معصية) إلى: (قُرْبة وتحقيق)، فالغلامُ الأمرد الجميل - عندهم وبمَنْظُورهم - مَعْكسٌ لجمال الحق (الله) - سبحانه وتعالى عمَّا يقولون - أو مِرآةٌ له، وهو مظْهَرٌ من أجمل مظاهره[١]، وأُطْلِق على المائلين إلى الحِسان في المصادر الفارسية: (شاهِدْ بازي)، وتعني المغْرَم بحِسان الشُّبَّان.

---

(١) مناقب العارفين، للأفلاكي (٢/ ٢٠٥، ٢٠٦).

ولا يعني هذا حسب قاعدة الوجودية؛ أن هذا المظهَرَ، والمَعْكَسَ، والمرآةَ، أشياءٌ حقيقية، لها وجودٌ غير الوجود الواحد (الذي هو اللَّه تعالى عندهم!) بل الجميع واحد؛ فالغلامُ الجميل الذي يتَتبَّعونه نظرًا إليه، ومجالسةً معه، وخَلْوةً به. . . إلخ، جزءٌ مِن اللَّه الكُليِّ -والعياذ باللَّه تعالى-، وتفصيلُ ذلك يُدْخِلنا في فلسفة الوجود الواحد، التي هي فلسفة الوثنية، وما هذا الكتابُ موضع تفصيل ذلك. ويكفيك أن تعلم أن القائلين بهذا الرأي والاعتقاد هُمْ على حال لم تُذْكَر مثيلها عن قوم لوطٍ في بلدةِ (سَدُوم) التي جُعِل عاليها سافلها!

ويُلْحَظ في مذهب القول بالشاهد تمازجٌ عجيب - لكنه في المحصَّل مُؤتَلِف - مع القول بفلسفة الوجود الواحد، لَحَظَ ذلك غيرُ واحدٍ من العلماء، واعترف مَن كان منهم بذلك، قال الذهبي: «. . . ولقد اجتمعتُ بغير واحدٍ ممن كان يقول بوحدة الوجود، ثُمَّ رجع وجدَّدَ إسلامَه، وبَيَّنوا لي مقالة هؤلاء: أنَّ الوجودَ هو اللَّه تعالى، وأنه يَظْهَر في الصُّوَر المليحة، والأشياء البديعة!»[1]، وكذا نقَل العالم العثماني، الشيخ القاضي زادَهْ أحمد (ت ١١٩٧هـ)، فقال: «وقالت طوائف الملاحدة والاتحادية والحلولية: إن الحق تعالى وجودٌ مطْلَق، ومتَّحِدٌ مع الأشياء، فقالوا: إننا إذْ ننظُر إلى الغلمان، إنما نَرى جمال اللَّه فيهم!»[2].

وغير بعيد أن يكون الوَضَّاع الذي كذب هذه الأفِيكة، ثُمَّ رواها حديثًا، وهي قوله: «عليكم بالوُجوه المِلاح، والحدق السُّود؛ فإنَّ اللَّه يستحيي أن يعذِّب وجهًا مليحًا بالنار!»[3]، أن يكون واحدًا من «الشاهدية» المتقدمين!

---

(١) تاريخ الإسلام، للذهبي (١٥/ ٣٤٩).
(٢) الجوهرة البهية، للقاضي زاده أحمد بن عبد اللَّه الحنفي، (ص ١٢).
(٣) تنزيه الشريعة، لابن عرَّاق الكناني (١/ ١٧٤).

ويكفي لبيان ضلال المعتقِدِين لهذه الفلسفة معرفةُ فَهْمِهم لحديث: «مَن عادى لي وليًّا فقد بارَزَني بالمحارَبة...». ، فهُم يعتقدون أن سمْعَه - سبحانه - هو سمْع المخلوق، وبَصَره بَصَرَهُ، وكذا القول في البطن والفرْجَ والشَّعْر والأظافر، وفي كلِّ شيء، فلا تعدُّد في الموجودات عندهم، ولا استثناء، ولا كثرة في الوجود؛ ولكن يُثْبِتون مراتبَ ومجالٍ ومظاهرَ[1]. وإذا كان الأمر كذلك، فأين إمكان التفريق بين الحلال والحرام، بل أين العقل من الجنون؟!

□ **زعْمُ المدافعين عنهم:**

كانوا تارةً يُخَرِّجون صنيعهم على مبدأ «الملامتية» أو «التَّخْريب»، وتارةً على مذهب «الوجود الواحد»، وانطلاقًا من أحدهما تقرأ كلمة للجلال الرومي، يُصحِّح بها كلَّ ما كان منه - نفْسه - ومن غيره من المنكرات، التي تَمرُّ بك أمثالها في المصادر التاريخية، مِن أفعالٍ شاذَّةٍ في الأخلاق، بل لا يُتصوَّر أشنع منها، وذلك قوله: «إنَّ من أولياء اللَّه مَن يَفعلُ الفِعْلَ، يخالفُ ما جاءتْ به شرائعُ الأنبياء، لينالَ بذلك ذَمَّ الناس!»[2].

وأكَّدَه أحدُ أنصار الرومي، القاضي ابنُ السَّرَّاج الدمشقي بقوله: «ومنهم مَن إذا عَلِم أن الناس اشتغلوا بذِكر محاسنه، أو بما ظهر من كراماته لمصالح العالم، أبدى لهم حالاً مخالفًا يستنكرونه، ويُسَمَّى في المشهور تخريبًا؛ لِيَعود عمَله إلى حاله، ويستمِرَّ على إخلاصه، ويُغتَفَر له ما يَعْتَمِدُه بحُسْن نيَّته، وبَرَكة قصده!»، ثُمَّ أوصى ألّا يَلتفتَ قارئُ كتابِه إلى جاهل يُنكر مَزْعَمه![3].

وتطبيقات مبدأ «الملامة» و«التخريب» في أخبار الصوفية متوافرة في

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٢/ ٣٧٢).
(٢) مناقب العارفين، للأفلاكي (١/ ٣٧٥-٣٧٦).
(٣) تشويق القلوب والأرواح، لابن السراج الدمشقي(الورقة ١٣٥).

المصادر، فمن ذلك أن أحدَهم نَزَل في محلَّة، فعُرف فيها بالصلاح، فنشب في قلبه، فدخل الحمَّام، وعيَّن على ثياب فاخرة، فسرقها ولبسها، ثم لبس مرقَّعتَه وخرج، فجَعَل يَمشي قليلاً قليلاً، فلحقه أهل الحمّام، فنزعوا مرقعتَه، وأخذوا الثياب وصَفَعُوه. فما سكنتْ نفْسُه حتى عُرف بعد ذلك بلِصِّ الحمَّام![1].

ويبدو أنَّ الشيخ خَضِرَ المِهراني العَدَوي (ت ٦٧٦هـ)، شيخَ السلطان بَيْبَرس (ت ٦٧٦هـ)، كان منهم، فقد قال عنه الذهبي: «كان يَنْبَسط ويُخَرِّب ويَمْزح، وإذا كتَب ورقةً كتب: من خضر نيَّاك الحِمَارة!»، وقال: «كان صاحب حالٍ ونفْسٍ مؤثِّرة، وهِمَّةٍ إبليسيَّة، وحالٍ كاهِنيٍّ.»، ولكنه يختلف عمَّن صَدَدُ الكلام عليهم في أمْرٍ أساسٍ، وهو أنه لم يكن من أهل وحدة الوجود؛ لأن شيخ الإسلام ابن تيمية، بَلَغه عنه ذلك، فقال عنه: «كان خضر مسلمًا، صحيح العقيدة، لكنه قليل الدين، باطُولي، له حالٌ شيطاني»[2].

وكانت للشاهدية «وسائل إيضاح»، يَدفعون بها عن أنفسهم وَصْمَة الشذوذ، ويُمَثِّلون بها للمنكرين مثالَ واقعِهم البريء المزعوم، فيرسِلون إلى المنكِر من هؤلاء عُلبةً فيها جَمْرة وقُطْنة، ويقولون له: انظُرْ، نحن ومَن نَتَعَشَّقُهم، من النسوان والمردان، كهذَيْن، لا نُضَرُّ مِن دُنوٍّ بعضنا من بعض، كما لا تحترق هذه القُطْنة مع أنَّ بجَنْبها جمرة! وحُكِيَ هذا عن الصدر القونوي، وشيخ من الأحمدية[3].

وكان «يُضْحَك» على الغلام «الشاهد» مِن هؤلاء، ويُستدْرَج بعباراتٍ صوفيةٍ أَثِيرةٍ لديهم، مِن مِثل قولهم: يا بُنَيَّ؛ للَّه فِيكَ إقبالٌ والتفاتٌ، حيث

---

(١) تلبيس إبليس، لابن الجوزي (ص ٤٦٦)، والوحيد، لعبد الغفار بن نوح (الورقة ١٦٤).

(٢) تاريخ الإسلام، للذهبي (١٥/ ٣١٠).

(٣) رغائب المناقب، لمحمد أمين دَه دَه، (الورقة ٩)، و تفاح الأرواح (ورقة ١٩١)، لابن السراج الدمشقي.

جَعَل حاجتي إليك! ولا يَعْدَمون التسويغ - وربما كان ذلك التسويغ وليد اللحظة - إذا تأثروا بالنظر إلى الذكَر الجميل فقبّلوه، أن يُضْفُوا على صنيعهم ذلك كسوة شرعية، كما رُوي أن أحدهم أمر مغنِّيًا أمرد أن يقول: (لا إله إلا الله)، فلما قالها، ما كان منه إلا أن قال: «أُقبِّلُ الفَمَ الذي قال: لا إله إلا الله!»(١).

وكانوا يتتبَّعون الغِلمان والشُّبان ذوي الصوَر الجميلة في الأسواق والأزِقَّة(٢)، ولا شك أنهم كانوا ممَّن لا يُفَوِّتون مُزْدَحَم الناس وتجمعاتهم التي يُحْدِثها أربابُ الطُّرق الصوفية، مِن مدينة القَيْروان إلى دمشق، إلى نواحي العراق، إلى أصقاع بلاد خُراسان، ذلك الزحام الآثم الذي تُرتكَب فيه الفواحش أثناء تَضَامِّ الأجساد تحت اللَّغط والصُّراخ(٣).

وما فَتِئوا - ومَن يُحسِّن الظنَّ بهم اليوم - يَدفعون عن أنفسهم تُهَمَةَ مَيْلهم الشَّهَوِيَّ بأمثال هذا القول: نحن إنما نشاهد جمال الحق - سبحانه - في الصُّوَر الجميلة(٤)، وربما عبَّر أحدُهم عن ذلك بقوله: «أنا ما أنظر إلى المليح الأمرد لأجْل شيءٍ، ولكني إذا رأيتُه قلت: سبحان الله! تبارك اللهُ أحسن الخالقين!»، وربما قالوا: «سبحان الذي خلَقه!»(٥).

ومِن تعابيرهم في ذلك أن مَن ابتُلي بمحبَّة الحُسن الظاهريِّ وعشقه، فهو في الحقيقة من جذبة جمال الشاهِد الحقيقيِّ، قد أَلْقَى إليه الظلَّ(٦)، وأنهم

---

(١) تلبيس إبليس، لابن الجوزي (ص ٤٥٦).
(٢) رشحات عين الحياة، لعلي بن حسين الهروي (ت ٩١٠هـ) (ص ١٩١).
(٣) البدع والحوادث، لمحمد بن الوليد الطرطوشي (ت ٥٢٠هـ)، (ص ٧٥).
(٤) رشحاتُ عيْنِ الحياة، للهروي، (ص ١٩١).
(٥) من سؤال وجِّه لابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٥/ ٤١٠، ٢١/ ٢٤٣).
(٦) نفائس السانحات، وهو ذيل «الرشحات»، لمحمد مراد بن عبد اللَّه القازاني المكِّي (ت ١٣٥٢هـ)، (ص ٥٧-٥٨).

مبتلَوْن بالعشق المجازي، كما نقل ذلك وأقرَّه العالمُ العثماني، الماتريديُّ الظاهرِ، الوجوديُّ الباطنِ: الشيخُ محمد زاهد الكوثري (ت١٣٧١هـ) في بعض رسائله[١].

ومن التعليلات القديمة لذلك «العِشق المجازي» للذُكران الحِسان، تعليلٌ يُلْفَى فيما كتبه محمد بن السَّرَّاج الدمشقي، لا يَعرف الباحثُ أوقح تعليلاً منه، قال: «إنَّ الصِّبيان أقرب إلى رؤية النُّور الإلهي، والانعمال الكُلِّي للمَعْنى الربَّاني، الذي أوْدَعَه اللهُ تعالى في أوليائه، وخَزَنَه في قلوب أصفيائه، يَعْلَم ذلك مَن هداه اللَّه، ويعتقدُه مَن أيَّده الله!»[٢]، هذا وقائل هذا الكلام قاض له تصانيف في الفقه والتصوف!

□ **من أخبار «الشاهِديَّة»:**

وترجع فلسفة القول بالشاهد إلى ما قبْل عهد فلاسفة (أثينا)، لكن لا يُعرف تاريخٌ لها يُمكِنُ إرجاعُ أوَّليَّاته إليه أقْدَم من قَوْم لوط، الذين ورَدَ في القرآن الكريم تقريعُ لوطٍ عليه السلام لهم بالقول: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٠]، وشرٌّ من حال أولئك الكَفَرة الأقْدَمين، حال بعض الشاهديةِ الذين ظهروا في تاريخ المسلمين، الذين عَرَفوا مَشابههم بمَن مضى مِن فجَّار الأمم، وتقرَّر ذلك في أذهانهم، ومع ذلك ما ارْعَوَوا، بل أَلبَسوا الفجورَ لباس التقوى، و«تَطَبَّع» شذوذهم بينهم، حتى قال فقير (الفقيرُ: الصوفيُّ) منهم لأصحابه الفقراء، حين أدَّى بهم المسِيرُ إلى (البحر الميت) في الأردُنِّ، فوقف على ساحله، وقال لهم كالمستهزئ: «هذا مكان أصحابنا!»[٣].

(١) نبراس المهتدي، في اجتلاء أنباء العارف دمرداش المُحَمَّدي، لمحمد زاهد الكوثري (ص٥).
(٢) تفاح الأرواح، لابن السراج، (ورقة ١٢٦).
(٣) الوحيد، لابن نوح (الورقة ٢٥٨)، و نهاية الأرب، للنويري (٢/ ٢٠٩).

وحقيقةٌ يَعْرِفُها مَن درَس تاريخ القائلين بالشاهد، وعَبَدَةِ «المحبوب الجميل»، أن التنظير في الشاهدية، والقول في ذلك شعرًا ونثْرًا وفلسفة، قد أدَّتْ بهم - أو على الأصحِّ: ببعض منهم - في نهاية الأمر، أو في بدايته إلى ممارسة السَّدُومية (فعل قوم لوط)(١).

وقبل أن أذكر أخبار أناس معاصرين للصدر القونوي، ممن عُدُّوا في كبار الشاهدية، ما بين شيخٍ له، وتلميذٍ، وبلَدِيٍّ مجاوِر، ينبغي التنويهُ بتحذير سلف المسلمين الصالح من صحبة المردان، وأنه قديمُ الوقوع، فلا زلتَ تقرأ في المصادر أمثال هذا التحذير: «مَن صَحِبَ الأحداث، على شرْط السلامة والنصيحة، أدَّاه ذلك إلى البلاء، فكيف بمن صحِبَهم على غير شروط السلامة؟!»(٢)، كما يجدُر التمهيدُ بما كان عليه منحرفو الصوفية، من حضور سماع الغلمان المرْد؛ تلذُّذًا بالنظر إليهم، وأنهم لا يحبُّون الاستماع إلى الرجُل الكبير(٣). وقد لحظ بعض أهل العلم أن شباب المتصوفة إذْ يُمنعون من قِبَل شيوخهم من الزواج؛ فإنهم يُدفعون إلى صُحبة الصِّبيان المرْدِ دَفعًا(٤)، وتقرأ - أيضًا - أن من نسَّاك الصوفية مَن إذا رأوا شيئًا يستحسنونه قالوا: «لا ندري، لعل اللهَ حالٌّ فيه!»(٥)، وأن منهم مَن قال: «إن عوارضَ المرْدِ مَسْكَن الرَّبِّ - تعالى-»(٦). وذِكْرَ خبرِ شيخٍ لهم كان في مدينة (شِيراز)، يُعرف بابن خفيف البغدادي (ت٣٧١هـ)، كان يجتمع على حَلْقته ألوف الناس، وأنه أقام بين المريدات والمريدين، من أتباعه، «حَفْلاً

(١) القلندرية، لأحمد ياشار أوجاق (ص ١٥٥-١٥٨).
(٢) طبقات الصوفية، لأبي عبد الرحمن السُّلَمي (ص ١٦٦، ٣٩٦).
(٣) كتاب الشريعة، للآجُرِّي (ص ٢٩٨) باب: التحذير من مذاهب الحلولية.
(٤) تلبيس إبليس، لابن الجوزي (ص ٣٨٩، ٣٤٩).
(٥) مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري (١/ ٨١، ٨٢).
(٦) البدء والتاريخ، لمطهر بن طاهر المقدسي (٥/ ١٤٨).

جنسيًّا»، وأنه كان يَكْني عن الوَطْء «بالممازَجَة»، وما يَعْقُبه «بالتقاء الأنوار»، على أصْلِهم: «أنَّ في كلِّ جسم نورًا إلهيًّا!»[١]، وكان ابنُ أبي العذافر - واسمُه: محمد بن علي الشَّلْمَغَاني - يُبيح السَّدُوميَّة (اللواط)، ويزعم أنه «إيلاجُ الفاضلِ نُورَه في المفضول!»، وكان أتباعه يُبيحون له حُرَمَهُم؛ طمَعًا في إيلاج نوره فيهِنَّ[٢].

وتَقِفُ - أيضًا - على خبَر أنهم كانوا يُزَيِّنون الأمرد بالحلي والمصبَّغات من الثياب والحواشي[٣]. وتكلَّم بعض العلماء على حِرْص الناس على حضور سماع الصوفية «لاسيَّما إنْ كان هناك شاهدٌ، فكلهم له ساجدٌ، وعليه متواجِدٌ، ولحظِّ النفْس الشهوانية واجدٌ»[٤].

ويَرُوعكَ اختراعُ رُوزْبهان البَقْلي الشيرازي (ت ٦٠٦هـ) للصوفية مقامًا سمَّاه: «مقام غَلَبة الشهوة!»، حين قال: «. . . هناك إذا رأى جمال الحق، تحرَّكَتْ شهوة العشق في نفْسه وروحه، وذلك من تأثير مباشرة نور الجمال، وروح الوصال، قال العارف -قدَّس اللَّه روحه-: وَجَدْتُ ذلك حتى صِرْتُ مملوءًا من الشَّهوة، واحتجتُ بعد ذلك إلى المباشرة، والنظر إلى وجوه الحسان»[٥]! فهذا البَقْلي الشيرازي منهم غيرَ شكٍّ. واقرأ - مستزيدًا - ما

---

(١) نشوار المحاضرة، للتنوخي (٣/ ٢٢٨)، وتلبيس إبليس، لابن الجوزي (ص ٤٨٧).

(٢) الفرق بين الفرق، لعبد القاهر البغدادي (ص ٢٦٤)،، ونقل الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ)، عن أمثالهم أنهم يقولون: «إن الحبيب رفَع عنهم التكليف!»، وحكم عليهم بأنهم «الأشَرّ» من الطوائف، وأنهم في الحقيقة على دِين مَزْدَك. انظر: اعتقادات فِرَق المسلمين، للرازي (ص ١١٧).

(٣) الرد على من يحب السماع، لأبي الطيِّب الطبري (ص ٦٥-٦٧)، وتلبيس إبليس، لأبي الفرَج ابن الجوزي (ص ٣٥٠)، وانظر: الاستقامة، لابن تيمية (١/ ٣٧١، ٣٧٢).

(٤) كشف القناع عن حكم الوجد والسماع، لأحمد بن عمر القرطبي (ت ٦٥٦هـ) (ص ٤٥).

(٥) مشرب الأرواح، لروزبهان البَقْلي (ص ٢٩٨).

نقله الذهبيُّ في تاريخه الكبير، من مقدمة كتاب (بَرْق النَّقا شمس اللِّقا)، تَجِدْ عَجَبًا[١].

وتَرْثي لِتَعاظُم أبي نصر السراج (ت ٣٧٨هـ) أمْرَهم، وما يُشْبِه رَوْمَه التشكيك في توافرهم، حين أعاد تكرار قوله: (إنْ صَحَّ)، وهو يسوق أغلاط الصوفية، فقال: «وإنما ضلَّتِ الحُلولية - إنْ صَحَّ عنهم ذلك - لأنهم لم يميزوا بين القدرة التي هي صفة القادر، وبين الشواهد التي تدل على قُدرةِ وصَنْعَةِ الصانع، فتاهت عند ذلك. فبلغني أن منهم من قال بالأنوار، ومنهم مَن قال بالنظر إلى الشواهد المستحسنات نظرًا بجهل، ومنهم من قال: حالٌّ في المستحسنات وغير المستحسنات فقط، ومنهم من قال: على الدوام، ومنهم من قال: وقتًا دُون وقت -فيما بلغني-، فمَنْ صحَّ عنه شيء من هذه المقالات، فهو ضالٌّ بإجماع الأمة، كافرٌ يلزمه الكفر فيما أشار إليه.»[٢].

وأورَدَ مصدرٌ أنه شاع عن أحمد الغزالي (ت ٥٢٠هـ)، أنه كان ينظر إلى المردان ويجالسهم، وأن خلواته كانت لا تخلو من شاهد، ومن الوَرْد، حتى إنه أبدى ذات مرَّة امتعاضًا لمن كدَّر عليه الخلوةَ بزيارةٍ! وكان له مملوكٌ تُركيٌّ![٣].

---

(١) تاريخ الإسلام، للذهبي (١٣/ ٧٢١).

(٢) اللُّمَع في التصوف، لأبي نصر السراج، نقْلاً عن: تاريخ التصوف الإسلامي، لعبد الرحمن بدوي (ص ٨٧).

(٣) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١٧/ ٢٣٧-٢٤٠)، وتلبيس إبليس، كلاهما لابن الجوزي (ص ٣٤٩)، والوافي بالوفيات، للصفدي (٨/ ١١٧). وتقف في تراجم بعض مَن ذكرهم الأدْفَوي (ت ٧٤٨هـ) في (طالعه) مَن كان «يَهْوَى الجمال المطلق، فيأخذ بمجامع قلبه كل وجه وسيم!»، وأن أحدهم «تجرَّد مدة مع الفقراء، وسافر معهم إلى البلاد، وجرى على طريقتهم في القول بالشاهد!»، وكان بعضهم ينفق الأموال في حُبِّ الشباب، حتى بعد كبره، وإن تاب آخره عمره حين يهرم من الإنسان كل شيء. انظر: الطالع السعيد، للأدفوي (ص ٣٦٥، ٢٢٦، ٤٤٧، ٥١٤).

وقال نجم الدين عمر النَّسَفِي الحنفي (ت٥٣٧هـ): «اعلم أنَّ أرباب التصوف اثنى عشر فريقًا، واحد منها على الطريق المستقيم، والباقي على البدعة والضلالة...»، وعَدَّ مَنْ سمَّاهم: بالحبيبيَّة، والأوليائية، والشمراخية، والإباحية، والحاليَّة، والحلولية، والحُورية، والواقفية، والمتجاهلة، والمتكاسلة، والإلهامية، ثم قال: «أمَّا **الحبيبيَّة**، فيقولون: إنَّ العبدَ يتَّخذ اللَّه حبيبًا، ويَنقطع عن محبة المخلوقين، فيرفع التكليف عنه، وأيضًا يرفع العبادات، والحرامُ عليهم حلال، وترك الصلاة والصوم جائز، [ولا يسترون عوراتهم]، وهذا كفرٌ محض، ولا يرفعهم الناس بأقوالهم [بل] بأفعالهم، فاحذروا منهم. و**الأوليائية**، وهم [قوم] يقولون: إنَّ العبد يبلغ [درجة] الولاية، فيُرفع عنه خطاب الأمر والنهي، وهذا أيضًا كفرٌ محْضٌ وضلال، نعوذ باللَّه من ذلك. و**الشمراخية**، وهم يقولون: إنَّ الصحبة تكون قديمًا برفع الأمر والنهي، [وهذا] أيضًا كفر محض وضلال منهم، وهم لسماع الدُّف والطبل والمزمار راغبون، ويقولون: إنَّ النساء رياحينٌ، وتَشْمِيم الرياحين جائز مباح في العالم للكلِّ، وهذا مباحُ الدم!»، ثم قال: «**الحالية**، وهم يقولون: السماع حلال، والرقص حلال، وهم [قوم] في السماع مدهوشون كما لا تكون الحركة في وجودهم، وهذه الطريق يكون خلاف سنة رسول اللَّه ﷺ، فتكون بدعة وضلالًا. **الحلولية**، وهم يقولون: النظر في وجه الجميل من الأمرد، دون النساء، حلال، وحال النظر يرقصون، ويقولون في حال الرقص: صفةٌ من صفات اللَّه تعالى حالَّةٌ علينا، ولنا بتلك الصفة التقبيل، والمعانقة حلال، وهذا كفر محض. **الحورية**، مثل مذهب الحاليَّة، وهم يقولون: لنا في هذه الحالة تأتي إلينا الحُور العين من الجنة، ولنا معهن الوِقاع والوَطْء. قلنا: بل يأتيهم في خيالهم من الشياطين، فإذا فرغوا في هذه الحالة يغتسلون غسل الجنابة!»[1].

---

(١) بيان مذاهب الصوفية، لنجم الدين عمر النسفي (مخطوطة يوسف أغا).

بيان مذاهب الصوفية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ه والصلوة والسلام على محمد وآله
وصحبه اجمعين ه اما بعد فهذه في بيان مذاهب الصوفية
من تصانيف الشيخ نجم الملة والدين عمر النسفي رحمة الله عليه
اعلم ان ارباب التصوف اثنى عشر فرقا واحد
منها على الطريق المستقيم والباقي على البدعة والضلالة وهم
الحبيبة والاوليائية والشمراخية والاباحية والحالية
والحاولية والحورية والواقفية والجاهلية والمتكاسلة
والالهامية اما الحبيبة فيقولون ان العبد يتخذه
الله حبيبا ويقطع من محبة المخلوقين فيرفع التكليف عنه
وايضا يرفع العبادات والحرام عليهم حلال وترك الصلوة
والصوم جائز وهذا كفر محض ولا يرفعهم الناس باقوالهم
الا بافعالهم فاحذروا عنهم والاوليائية وهم يقولون
ان العبد يبلغ الولاية فيرفع عنه خطاب الامر والنهي
وهذا ايضا كفر محض وضلال نعوذ بالله من ذلك والشمراخية
وهم يقولون ان الصحبة يكون قديما يرفع الامر والنهي وايضا
كفر محض وضلال عنهم وسماع الدف والطبل والمزمار
راغبون ويقولون ان النساء رياحون وتشميم الرياحين
جائز مباح في العالم لكل وهذا مباح الدم والاباحية وهم يقولون
نحن لا نقدر على امتناع نفوسنا من المعاصي وليس بينهم

وحكى ابنُ نوح القُوصِيُّ، صاحبُ كتابِ (الوحيد في سلوك أهل التوحيد): أن شيخًا صالحًا فقيهًا يقال له: أبو طاهر، اشترى مملوكًا جميلاً بجُملة كثيرة، وعَلَّمه القرآن، فلمّا كبُر أراد بَيْعَه، فنَقَصَ عن قيمته كثيرًا، فتعجَّب الشيخ لذلك - وكان سليم القلبِ مما في النفوس الخبيثة، مِن أمر الفاحشة - فجَعَل الشيخُ يقول: اشتريتُه صغيرًا، وعلَّمتُه القرآن، وعلمتُه صنعة الشراب، وكبُر، والْتَحَى فنَقَص عن ثمنه؟!

فعَرَّفه بعضُهم بالعِلَّة، فقال: واللَّه ما اعتقدْتُ أن أحدًا فعل ذلك غير قوم لوط!

ولما عَمَّر صاحبُ الكتابِ السابق رباطًا في بلْدتِه (قُوصَ) بمصرَ، اشترط في شروط وَقْفِه ما يبدو أنه «انعكاسٌ» لبلاءٍ عَمِيمٍ في مجتمعه، فكتب: «ألَّا يُقيم به الشباب المردان، الذين يُخْشَى من إقامتهم المفسدة، إلا أن يكون شابًّا متوجِّهًا غائبًا بالاجتهاد في طَلَبه عن أحوال العادة، فلا يُمنع مِن مقصده، ويُعان على ذلك، ويتولَّى الشيخُ أمْرَه، ولا يُجْلَس الشابُّ إلا خلف الحلقة، ولا يُواجِه الناسَ بوجهه، ولا يُخالِط أحدًا من الفقراء حتى يَلْتَحِي!».

وقال: «حكى لي الشيخُ جمال الدين بن عبد اللَّه - نفع اللَّه تعالى ببَرَكته المسلمين -: أنه كانت صورتُه جميلةً في حال شَبِيبَتِه، وكان أمردَ، وأنه جلس عند ذا حِبٍّ له يقرأ القرآن، فقام صاحبُه وترَكَه عند الصِّبْيان. قال: إذا صورةُ فقيرٍ واقفٍ يَنْظُرُ إليَّ نظرًا شديدًا، فتَشَوَّشْتُ لذلك(١) - والشيخُ، رضي اللَّه

(١) هذا قد أبدى ردَّ فعل طبيعي، فتشوَّش من نظرة ذاك الحلولي، ومريدٌ للجلال الرومي اسمه شمس الدين المارديني، نظر إليه قلندريٌّ، كان قد اقتحم عليه حُجرته، وهو مراهق، ثُمَّ أحَدَّ النَّظَر إليه، فشعر المارديني لتلك النظرة بلذَّة حتَّى أمْنَى! انظر: مناقب العارفين، للأفلاكي (١/ ٣٩٥، ٦٠٢-٦٠٤).

عنه، فيه طِباعُ العرب، وهو مغربيُّ الأصل، ولا يَحْمِل مِثْل هذا - قال: وكان معي فقراء، قال: فربَّما قال: أَيْش تَطْلُب، أوْ أيش تحتاجُ؟ وغضِبَ، قال: فقال لي: أنا أطلبُك في السمواتِ، وأنت معي في الأرض؟! فظهَر عليه معتَقَدُه الفاسدُ، فجعلَ الفقراء يضربونه، وهو لا يَنْفَكُّ، وربما مسَك الشيخ -رحمه اللَّه تعالى-، وكسر رأسه، وهو يَلْتذُّ بذلك، ويَسْتَحْلِيهِ ويَسْتَلِذُّ به!»، ثُمَّ قال ابن نوح (صاحب الكتاب): «وسمعتُ في ذلك حكايات كثيرة!»، ثم قال كلامًا يؤخذ منه ردُّه القولَ بالشاهد على صوفيته، وتلك فضيلة تُسجَّل في ترجمته[1].

وحُكي عن رجل من الشاهديَّة أنه مرَّ به شابٌّ جميل، فجعل يُتْبِعه بصرَه، فأنكر عليه جليسٌ له، وقال: لا يصلح هذا لمثْلك، فقال: إني أرى فيه صفات معبودي، أو هو مظهر من مظاهر جماله! فقال: لقد فعلتَ به وصَنَعْتَ! فقال: وإنْ![2].

وقال العِمادُ الواسطي - المعروف بابن شيخ الحزَّاميَّة - (ت٧١١هـ) في «ذكرياته» عن أيَّامه بالعراق حين كان يعيش بين الأحمدية (الرفاعية): «. . . ولا فَتَحْتُ عَينيَّ إلا بينَ قوم يتخذونَ الغِناءَ شِعارًا، والرَّقصَ على القصَبِ والكَفِّ قُرْبَةً ودِثارًا، والاجتماعَ على الضِّيافاتِ عادةً وإلزامًا، والاجتماعَ بالأجنبياتِ معروفاً لا يُنْكَرُ، ومحادثتهُنَّ ومسامرتَهُن مباحاً لا يَقْبُحُ. لا يعرفونَ تحريمَ غَضِّ الأبصار عن المحارِمِ، ولا يُفَتِّشونَ على آدابِ الشَّريعةِ مِنَ الحدودِ والأخلاقِ والعزائمِ.»، ثُمَّ قال: «يسافرون بأصحابهم،

(١) الوحيد في سلوك أهل التوحيد، لعبد الغفار بن نوح (الورقة ٢٥٧-٢٦٠).

(٢) روضة المحبين، لابن قيم الجوزية (ص ١٤١).

وقال إدريس بن بَيْدَكين: «كقول أحدهم: إنه يشاهد صَنعة اللَّه تعالى». اللُّمَع (ص ٨٦).

وانظر: جامع كرامات الأولياء، للنبهاني (٢/ ٤٢)، ولطف السمر، للنجم الغزي (٢/ ٥٨١).

معَهُم المغاني والرَّايات، تتْبَعُهم الرجال والنساء، يُقِيمون السماع، وتضرِبُ النساء منطقةً حول الرِّجال، بارزةً وجوهُهُنَّ، وربَّما باتَ النساءُ في مواضعهن رغبةً في الأجْر! ولكونه - في معتقدهم - مَجْمَع الأولياء، فيتعبَّدون بالمبيتِ حوْل الرجال، وفي ذلك الدسائسُ وقضاءُ أوطار النفوس.»، حتى قال: «ومِن ذلك أنهم كانوا لا يتحاشَوْن مؤاخاةَ النساء الأجانب، ولا المبِيتَ معهن ولا يتحاشَوْن مِن مؤاخاة الصَّبي الجميل، ولا المبيت معه، يزعمون أنهم في المبيت لا يَصْدُر منهم زنًى، وربَّما يتخذ الشيخُ منهم أخواتٍ وبناتٍ في اللَّه - بزعمه- فينام في جانبٍ وأَخَوَاتُه وبناته - في اللَّه - في البيت، في جانب آخَر، ثم يُطفئ المصباح، فمَن أراد أنْ يَتبرَّك بقَدَمِ الشيخ - يُكَبِّسها - فلا بأس، فإنْ قَبَّلَ الشيخُ إحداهُنَّ وضاجعَها، فلا يُدْرَى ما يصنع بعد ذلك!

فإذا جاء الشيخُ الأكبر إلى مُريدٍ من مريدِيهِ، ممن استخلَفه وجعله شيخًا، فيجيئون أصحابَ الشيخ الأصغر، ويطالبونه بأن يجمع لهم أخواتٍ يَسْكُنون إليهن، فيَجمعُ الشيخُ من نساء أصحابه جمعًا، ويُفرِّقُهُن على أصحاب الشيخ. حدَّثَني مَن لا أتَّهِمُه، سَعْدٌ الأكَّال - يَقَعُ في قواصِرَ تَمْرٍ، فيزعم أنه يأكلها بالحال[1] - وأنه [لمَّا] كان صبيًّا ينام في عِناقِ فلانٍ -خادم الشيخ أحمد الكبير - كأنه يفتخر بذلك وبعِناقه له! فذَكرَ لي - واللَّه أعلمُ بصِدْقِه مِن كَذِبه - أنه ليلةً من الليالي - وهذا سعدٌ كان يعتقد أنَّ الشيخَ نجمَ الدين هو مُدبِّر الأمْر، وأنه حيٌّ ما مات، لأنه لو ماتَ لم يَقُمْ أمرٌ! سمِعْتُ ذاك من لفظه. كأنه اختفى كما اختفى المنتَظَرُ الذي للرافضة، ويَسْتَدِلُّ بهذا أن المضاجعة - عندهم - غير محرَّمةٍ، يفعلُها البَرُّ والفاجر، فإنْ تنزَّهَ منها وَرِعٌ مِن وَرِعِيهِم، إنما يفعل ذلك تَنْزِيهًا لا تحريمًا!

هذا الذي شَرَحْتُه في حقِّ خِيارِهم، وأمَّا شِرارُهم فسمعتُ منهم من

---

(١) المعنيُّ بـ«الحال» هُنا: «الكرامة»، وليس الزَّمَن وسرعة الأكل.

يقول: إنَّ الصُّندوقَ إذا كان طاهرًا - يعني الصَّدْرِ - فلا يَضُرُّ المِيل إذا كان في المكحلة! وكان يقوله ممازحًا، وهو جِدٌّ في قالَب هَزْلٍ. ومِثْل هذا الجنس إذا وَقَع في كَفِّهِ امرأةٌ أو صبيٌّ، واقَعَهُ فيما دُون الفَرْج، وقضى شهوتَه، لا أشكُّ في ذلك - هذا إذا امْتَنعَ عليه! - وكم قد أفسدوا من امرأة - وربَّما حَبَّلوها، ورأيتُ مَن حَبَلَ منهنَّ مِن الزِّنى[١]- وكم أتْلَفوا صبيًّا أخرجوه عن أبوَيْهِ، وحَسَّنوا له الفَقر، فيتَّخِذُونه ولدًا كما يتخذون في الشام الحُوار، ثُمَّ يُعانقونه طول الليل، جهده الاجتماع والمعاشرة والاهتمام بالرقْصِ بالغداة والعَشيِّ، وشغل قلب بعضهم ببعض. يُبْتلى الصبيُّ بذلك، فيُغَيَّب عن قَلْبِه ما يَجري عليه بالليل منهم، فيُصْبِحُ مِنْ فِراش أحدهم، فيُقَبِّلْ يَدَ الشيخ ويرقص، ويَغْدُو

(١) وقد يكون هذا الإحبال «كراماتيّ» الظاهر، كإحبال الشيخ (بابا صالطوق)، (شخصية صوفية تركمانية، كان حيًّا في سنة ٦٩٦هـ، لم تتناولها دراسةٌ بالعربية - ما علمتُ - ووَرَد اسمُه في بعض المصادر العربية هكذا: سلْتق، وكانت الرفاعية تُعظِّمه جدًّا)، فقد قال ابن السَّرَّاج يحكي «كرامة» لـ(صالطوق) هذا: «الواقعة السادسة: هي أن أميرًا كبيرًا من أمراء التتار، أو ملِكًا، جاءت زوجتُه، وقالت للشيخ: قالَ زوجي: إنْ لم تأتِ بولدٍ، وإلا فأنتِ مهجورةٌ. ولي قريب من ثلاثين سنة لَمْ ألِدْ، ولا لي عند زوجي [. . .] (كلمةٌ أتَتِ الأرَضَة عليها)، ودخلَتْ على الشيخ في ذلك دُخول المستجير، ووَعَدَتِ الفقراءَ بالخير الكثير، فقال: إسْتَلْقِي على ظهركِ، ثمَّ أدارَ كَعْبَه حولَ فرْجِها فوقَ ثيابِها، ثمَّ قالَ: بَعْدَ تسعةِ أشهرٍ وعشرةِ أيامٍ، تعالي وابني على كَتِفكِ، فأتتْ بِهِ في = الميعاد، بعدَ يأسِها من الأولاد، وجاء كصورة الشيخ سواء، لا يُشبه أبًا ولا أمًّا - فإنهما من المغول المِلاح، والشيخُ تركمانيٌّ أشقرُ اللَّونِ، أزرقُ العينينِ - وطلعَ مُولَّهاً في الحالِ، لا يأنسُ بأحدٍ، ويقصده الزوَّار من كلِّ فَجٍّ عميقٍ!». انظر: تشويق الأرواح، لابن السرَّاج، (الورقة ١٨١)، وليس بالضرورة أن يكون النَّسْل الذين أخبر عنهم ابن السَّرَّاج في كتابه (تفاح الأرواح، المنقول ٣٢١) حين عَرَض لذِكْر (صالطوق) هناك - أيضًا- فقال: «وكان قد تابَعه في جُملة المتابعين - وهُمْ الألوف الكثيرة - أربعون بِنْتًا، ومات وهُنَّ مُقيمات في حِماهُ، وتزوَّج بعضهن، ووَلَدْنَ بناتٍ، فأتَيْنَ بهنَّ، وجعَلْنَهُنَّ مكانهنَّ مرابطاتٍ على العادة، وأنواع المجاهدة!». أقول: يُشادُ بقول ابن السَّرَّاج هنا أنه لَمْ يَجعل بناته هؤلاء مِنْ نتاجٍ كالذي جرى للأميرة المغولية!

ويَدُورُ في الطابق، يتوارى عن قلبه مخازيهم بالليل، ويقولون: «السماعُ شَبَكَةٌ!». نَعَمْ، شبكةٌ لمأْكَلَتِهِم، ورجوعٌ من شَرود إلى شرود.

وحكى لي مَنْ لا أتَّهِمه: أنهم كانوا يجتمعون في بَيْتٍ؛ الرجالُ والنساءُ خُلَطاء، ثُمَّ يُقِيمُون السماعَ، فيأخُذُهُم الحالُ، فيَتَعَرَّى الرجالُ عن جميع ملابسهِم، لِوُرُودِ الحالِ، وتَبْقى عوراتُهم باديةً - وهُم باديةٌ! - فإذا انطفأ المصباحُ، أخذَ كلُّ فَقيرٍ في عناقِ فقيرةٍ إلى الصباح[١]، واللَّه أعلم بما كان بعْدَ ذلك!! وذلك قُبيلَ أَخْذِ التَّتَرِ بغداد بشؤمهم، وكان الشيخ العارف نجم الدين الأصفهاني - أعاد اللَّه مِن بَرَكَتِه - يقول: ما أتلف الدين كطائفتين: **الأحمدية** في النساء، و**الحريرية** في الصبيان، وأقول أنا: و**الاتحادية** في العقائد - أيضًا - و**اليونسية** قريبون منهم، وكل هؤلاء أتلفوا الدِّين وَوَسَّخُوه، وقَلَبوا حقائقه، وضَيَّعُوا حدوده، واستهانوا به، وأَحَلُّوا حرامه، وبَدَّلوا أحكامه، وانتهكوا حُرُماتِه، طهَّر اللهُ الأرض منهم، وأراح الأرض من أنجاسهم، إنه على كل شيء قدير.»[٢].

---

(١) «إطفاء المصباح» من طُقوس بعض الفِرَق التصوفية، تسرَّبَتْ إليها من ديانات الشرق القديمة، وكان منتشرًا في بعض الطرق الصوفية في الأنَضول ذات الصبغة النُّصيرية، وهذا نصٌّ نادرٌ يُفهم منه انتشار هذه الطقوس الإباحية في العراق أيضًا. انظر: كتاب (الاستقامة) لابن تيمية (١/ ٤٥٠).

(٢) العماديَّات، مجموعٌ فيه رسائل للإمام عماد الدين الواسطي، ص (٣٠-٣٥). ويُفهم أن هذه «الشاهدية» استمرت عصورًا بعد هؤلاء، ودلائل ذلك عديدة، منها نَصُّ سؤال صدَّر به الصوفي أحمد بن شعبان الغَزِّي (ت ٩٢٣هـ)، ويُعرف بابن شعبان الكتاني، رسالة من رسائله: «ما تقول السادة العلماء، أئمة الدين - رضي اللَّه عنهم أجمعين - في جماعة من الرجال جهلة، يَدَّعون أنهم صوفية، ويختلطون بالنساء الأجنبيات، ويذكرون معهن، ويختلون بهن وهُنَّ سافرات الوجوه، مكشوفات الرؤوس، ويختلون بهن، فإذا أظهرن التواجد في الذِّكْر، وأنهن قد غشي عليهن، فيقوم إليهن رجل منهم، يُدعى بينهم بالنقيب، فيحتَضِنُهن، ويضع صدره على صدرهن، ويلامس بدنهن، ويكبِّسْهن، ويعقدون بينهم وبين النساء عقدًا أخويًّا، ويدخلون=

وما نقله العمادُ الواسطيُّ له شبيه منقول في مصدر معاصر له، عند صاحب كتاب (الوحيد في سلوك أهل التوحيد)، قال وهو يحكي قصة صوفي منهم: «ممن يَرَوْن صُحبة النساء ومؤاخاتهن، وهو شيء لا نرى به، ولا نسيء الظن بالمسلمين! فكيف بمَنْ سلك طريقًا إلى اللّٰه تعالى؟! قال: فلمَّا نزلتُ على ذلك الفقير، وَصَّى زوجتَه بإكرامي، وخرج وتركني عندها، وجاء الليل، وربما قال: فرشَتْ لي ورقدَتْ، وربَّما قال: غَمَزتْ رجلي ورقدَتْ تحت رجلي، فحصل عندي ما يحصل من شهوة النفْس، فربما قال: رميتُ يدي عليها - أو كما قال - فرفعَتْها رفعًا لطيفًا من غير إزعاج، فلُمْتُ نفسي لذلك، ثُمَّ غلبَتْ عليَّ نفْسي - أو كما قال - فوضعتُ رجلي على رجلِها، أو على ساقها، فرفعَتْ رجلي رفعًا لطيفًا عنها وقامت، وراحتْ إلى ناحية أخرى، فأخزيتُ نفْسي، وأصبحَ الصُّبح، وجاءت بالوَضوء، وإذا بالفقير (يعني: الصوفي) زوجها قد حَضَر والتفتَ إليها وقال لها: مالكِ وَضَعَ الفقيرُ يده فرفَعْتِها، ووضع رجله فرفعتها، وقُمْتي رُحْتي إلى ناحية أخرى؟ فحصل لي من الخجل ما لا أستطيع أُبْدِيهِ! وربما كان سبب توبته ورجوعه إلى اللّٰه تعالى رجوعًا كلِّيًّا!».

وكان مما ذكر - أيضًا - أنه كانت هناك امرأة جميلة من أصحاب الشيخ الفخر الفارسي، (سمّاها: البرادعية)، كان الصوفية يجتمعون في السماع

= إلى بيوت أزواجهن من غير إذنهم، ويأكلون ما يجدون عندهن من الطعام، الذي هو ملْك = لأزواجهن بغير إذنهم، ويختلطون أيضًا بالشبَّان، المرد الحسان، وينامون معهم، ويضاجعونهم، وينظرون إليهم، وينكرون على من يتجنَّب هذه الأشياء، ويقولون: هذا ضعيف الحال، ولا يفعل هذا إلا الشطَّار، والفقير لا يُغَيِّره شيء. فهل يجوز ذلك في الشريعة، وفي طريقة الصوفية أم لا، أفتونا مأجورين، أثابكم اللّٰه الجنة بمَنِّه وكرمه، آمين.».
تحذير السالك من الوقوع في المهالك (الورقة الأولى). نسخة قونية.

عندها، وهي بينهم، وربما تَدَعُ من يُكبِّسها - وهي ذات زوج أيضًا - وأمورًا وصَفَها ابنُ نوح بقوله: «إنها لا توافق الظاهر!»[١]. وكان بعض المدافعين عن شيوخ هؤلاء يستخِفُّون بعقول مَن حولهم، فيقولون: إنه قد أُعطي من الحال ما إنه إذا خَلا بالنساء والمردان يصير فَرْجُه فرجَ امرأةٍ![٢]

وهؤلاء الشاهدية هم مَن قال فيهم العماد الواسطي: «وربَّما قيلَ لي عن رجلٍ منهم: إنه يَبقَى جُنُبًا أيامًا، وربَّما صلَّى بِنا إمامًا!»[٣].

وعلى ذِكر الحريرية «الشاهدية»، لا بُدَّ أن آتي لك على ذكر نبذة من حال قُدوتهم، وهو الشيخ الصوفي الكبير - عندهم -: عليُّ بن أبي الحسن ابن منصور الحريري (ت ٦٤٥هـ). نقَلَها الذهبيُّ عن كتب المؤرخين، منهم الحافظ سيف الدين ابن المجْد (ت٦٤٣هـ) - معاصر للقونوي، وكما يحتمل أن الصدر حضر مجالس حديث هذا الحافظ، فأقوى منه في الاحتمال أنه رأى من الحريري مثل ما رأى ذلك الرجل الذي أخبر الحافظ سيف الدين بأمر الحريري - قال: «حدثني رجُل أن شخصًا دخل الحمَّام، فرأى الحريريَّ فيه، ومعه صبيان حسانٌ بلا مآزرَ، فجاء إليه، فقال: ما هذا؟! فقال: كأنْ ليس سوى هذا، وأشار إلى أحدهم (الغلمان الحريريِّين): تَمدَّدْ على وجهك، فتمَدَّد. فتركه الرجُل وخرج هاربًا مما رأى!».

ونقل- أيضًا - عن المؤرخ ابن الساعي (ت ٦٧٤هـ)، أن الحريري كان

---

(١) الوحيد في سلوك أهل التوحيد، لابن نوح (الورقة ١٣٠، ١٥٥).

(٢) من سؤال سئله ابن تيمية، انظر: مجموع الفتاوى (٢/ ١٠٥).

قلت: وقد نقل صاحب التفاح أن قطبًا من أمثال الحريري أنكر عليه مثل الذي أنكر على الحريري، فجلب المنكر وأراه عضوه التناسلي، فإذا عضو امرأة - زاد صاحب التفاح -: حقيقةً!! انظر (الورقة ١٦١).

(٣) العماديات، لعماد الدين الواسطي (ص٤٤).

يعاشر الأحداث ويصْحَبُهم، ويقيمون عنده، وأنه يَدخل مع الصِّبيان الأحداث، ويعتمد معهم ما يُسمُّونه «تخريبًا»[١]. وكان يُبيح للشُّبَّان والغِلمان الذين اتبعوه فعل أيِّ شيء تشتهيه أنفسُهم[٢]، وكان الحريرية يقولون: إنَّ سماع الغناء بالدُّف والشبَّابة، وصدوره مِن أمرد حسن الصوت، نور على نور! وكانوا يُصَوِّبون رؤوسهم نحوَ وجه الأمرد، متهالكين على الغناء والمغنِّي، مع حضور النساء السماع بقُربهم، وأن الرجال يعانق بعضهم بعضًا، في بعض الأوقات، ثم يتفرَّقون من سماعهم بالرقص والتصفيق، ويقولون: إنه أفضل العبادات![٣].

ولأنهم يعتقدون التعبُّد في مجونهم ذاك، تَراهم لا يكفُّون عنه حتى في طريقهم إلى الحجِّ، كما رأى أحد العلماء ذلك منهم، وهو وهُمْ والناسُ في الإحرام والنُّسك![٤].

وقد أورد صاحب كتاب (مناقب أوحد الدين الكرماني) «خبرًا «يمكن أن يُضاف إلى ترجمة الكرماني، وترجمة عليّ الحريري معًا، ولكن إذْ كان جامع المناقب «أوْحَديًّا»، فإنه لم يحفل بنقل تفاصيل الخبر، التي تُغرق الحريريَّ في شاهدية «أوْسَخ» إذْ كانت أظهَر وأصْرَح، وإن كان قد لحق منها الكرمانيَّ «أوْحالٌ» غَفَل عنها ذلك البائس «الأوحدي»، ولقد كنتُ أتمنَّع عن ترجمتها؛ لأن فيها مِن سُفْلي العبارات ما قارب الذي انتخبته من كتاب (المثنوي)، أعني

---

(١) تاريخ الإسلام، للذهبي (١٤/ ٥٢١).

(٢) نقل هذه المعلومة المؤرخ التركي فؤاد كو رلي، عن نسخة عنده لكتاب اسمه (هيكل الأسرار) لمؤلف عاش في بدايات القرن السابع الهجري، اسمه عبد الرحمن بن أبي بكر، وقال: إن الحاج خليفة لم يذكره في مصنفه. الإسلام في الأنَضول (ص ٩٢).

(٣) فتاوى ومسائل ابن الصلاح (ص ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١).

(٤) تاريخ الإسلام، للذهبي (١٤/ ٥٢٨).

من كلمات أهل الخَنا والفجور، فإنها كما قال مصدر معاصر للحريري: «أفعال قبيحة لا يمكن ذكرها!»[١]، ثُمَّ رأيت أن من مصلحة القارئ العربي أن يقف على الشيء المروِيِّ، بالترجمة إلى العربية (لا كصنيع د. عبد السلام كفافي مع بعض أبيات المثنوي، إذْ أبقى النصَّ الماجن بالفارسية!)، وبغير تصرُّف مُخَفِّف، من إجمال أو كناية، أو إيماءة خَجْلى، رجاءَ أن تُدرَك ماهية معارف القوم الذين فهموا (الشيء في ذاته)! فمَن لامني من الصوفية، فصاحبَ (المثنوي) قَبْلي فليَلُمْ، والشعرانيَّ وكتاب مناقب أوليائه، فليذُمَّ![٢].

وليسمح لي القارئ قبل نقل «الخبر الأوحدي «أن أشير إلى قوّته من حيث غلبة الظنِّ بوقوعه، وأنه ليس من نسْج الخيال على كل حال! وذلك بتمهيد يسير له، أنقل فيه كلامًا مهمًّا لابن تَيْمِيَّة - وناهيك به محققًا متثبِّتًا- فكأنه كان يتكلم على الخبر، ولكن بحذف الأسماء!

---

(١) العسجد المسبوك، للغساني (ص ٥٥٦-٥٥٧).

(٢) لا يُدرى كيف ساغ للشعراني أن يسلك في طبقات الصوفية المجرمين من أمثال: علي وُحَيْش (ت ٩١٧هـ) الذي كان ينكح الأتان (الحمارة) أمام الناس، وكانت سُكناه في خان البغايا، وكان يقول لكل من جاءهن، ثم أراد الخروج من الخان: قف حتى أشفع فيك عند اللّٰه قبل أن تخرج! فربما حبس بعضهم في الخان مع الزواني حتى يتم قبول شفاعته فيهم! ويبدو أن (حسنَ الخلبوصي) كان مثله، فقد رآه معرفة له في دار البغايا، بل ورأى إحداهن راكبة على عنقه. وأمَّا (علي أبو خوذة)، فكان له عبيد، يُتَّهم بفعل الفاحشة بهم. وكان إذا رأى امرأة أو أمرد راوده عن نَفْسه، وحسَّسَ على مقعَدته! ويمكن القول: إن الشيخ علي العمري (ت ١٣٢٢هـ) كان «حريريَّ» زمانه، وهو نفسه كان جميل الصورة، فكان أن غضب مرَّة على مريده، الذي كان يخدمه (وهما في حمَّام تركي) فأخذ الشيخُ - والعُهدة على راوي الخبر- بإحليل نفْسِه بيديه الاثنتين من تحت إزاره -وذكر الراوي طُولاً عجيبًا له - وصار يجلد به خادمه المذكور، والخادم يصرخ مِن شدة الألم! انظر كتاب: جامع كرامات الأولياء، للنَّبْهاني (٢/ ٣٦٦، ٥١٥) (٢/ ٣٨)، (٢/ ٣٧٣) (٢/ ٣٨٦-٤٠٩، ٢/ ١٤٢).

□ **بعض نَقَدات ابن تيميَّة لهم:**

تكلَّم ابنُ تيميَّة على عُوار هذا المصطلح الصوفي وأثامِه المخْزِي للقائلين به، في غير ما موضع من (مجموعة الفتاوى)، وذَكره بتعبيرهم: «معاشرة الشاهد من الصبيان وغيرهم»، فقال: «وكذلك مَن يستحلُّ ذلك مِن المردان، ويزعمُ أن التمتُّعَ بالنظر إليهم، ومباشرتهم هو طريق بعض السَّالكين، حتَّى يَتَرَقَّى مِن محبَّة المخلوق إلى محبة الخالق، ويأمُرون بمقدِّمات الفاحشة الكُبرى، وقد يستحلُّون الفاحشة الكبرى...»[1]، وقال في موضع آخَر: «وأمَّا مَن نَظَر إلى المردان، ظانًّا أنه ينظر إلى مظاهر الجمال الإلهي، وجَعَل هذا طريقًا له إلى اللَّه، كما يفعله طوائف من المدِّعين للمعرفة، فقوله أعظم كفرًا مِن قول عُبَّاد الأصنام، ومِنْ كُفْر قوم لوط، فهؤلاء شرُّ الزنادقة المرتدِّين، الذين يجب قتلهم بإجماع كلِّ أُمَّةٍ!»[2]، وقال أيضًا: «وأبلَغُ من ذلك تَعَبُّدُ طوائف من المتزهِّدة والمتعبِّدة بمعاشرة الأحداث المردان، والنساء الأجانب، والنظر إليهم، والخلوة بهم، والمحبَّة والهوى فيهم، وبما قد يكون - وقد لا يكون - وراء ذلك من الفاحشة الكبرى!»[3].

وقال: «مِن هؤلاء الشيوخ مَنْ يقصد الاجتماعات في الحمّام، ويكون له فيها حالٌ وظهورٌ، لكون مادَّتِه مِن الشياطين، فإن الشيطان يظهر أثره في بيته، وعند أوليائه، وتأذين مُؤَذِّنه، وتلاوة قرآنه!»، وتسميته القوَّالين: «مخانيث» آتٍ مِنْ قولهم بالشاهدية، وكذا فإنَّ حِدَّته ظاهرة في قوله: «فمَنْ قاسَ قرآن الشيطان (يعني الموسيقا) بقرآن اللَّه، فاللهُ يجازيه بما يستحِقُّه!»، وفي قوله: «. كما يفعله بعضُهم (يعني التعبُّد بالنظر إلى وجوه المردان الحسان)

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٤/ ٤٦٦، ٤٦٨، ١١/ ٤٠٥، ٤٠٦، ٥٤٥).

(٢) المصدر السابق (١٥/ ٤٢٣).

(٣) الاستقامة، لابن تيمية (٢/ ١٧٧).

وقد أَوْقَد شمعةً على وجه الأمرد، فيَسْتَجلِيه في صلاته، ويَعُدُّ ذلك من عباداته!»، وفي قوله: «. . . ومن هذا الباب ما يفعله قوم من المتزهِّدة، من كشف سَوْءاتهم في سماعهم وحماماتهم أو غير ذلك، ويقولون: هذا طريقُنا، وهذا في طريقِنا!»[١]، وقال: «وأما التديُّن بذلك فهو أعظم من استحلاله، وهؤلاء المتديّنون ما يكادون يتديّنون بنفس فعل الفاحشة الكبرى، ولكن بمقدماتها، من النظر والتلذُّذ به، والمباشرة، والعشق للنسوان الأجانب والصبيان، ويزعمون أن ذلك يُصفِّي نفوسهم وأرواحهم ويرقِّيهم إلى الدرجات العالية. . »، وفي قوله: «وكثير من هؤلاء إنما ينكر بكلامه إباحة ذلك التعبُّد به، ولكن حاله حال مَن يتعبَّد به، حتَّى إنهم يتواصَوْن فيما بينهم بأن المريد السالك ينبغي أن يتخذ لنفْسه صورةً يجتمع عليها، ثُمَّ يترقَّى منها إلى الله[٢]، أو يشاهد فيها الله!»، وفي قوله: «وهؤلاء يجعل أحدهم معبوده مِن جنس مَوْطُوئه!». وفي قوله: «فهؤلاء الضلال الكفار، الذي يزعم أحدهم أنه يَرى ربَّه بعَيْنه، وربما زعم أنه جالسه وحادثه أو ضاجعه! وربما يُعَيِّن أحدُهم آدَميًّا؛ إمَّا شخصًا أو صبيًّا، أو غير ذلك، ويزعم أنه كلَّمهم، يُستتابون، فإنْ تابوا وإلا ضُربت أعناقهم، وكانوا كفارًا؛ إذْ هُمْ أكفر مِن اليهود والنصارى، الذين قالوا: ﴿ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة ٧٢]، فإن المسيح رسولٌ كريم، وجيهٌ عند اللَّه في الدنيا والآخرة، ومِنَ المقرَّبين. . . »[٣].

---

(١) الاستقامة، لابن تيمية (٢/ ١٧٧).

(٢) وفي كتاب: (نبراس المهتدي، في اجتلاء أنباء العارف دَمِرْداش المُحَمَّدي) قول مصنِّفه الكوثري: «. . . ثُمَّ رحل إلى (بورصا) العاصمة القديمة للدولة العثمانية، لتحصيل العلوم لكن ابتُلي هناك «بعشق مجازي» اضطرَّه إلى الرحيل!» (ص٥).

(٣) الاستقامة، لابن تيمية (١/ ٣١٧، ٣٧٦، ٢/ ١٩٥، ١٩٧ -١٩٨)، مجموع الفتاوى، لابن تيمية(٣/ ٣٩٣، ٣٩٤).

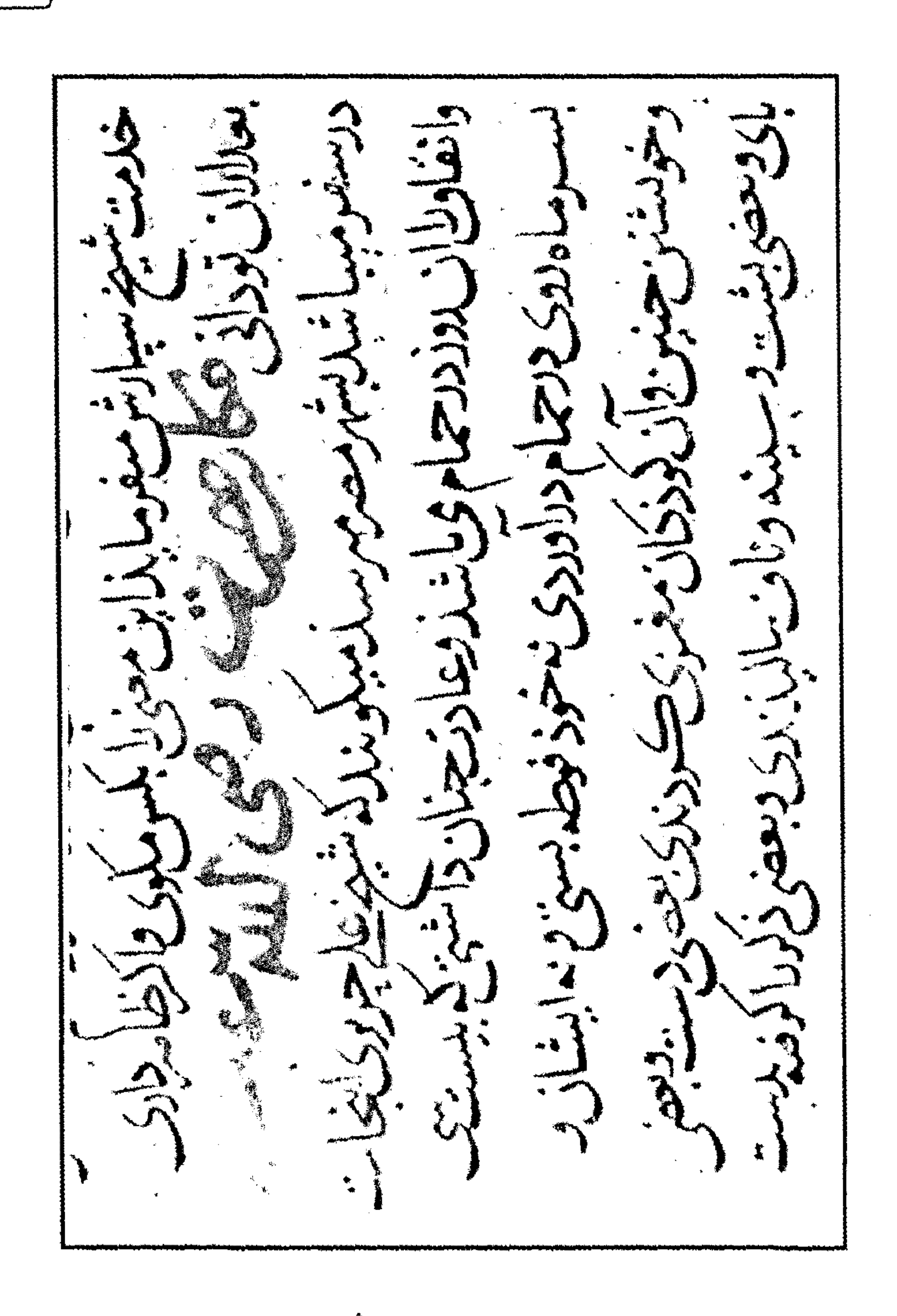
فكلُّ أولئك أقوالٌ مَبْنِيَّة على أخبارِ صوفيةِ الأنَضول وغيرها وبخاصَّةٍ البلاد القابعة تحت سلطان المغْل قد أَوْصَلَها إليه مَنْ عاش فيها، وقد يُلْمَح في بعضٍ منها وُضوح ما ذُكِرَ مِنْ أمْر الأوحد الكرماني ومريديه في ذلك.

وأمَّا **الخَبَر**، فقال المريد الأوْحَدي: «الحكاية السابعة والستون: أنَّ حضرة الشيخ (الكرماني) رضي اللّه عنه، جاء مصرَ (القاهرة) في بعض أسفاره، فقيل له: إنّ الشيخ عليًّا الحريريَّ بها، فكان أنْ وافقَ ذهابُه إلى الحمَّام ذلك اليوم، وكان من عادة الحريري أن يصحبه إذا قصد إلى الحمام عشرون أو ثلاثون غلامًا كأن وجه كلّ واحدٍ منهم البدر ليلةَ تمِّهِ، ولم يكن هو، ولا الغلمان يَلُفُّون المآزر على خُصورهم، فكان هو يستلقي على الأرض، وأمَّا هم فيُدَلِّكونَه، فمنهم مَن يدَلِّك له فخِذَيْه، ومنهم مَن يدلك ظهره، ومنهم من يدلك صدره وبطنه، ومنهم الذي يتناول أيْرَه فيَمْرُسه له، وهو في كل ذلك ساكن لا يقوم من مكانه، ولكن يَمدُّ يده إلى أَسْتاه مَن يدلِّكُه مِن الغلمان يُمِرُّها عليها، ويقول لهم: أوّاه، ما أحسنَ أستاهكم! إنها لَتُناسب أيري! وكان الناس يأتون إلى هذا الشيخ بأولادهم بإرادتهم ورضاهم، وكان يقول لمن يجيء إليه بولده: هل استُ ولدك عظيمة؟ فحين يجيبه بالقول: نَعَمْ، إنها كبيرة جدًّا! يقول له: إذَنْ هي جديرة بأيري، ولكن هل سيُطِيقُه؟ فإذا قال: نعم. قال له: فليَحْضُر والحال ما تقول! فيفخر الذين قُبِل أبناؤهم بانضمامهم إليه. فذهب حضرة الشيخ (الكرماني) - أيضًا - إلى ذلك الحمّام، ووضع ثيابه ودخل الحمام، فلما رأى(الحريريُّ) الشيخَ (الكرمانيَّ) اعتدلَ لمقْدمِه، وقال: هلُمَّ - أسرِعوا - إليَّ بمئزٍ (فوطة)، فأتوه بمئز، فلاثه على خَصْره، ثمَّ أقبَلَ إلى حضرة الشيخ وقبَّلَ يدَه وجلس، وأسْهَبا في الحديث. كانت القناديل مشتعلة في رابعة النهار، ورائحة البخور تُشَمُّ في كل زوايا الحمام، والغلمان جلوس حولهما، ثمَّ اعتزالا ناحية آوِنَةً،

وتحاوروا الكلام، وتناقلا أَضْرُبَه، ثم إنَّ حضرة الشيخ (الكرماني) خرج من الحمام، فعاد هذا الشيخُ - عليٌّ الحريري - إلى مئزره فنَزَعه وطَرَحه، فسألوه: ما جلوسك بحضرة الناس كلهم - غير عابئ - بلا مئزر، واتِّزارُك حين جاء ذلك الدرويش؟! فقال: لقد اتزرتُ حياء منه، وما في العالم امرؤٌ آبَه له سواه! قال حضرة الشيخ (الكرماني) في شأنه: هو لم يبلغ الكمال بَعْدُ! وسَتْرُ العَوْرة من لوازم الأمور، أمَّا هو فيدَّعي أنَّ زيدًا وعمْرًا سواء في الآخرة، وأن الملائكة والإنس والجنَّ عند الحقِّ تعالى ظاهرون بلا ساتر و لا سِتْر. والحال أنه حين رآني سرعان ما استَتَرَ، فمعنى هذا: أنه ما بلغ حَدَّ الكمال، والله أعلم!»[١].

---

(١) مناقب أوحد الدين الكرماني، ترجمه إلى التركية د. ميكائل بيرم (الحكاية: ٦٧، ص ٢٦٣-٢٦٤). قلتُ: هذا التفصيل في الرواية يُذكَر بتفصيلات من جنسها في روايات الأفلاكي. وألفتُ الانتباه هنا إلى صنيع ضدّهما في بعض المصادر العربية، كشنشنة ابن فضل الله العمري (ت٧٤٩هـ) حين يتكلم على الصوفية، فقد ترجم للحريري هذا، ونقل أن عمَّه لقي عليًّا الحريري في صباه في حمّام، وأنه صب الماء عليه بيده، وواحدٌ من أصحابه يغسّله، وأنه أتاه بمناشف مبخَّرة ريحها طيّب، ثم بقماش كأنه هيئ له وألبسه إياه، وقال له: يا سعيد! يا طويل العمر! يا طويل الذيل! وبس. انظر: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، لابن فضل الله (٨/ ٢٣٥).



صورة لمخطوطة الخبر الأوحدي !

ـے مالیدند ولمس میکردند هرگز قیام درروی ظاهر نشدی واو دست
برسرون ایشان زدی وگفتی ای علی لائق سرون شما ذکر من است
وتمامت اهالی ومعتبران بارادت ورغبت تمام پسران خود را آوردندی
که خدمت شیخ قبول کند سؤال کردی که سرون بزرگ دارد این پسر
تو ایشان گفتندی بلی عظیم بزرگ است گفتی لائق این ذکر من هست
تحمل تواند کردن گفتندی بلی گفتی بسر بیاورند چون قبول کردی
مفتخر می گشتند ومباهات مے کردند خدمت شیخ بر در حمام
مے رود وجامه بیرون مے آورد ودر حمام در می آید چنانکه نظر شیخ
بر خدمت شیخ می افتد خود را جمع مے کند ومیگویند هات الفوطه
فوطه می آورند می بندد وبخدمت شیخ می رود ودستبوس
وزیارت مے کند ومی نشیند وبمقالات وحکایات در می آیند
ودر روز روشن شمعها کافوری را فروخته بود واز بخورات
تمامت حمام مبخر گشته وآن گودکان گرد بر گرد نشسته
زمانی نیک با همدیگر در حکایت مے باشند بعد از آن خدمت
شیخ از حمام بیرون مے آید ومے رود وشیخ علی فوطه را
باز می اندازد ومی نشیند سؤال کردند که چون بود که آن
درویش را دیدی بفوطه نشستی دیگر هرگز از هیچ آفریده احتراز

وبعيدٌ أن يَلْقَى الأوحدُ الكرماني عليًّا الحريريَّ، ويُشْغَل عن ذلك الصدرُ القونويُّ!

وكان شمسُ الدين التبريزي القَلَنْدري (ت٦٤٥هـ) معجبًا بعلي الحريري، وقد عرَّف مُريدي عشيقِه - الجلالِ الرومي - في قونية بشخصية الحريري الشاهدية، ونقَل لهم بعض «مناقبه»، فقال: «كان في دمشق رجُل مبارك، طيِّب القلب، يقال له: الشيخ علي الحريري، كان إذا نظر في السماع إلى أي إنسان عاد مريدًا له، وكان الثوب الذي يَلْبسه رَثٌّ يتهالك، فلأجْل ذلك كانت جميع أجزاء جسده تُرى أثناء السماع! فأراد ابنُ الخليفة - وقد سَمِع بمناقبه - أن يشاهد سماعه هذا، فلما دخل من باب المقام، لينظر إلى أهل السماع، وقعَ نظرُ الشيخ عليه، فأصبح من فوره مريدًا، ولبس الخِرْقة، فلما بلغ هذا الخبرُ أباه الخليفة في مصر، أحزَنَه ذاك جدًّا، وأراد قتْلَ الشيخ، لكنه حين رأى وجه الشيخ صار هو - أيضًا - مريدًا خالصَ التوَجُّه له!

وأرادت زوجة الخليفة أن تَرى الشيخ، فدَعَوْه لبيتها، فلما جاء تقدَّمَتْ الخاتونُ (يعني زوجة الخليفة)، وجَثَتْ أمام الشيخ، وأرادت أن تُقبِّل يدَه، فنَصَب الشيخُ عُضوَه التناسليَّ، وناوَلها إيَّاه في يدِها! وقال: ليس ذاك مُرَادَك، وإنما تُريدين هذا. ثُمَّ بدأ سماعَه!»[١].

وإذا قرأتَ - مع هذه الرواية - أنَّ الشمس التبريزي سأل الأوحدَ الكرمانيَّ يومَ لقيه ببغداد: «بمَ أنت مشغول؟»، فأجابه الكرماني: «أشاهد القمر في ماء الطَّسْت!» - يعني مذهبه في القول بالشاهد - فأجابه التبريزي: «إن لم يكن بعنقك دُمَّلاً، فلم لا ترفع رأسك إلى السماء فتشاهده هناك؟ اظفَرْ

---

(١) مناقب العارفين، للأفلاكي (٢/ ٢١٧، وانظر أيضًا: ٢٥٩). وقارن مع ما ذكره ابن دقماق (ت٨٠٩هـ) عن علي الحريري، وتذكر ما يفعله التصوف في عقول من أغمض بصيرتها عند ورود أمثال هذه الروايات (نزهة الأنام في تاريخ الإسلام ١٧٦-١٧٧).

بطبيب لتداويَ نفْسك، فإنك بهذا تجعل ما تشاهده جديرًا بشهودك فيه!»، وقوله فيه أيضًا: «كان الشيخ حامد، ذات مرة، يشرح مسألة الإيمان والكفر، فكنت أنظر إليه، وأرى أنه لو مَكَث مئة سنة أخرى وهو يشرح هاتين المسألتين لن يبلغ من رائحتهما شمَّةً!»[(١)]. فلا تفهمنَّها روايةً إلا في سياق ما يُشاهد في تراجم الوجودية من التناقض.

وتقرأ كذلك في أوثق مصدرٍ تَرْجَمَ للجلال الرومي (كتاب: مناقب العارفين)، ذَمَّه - أعني الرومي - لشيخِ الصدر القونوي، أوحد الدين الكرماني؛ بسبب شاهديَّتِه المشتهرة عنه، وذلك حين قال: «لقد ترَك أوحدُ الدين في هذه الدنيا إرْثًا سيِّئًا، فبِعُنقِه ذَنْب كل من عمل بهذا الإرث من بعده!»، وقوله لمَّا قيل له: «إنَّ أوحد الدين الكرماني كان يحبُّ الحِسان، لكنه كان يَعَفُّ، ويَعتصِمُ، فلا يصنع بهم شيئًا؛ قال: فَلَيْتَ أنَّه فَعَل وانْقَلَع!»[(٢)]، تقرأ - أيضًا - مديحَه لأحمدَ الغزالي من الجهة نفْسها، التي ذَمَّ الكرمانيَّ لأجْلِها، حتى إنه فضلَّه على أخيه، صاحب (الإحياء) أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، فقال: «لو كانت عنده ذرَّة من العشق الذي عند أحمد الغزالي، لكان أفضل له!»[(٣)]، موافقًا في ذلك شمْسَه التبريزيَّ، الذي قال: «أمَا إنَّ ما سأقوله ليس حَسَنًا، كان أحمد الغزالي شديد الميْل إلى حِسان الوجوه، لكنْ مِن غير طريق الشهوة! ذلك أنه كان ينظر بعينَيْن تَريان مالا تراه أعين الآخَرين!»[(٤)].

---

(١) مقالات شمس الدين التبريزي، (٢/ ٦٥، ١٤٨).

(٢) مناقب العارفين، للأفلاكي (١/ ٦٦٥، ٦٦٤).

(٣) مناقب العارفين، للأفلاكي (١/ ٤٠٨).

(٤) المقالات، للتبريزي (١/ ٣١٣)، والمنتظم، لابن الجوزي (١٧/ ٢٣٧-٢٤٠)، والوافي بالوفيات، للصفدي (٨/ ١١٧).

ومن عجَبٍ أن قائل هذا الكلام نفْسه كان منهم، وتَظْهر «شاهديَّته» في صبغة حُلولية، حين صرَّح أن ربَّه الذي يعبدُ، يحبُّه - بزعمه - إلى حَدٍّ بلَغ من عِظَمه أنْ لو شاء التبريزيُّ أنه يأتيه - تعالى وتقدَّس - في أية صورة لجاءه فيها، وأنه جاءه مرَّةً في هيئةِ فتاة تُدعى: كيمياء، كانت ربيبة في بيت الجلال الرومي (زُوِّجها بَعْدُ، ثمَّ قتلها!)، تَكَذَّب هذه الكذبة لعشيقه الجلال الرومي، حين دخل عليه الحجرة، فرأى التبريزيَّ و(كيمياءَ) في حالٍ من المداعبة الزوجية[١]! وكذا تَظهر شاهديته مِن طلَبه من عشيقه صاحب المثنوي أن يَهَبَه محبوبًا جميلاً يخدمُه، فما كان من الرومي إلا أن قدَّم له زوجته أُمّ ولده، واسمها (كيرا خاتون)، ولكنَّ معشوقه التبريزيَّ - لقلندريّته مع شاهديته- رفَضَها، وأوضح له أن طِلْبَته غلامٌ جميلٌ، وليس امرأة، وإن كانت من الحُسْن ما كانت! فأرضاه الرومي، بأنْ أخدَمَه ابنه الغلام اليَفَع (سلطان ولد)، الذي كان جميل الصورة، في ذلك الوقت، حتى إنه وُصِف بلسان المصدر الفارسي بـ(يوسفِ يُوسُفانْ)![٢].

وكان انتقاد أهل قونية لصنيع الجلال الرومي هذا شديدًا؛ إذْ هُمْ على علم بمذهب القلندرية وأنهم أشد الناس شاهديَّةً في الغلمان الحسان، وكَثُر الكلام بسبب ذلك، فكان الجلال الرومي بعد ذلك يُبَرِّئ ابنه (سلطان ولد) قائلاً: «ابني بهاء الدين، لا يأكل الحشيشة، ولا يتعاطى فعل قوم لوط؛ لأن هذين الشيئين مذمومان جدًّا عند اللَّه الكريم.»[٣]. وتقاذف هو وخصومه التُّهَم الشنيعة، أعني الجلال وشيعتَه من جهة، وخصومه من الفقهاء والصوفية من جهة أخرى حتى قال الأفلاكي: «وجعلوا يَتناقلون أنواعًا من الهذيانات

(١) مناقب العارفين، للأفلاكي (٢/ ٢١٤).
(٢) مناقب العارفين، للأفلاكي (٢/ ١٩٧).
(٣) مناقب العارفين، للفلاكي (٢/ ٢٠٩).

عنهما (أي: الرومي والتبريزي)، تملأ الفَم، فلا يُستطاع النُّطق بها!»[١].

وأعان الشمسُ التبريزيُّ «شاهِدَه»، في هذه الأزمة بأن نفى عن نفْسِه أن يكون شاذًّا جنسيًّا، كالذي يقول: أنا وإن كنتُ قلندريًّا شاهديًّا، فلستُ من جملة مَن يفعل هذه الموبقَة منهم![٢]، وكذا تُعلم شاهديَّتُه مِن إرسال الجلال الرومي بـ(الشاهِدِ) ابنِه (سلطان ولد) إليه - بعد فرار التبريزي من قونية - في دمشق، محمَّلاً بدنانير الذهب، ليَكْمُل الإغراء له بالرجوع إليه في قونية، ومِن لُقِيِّ (سلطان ولد) له في (خانٍ) بصالحيةِ دمشق، ومعه غلامٌ من الفِرَنجة وصفه المصدر بالجميل، يلاعبه بالنَّرْد، قد بَلَغ مِن رَفْع التكلُّف بينهما أنْ إذا غَلَبه الغلامُ الفرنجيُّ صَفَعَ الشمسَ، وإذا كان العكسُ فالعكس![٣].

فكان أنه حين عادَ رجعتْ غَضْبةُ الفقهاء كما كانت، وعِيل صبرُ الأسوياء من آل بيت الجلال الرومي، فانضمَّ إلى الناقمين على التبريزي مِن أهل الشريعة منهم، ابنُ الجلال الرومي الآخَر: (علاء الدين)، وكان مدرِّسًا شرعيًّا، وصفه أبوه الرومي في رسائله إليه، لمّا فارق قونية بعد ذلك بسنوات بـ(مفخرة المدرِّسين)[٤]، فكان مِن أشَدِّ مبغضي التبريزي، حتى إنه كان سابع سبعة أشداء من أهل الفُتوَّة، ترَصَّدوا التبريزيَّ، وانهالوا عليه طعنًا بالخناجر، فقتلوه شرَّ قتلة[٥].

ولأوحد الدين الكرماني شِعرٌ قاله بالفارسية يؤكد صحَّة وُقوع تَراميَ الطرفين بمَثْلَبة الشاهدية فيهما، ويمكن ترجمة بعضٍ مما قاله إلى العربية كالتالي:

---

(١) مناقب العارفين، للأفلاكي (٢/ ١٩٦).

(٢) المقالات، لشمس الدين التبريزي (٢/ ٥٦).

(٣) المصدر السابق (٢/ ٢٧٧-٢٧٩).

(٤) رسائل الجلال الرومي (ص ١٦-١٧، ١٠١، ١٠٢).

(٥) مناقب العارفين، للأفلاكي (٢/ ٢٧٧-٢٧٩).

« إنَّ المنكرين عليَّ «شاهديَّتي» هُمْ أنفسهم واقعون فيها صُبْحًا وليلًا ، ولِشاهديَّتهم وفجاجتهم - معًا - فإنهُمْ لذلك ينكرون »[١] .

وللباحث أن يَفهم مما سبق مِن طلب الأوحد الكرماني إلى الشمس التبريزي الرُّفقة والصحبة أنَّ صورة التبريزي كانت جميلة ، وأن يَفهم مِن رَفْضِ الشمس ذلك أن الكرمانيَّ لم يكن صَبيح الوجه![٢] .

□ «الشاهدية» بين معارف الصدر القونوي :

لا يُعْرَفُ مِن شيوخ الصدر القونويِّ ، مَن كان شديد التأثُّر به - بَعْدَ ابن عربيٍّ - مثل أوحد الدين الكرماني ؛ نَعَمْ ، كان له اجتماعٌ بابن سبعين[٣] ، الفيلسوف الوجودي ، وبالشاعر الحلولي في مصر ، عمر بن الفارض ، ولكن المصادر على أنَّ تأثُّره بالأوَّلَيْن أقوى وأكثر ، وبخاصةٍ الكرماني ، وكيف لا ؟ وقد كان لَقِيَه في دمشق أوَّل مَقْدَمه إليها ، والقونوي في مَيْعة الصِّبا ، وخدَمَه سنوات ، وكانت دمشق يومئذ تَعُجُّ بالحريرية والقلندرية ، وزامَلَه شهورًا على بعير إلى مَكَّة - كما مرَّ بك آنفًا - وقد نقل مصدر صوفي عن القونوي كلمة فيها بالغ الدلالة على ذلك ، وهي قوله عن نفْسِه : «قد ارتَضَعْتُ اللَّبَن مِنْ ثَدْيَيْ أُمَّيْنِ لي !»[٤] .

فأنتَ ترى تشبيهَه أخْذَه الأدبَ والفِكْرَ عنهما بأوَّل غذاءٍ يدخل جوفَ الإنسانِ بَعْدَ ولادته ، فيكون المعنى الصوفي المراد من ذلك أنه تشَبَّعَ من فُيوضاتهما أكثر ما تشبَّع - أي : حتى النخاع - مِن اثنتَيْن : من «وُجوديَّة «صاحب (الفُصوص) ابن عربي ، ومِن نَظَرات الكرماني «الشاهديَّة»!

---

(١) مقدمة مناقب أوحد الدين الكرماني (ص٤٧) .
(٢) مناقب العارفين ، للأفلاكي ، (٢/ ١٩١ ، ١٩٢) .
(٣) الكواكب الدُّرية ، للمناوي (٢/ ٤٢) .
(٤) مناقب أوحد الدين الكرماني ، ترجمة د. ميكائيل بَيْرَم (ص ١٦٩) .

قال صدر الدين القونوي: «هذا سرٌّ فُتِح به عليَّ مجملًا في جناب التركمان سنة ثلاثين وستمئة أو إحدى وثلاثين، وعرفتُ منه يومئذ ذوقًا كُليًّاته ومجملاته مع نُبَذ من التفصيل ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]»(١). وهنا موضعُ سؤال، وهو: هل كان الصدر القونوي نفْسُه في شَبِيبَتِهِ يوم لازَمَ شيخَه الأوحدَ الكرمانيَّ جميلَ الصورة؟ والحقُّ إنني لم أرَ نصًّا صريحًا في المصادر فيه معنى: نَعَمْ! ولكن إذْ عَلِمْنا أحوال طبقة هذا الصنف من الصوفية شيوخًا وتلامذةً، وأنهم يُكثرون من إجراء السماعات في الحمَّامات، وإذْ عَلِمنا حرص الشيخ - هنا - على دوام أن يُريَ عينيه الجمال البشري دون انقطاع، حتى إنه كان يحمل معه أينما ذهب شموعًا يشعلها حين يُقْبل الليل البَهِيم بكَلْكَلِه، فإن لم يكن معه شموع لم يَرض بغيرها بديلاً، مِن القناديل والسُّرُج، فربما رضي بالجلوس في الظلام، **ويُفصِّل الراوي**: أن مريديه المِلاح إذْ عرَفوا عادته تلك، فقد كانوا يأخذون للأمر أُهْبَته، فيَحْمِلون هُمْ - أيضًا - الشموع معهم(٢)، هكذا كان سماع الشيخ ليلًا مع «شواهده»، ومِن صِفَة ذلك السماع والرقص المصاحب له أنْ يُلْصِقُ صدرَه بصدورهم، وتحضره «الجَذْبة» وهو كذلك(٣) (ولا يُدري أهي جذبة موجبة للغُسل كما مرَّ في كلام عمر النسفي، أم لا؟!) فيَغيب عن نفْسِه، وذكروا أنه كان يُمْلِي شِعره وهو في تلك اللحظات!(٤)، وإذْ قد مَرَّ بك أن والدَ القونويِّ

---

(١) من كتاب (مفتاح غيب الجمع)، نقلاً من ترجمة د. ميكائيل بيرم للقونوي (ص ٥٧).

(٢) مناقب أوحد الدين الكرماني، (ص ٢٠٧، الحكاية ٣٨). وانظر وصف مريديه بالجمال (ص٢٣٥، الحكاية ٤٩).

(٣) نفحات الأنس، للجامي (٦٦٠-٦٦١)، ومقدمة رباعيات الكرماني الفارسية (ص ٢٢).

(٤) وهنا أورد قول ابن قيِّم الجوزية (ت ٧٥١هـ) -رحمه اللَّه تعالى-: «فشرطوا أن يكون المغنِّي أمرد جميلاً، تدعو صورته وصوته وشكله ودَلُّه وحركاته إلى تعلُّق القلوب به وعِشْقِه، فإنْ فاتَ، فامرأة كذلك، وإذا جمع السماع العاشق والمعشوق، وتقابلا وتعانقا في الرقص، «فظُنَّ شرًّا=

المجدَ إسحاقَ، كان قد أهدى ابنه الصدرَ إلى ابن عربي، صاحبِ مقولة: (أعظم الوُصْلَة النكاح!)[١]، أهداه إليه وهو في حدِّ الطفولة، لِيُرَبِّيَه، ووجدنا بعض المصادر تصرِّحُ أن نتاج تربية هذا المرَبِّي لابنه، سعد الدين بن محيي الدين بن العربي(ت ٦٥٦هـ) لم تُنْجِه من أن يكون شاهديًّا[٢]، وكذا الأمر في مريد الصدر القونوي الفخر العراقي[٣]، وإذْ علِمْتَ - أيضًا - أنَّ القونوي لم يَنْسَ شيخَيْه هذين مدحًا وتعظيمًا حتى في وصيَّته وقد شاخ، فالقول: إنَّ الصدر القونويَّ كان جميل الصورة، وكان مِن أهمِّ المشاركين في هذه السماعات الأوحدية، بتلك الكيفية، لا يبدو بعيدًا، فما كان الأمر عندهم سوى قُرْبة وتعبُّد!

□ .. مِنَ الطارقين طِرْقه!

سنكتفي مِن أولئك بمُقَدَّمهم عفيف الدين التلمساني، وابنُه شمس الدين محمد (٦٨٨هـ)، الذي وصَفَتْه المصادر أنه كان صاحب لَعِب وعِشْرة، وانخلاع ومجون، ونقل خليل الصفدي (ت ٧٦٤هـ) عن شيخه العلّامة أبي حيان الأندلسي(ت٧٤٥هـ)، أنه «كان مع والده (العفيف) على حالٍ، نسأل اللّٰه السلامةَ منها، ومِن كلِّ شرٍّ!»[٤].

ولعله إنْ قُدِّر الوقوف على كتاب الإمام قطب الدين القَسطلّاني

= ولا تسأل عن الخَبَر»!»، «ولا يَتِمُّ واجب السماع عند القوم إلا بذلك، وإلا كان سمجًا باردًا، فحضور الشاهد في السماع من باب ما لا يَتِمُّ الواجب إلا به عندهم!». انظر كتاب: الكلام على مسألة السماع، لابن قيم الجوزية (ص ٣٣٤، ٣٤٠).

(١) فصوص الحكم، لابن عربي (ص ٢١٦-٢١٨).

(٢) الوافي بالوفيات، للصفدي (١/ ١٨٦)، و فَوات الوفيات، للكُتبي (٣/ ٢٦٧).

(٣) نزهة الخواطر، لعبد الحي الحَسَني (٢/ ٣)، وكتاب: مولانا جلال الدين، لعبد الباقي كول ينارلي (ص ٢٠٩).

(٤) الوافي بالوفيات، للصفدي (٣/ ١٠٩).

(ت٦٨٦هـ) الذي صنَّفَه في طريقة التصوف، مبتدئًا بالحَلَّاج ومختتمًا بالعفيف التلمساني، وذُكرَ عنه أنه كان يعادي ابن سبعين عداوة كبيرة، وينكر عليه يوم كانا بمكَّة أكثر أحواله[١]، فقَمِنٌ أن نقرأ المزيد من خزايا هؤلاء المفسدين.

ولقد حكى تلميذُ «العفيف»، المدعوُّ: برهانَ الدين، إبراهيم ابن الفاشوشة (ت ٦٩٩هـ) أنه لَقِيَ ابنَ شيخِه المذكور، في مكانٍ ما، بَيْن (رَكْبدارية)[٢]، وهذا يُكَبِّس رجْلَيْه، وهذا يبوسه، فتألَّم لذلك وانقبَضَ، ودخل على شيخه (العفيف) وهو مغتَمٌّ لِما رأى، فقال له (العفيف): ما لك؟ فأخبره بالحال التي وَجَد عليها ابنَ (العفيف) محمدًا، فقال: أفرأيته في تلك الحال منقبضًا أم حزينًا؟ فقال ابن الفاشوشة: سبحان الله! كيف يكون هذا؟! بل كان أسَرَّ ما يكون! فقال له (العفيف) - الذي ذُكِر عنه أنه لا يُفَرِّق بين الأخت والزوجة انطلاقًا مِن مذهبه الوجودي!-: فلا تحزن أنت إنْ كان هو مسرورًا!! وهَوَّنَ الأمرَ عليه. فقال ابن الفاشوشة عندئذٍ: يا سيدي؛ فرَّجتَ عنِّي! ثُمَّ قال: وعرفتُ قَدْرَ الشيخ وسَعَتَه، وفتح لي بابًا كنتُ محجوبًا عنه!

قلتُ: لعلَّه عَنَى بالباب الذي كان محجوبًا وفُتِحَ باب «الشاهديَّة»! وقد علَّق الإمامُ الذهبيُّ على هذه القصَّة بقوله: «هذا هو الشيخُ الذي لا يَستحي اللَّه مِن عذابه!»[٣].

وكان العفيف التلمساني من القائلين بالحلول العامِّ، لكن في «عِيار ثقيلٍ»

---

(١) المقفى الكبير، للمقريزي (٥/ ٢٣١).

(٢) هُمْ مَن يَتبعون بيت الركائب، الذي تُحفظ فيه السُّروج واللُّجُم ونحوها، وهم يحملون الغاشية (وهي سرج من جلد مخروز بالذهب). انظر: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، لمحمد أحمد دهمان (ص ٨٣).

(٣) تاريخ الإسلام، للذهبي (١٥/ ٦٥٥) ولفظ (الشيخ) في كلام الذهبي يعني بها ذا الشَّيْبة الأشَيْمط كبير السِّنِّ! وانظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٢/ ٢٤٤-٢٤٥).

تجاوز فيه شيخَه القونوي كما يُفهَم من المصادر. قال شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة فيه، وقد خَبُر مذهبه ومذاهب أمثاله: «كان مِن أفجر الناس، وكان أحذق هؤلاء الملاحدة!»[١]. وتُورِد المصادر من الأخبار مِصداق ما قاله ابن تيمية، فرَوَتْ أن التلمساني رأى يوم كان في القاهرة، وهو في «مجلس أُنْسٍ»، في خانقاه (الصالحية) ومعه الأيكي، مُغَنِّيًا مليحًا، فدَنَى منه التلمساني حتى قبَّله، وقال له: أنت الله! فرمى الغلامُ الطارَ مِن يده ووَجم لمقالة العفيف، وأصبح أهل المجلس يتحدّثون بما قاله العفيف، فخاف على نفْسه، وخرج فارًّا قَبْل الظُّهر إلى الشام[٢]. وحكى ابن نوح القوصي عن الإمام ابن دقيق العيد (ت٧٠٢هـ) أن العفيف: وضع يده على إسطوانة، وقال: «دَلَّ الدليلُ على أن هذه الاسطوانة هي اللّه تعالى!»، وكذلك بلغه عن غيره أنه قال عن إبريق: إنه الله![٣]. ومَرَّ بكلب أجْرَب فسُئل: أهذا - أيضًا - مِن ذات اللّه؟ فقال: «وهل ثَمَّ خارجٌ عنه؟» ومَرَّ أُخْرى، ومعه شخص آخَر بكلب، فرَكَضَه الآخَر برجْله، فقال العفيف التلمساني: «لا تَرْكُضْه، فإنه مِنْهُ!»[٤].

ونقل العلَّامة أبو حيَّان الأندلسيُّ - وكان قد رآه في القاهرة - أنّ الشيخ شمس الدين الأصبهاني (ت ٦٨٨هـ)، سأل شمس الدين محمَّد (ولد العفيف) حين جاء ليقرأ عليه: ابنُ مَنْ أنت؟ فقال: ابن العفيف التلمساني. فتبسَّمَ الشيخ، وقال له: أنت عَريقٌ في الإلهيَّة! أبوك العفيف التلمساني، وأُمُّك بنْتُ ابن سبعين! قال أبو حيان الأندلسي: يُشير إلى ما كان يَذهب إليه

---

(١) الجواب الصحيح، لابن تيمية (٤/ ٥٠٠)، ودرء التعارض، له (٦/ ١٥٢).

(٢) توضيح المشتبه، لابن ناصر الدين الدمشقي، (١/ ١٣٨)، والقول المنبي عن ترجمة ابن عربي، للسخاوي (٢/ ٢٩٤).

(٣) الوحيد في سلوك أهل التوحيد، لعبد الغفار بن نوح، (الورقة ٢١٨)، والقول المنبي عن ترجمة ابن عربي، للسخاوي(٢/ ١٧١).

(٤) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٣/ ٣٠٩).

كلٌّ منهما مِن مذهب وحدة الوجود(١).

وكنتُ - قديمًا - أتساءل عن شخصية ذاك الوجودي الفاجر، الذي سَمِع به شيخُ الإسلام ابن تيمية، ونقل ما سمعه مِن خبره ولكنه لم يُسَمِّه، فقال: «يُذكر عن بعضهم أنه كان يأتي ابنه، ويدَّعي أنه اللَّه رب العالمين، أو أنه خَلَق السماوات والأرض!»(٢)، حتى وقفتُ على نَقْل للسخاوي، كشَفَ المبهَم! قال السخاوي نقلاً عن أبي حيان الأندلسي: «ويُحكى عنه (أي: العفيف) أنه كان - ابنُه - نائمًا، فوطئه العفيفُ - أبوهُ - فتَنَبَّه ابنُه، وقال: يا أبتِ ما هذا؟! فقال: فعلتُ هذا بك حتى تزول عنك الأوهام. لا فرقَ بين أنْ أطأكَ وتطأني!»(٣). قلتُ: كُنْ على ذُكْر بَعْدَ «قول» و«فِعْل» الفيلسوف الوجودي التلمساني هذا، لقوله حين سُئل عن شيخه وشيخ شيخه، فأجاب: ابنُ عربي رَوْحاني متفلسفٌ، والقونويُّ فيلسوفٌ مُتَرَوحِنٌ، وإنما حرَّر مذهب التحقيق أنا! فإنها قد تصلحُ شهادة منه للصدر القونوي ببراءته من التطبيق

(١) مختصر الغيث العارض، مخطوطة (الورقة ٤٧٧)، والقول المنبي، للسخاوي، الفصل السادس، وقد اختلطت الحكاية عند المناوي، انظر: الكواكب الدرية، له (٢/ ٤٢١).

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٢/ ٣٧٨).

(٣) القول المنبي عن ترجمة ابن عربي، للسخاوي (٢/ ٦٠-٦٣). و في المصادر التركية صوفي يُعرف بـ (أُوغلانْ شيخ)، وتعني بالعربية: الشيخ الغلام. لنا أنْ نُلقِّبه بـ(التلمساني الثاني)، كان من شأنه أنه جاء إلى إصطنبول، وتكاثر مريدوه بها، حتى بلغ صِيته الجُنْد (الإنكشارية) وافتتن به كثير منهم، فكان أن أُمسك به، وعُقدت له مجالس طويلة لمحاكمته، وانتهتْ بقتله على الزندقة سنة ٩٤٥هـ. وعُثر في السجلات العثمانية، الباقية إلى يومنا هذا: أن المقتول كان يقول بأمور، صادرة من منطلق عَقْدِه الوجودي، فمن تلك زعمه: أن الإنسان قديم، وأن ما قالت الشريعة بحُرمته حلالٌ عنده، فالزنى واللواط من لذائذ العشق الصوفي، ولا حساب كائن في القبر ولا سؤال، وأن كل شخص هواللَّه، وأنه المشاهَد في كل صورة. . .إلخ. انظر: الملامية، لعبد الباقي كول بينارلي (ص ٤٨-٥٤)، والزنادقة والملاحدة في العهد العثماني، لأحمد يشار أوجاق (ص ٢٧٤-٢٩٠).

العَمَليِّ الذي أحْرَزَه تلميذه، وهو -وأعني التلميذ- مَنْ قد شَهد له العدوُّ والصديق بأنه أتمُّهما تحقيقًا للمذهب الوجودي![1] وإنَّ مِنْ تحقيقه - كما قرأتَ - أن يُعْلِم «المحجوبِين» أنَّ ابنه جزءٌ منه، كما قال ذلك - أيضًا - حين سئل: «أنصيريٌّ أنت؟ فقال: إن نُصيرًا جزء منِّي!»[2].

وحين بَعَث إلى العفيف التلمساني شبابٌ مِلاَحٌ، اجتمعوا لسماع لهم، مليحًا، يطلبون ابنَه المذكور (المزالة عنه أوهامه!) إلى سماعهم، ولم يكن الابن موجودًا، فكتب «العفيف» شعرًا إلى المِلاحِ يتغزَّل فيه برسولهم المليح، وما أحْدَثَه فيه مِن عشق، فلما جاء الابنُ - بَعْدُ - واطَّلع على ما جرى من أمر رسولهم «الشاهد»، وما قاله أبوه فيه، قال:

مولايَ كيف انْثَنَى عنكَ الرسولُ ولَمْ ... تَكُنْ لِوَرْدَةِ خَدَّيْه بمُقْتطِفِ
جاءتكَ مِن بَحْر ذاك الحُسْن لؤلؤة ... فكيف عادَتْ بلا ثَقْب إلى الصَّدَفِ؟![3]

فأنت تَرى كيف أوْصَل (العفيفُ) الأبُ الوجودي ولدَه إلى رُتبة تحقيقه في المذهب تحقيقًا عمَليًّا حين أزال أوهامه!

ولا يُدْرَى أكان والدُ المدعوِّ: داودَ بن مسلم الصمادي، على هذا التحقيق الوجودي التلمساني، وكان هو - أعني داود - ممن زالتْ أوهامهم حين أطاع والدَه طاعةَ محمدِ بنِ (العفيف) هواه فيه! لا جَرَمَ أنَّ ذلك مَخْبوء في الرواية التي نقلها محمد بنُ السرّاج الدمشقي في (تُفّاحه)، إذْ قال: «إنَّ له بداية عجيبة (يعني: داود بن مسلم الصمادي هذا)، نحكي ما ثبت منها! وهو أنه لما كان صبيًّا، جاء إلى زاوية والده رجُل من العَجَم، فأقام بها ثلاثًا، فقال

---

(١) نقلها ابن تيمية عمَّن كان تلميذًا له في كتابيه: (الصفدية ١/ ٢٤٤)، وبغية المرتاد (ص ٤٠٩).
(٢) العِبَر في خبر من عَبر، للذهبي (٣/ ٣٧٣).
(٣) الوافي بالوافيات، للصفدي (٣/ ١٢٩)، وانظر مثالاً آخر عنده: (١٣/ ٢٤).

والده: «قُلْ للفقير: ما حاجتُك؟ «فسأله. فقال: «أريد أن أبيتَ أنا وأنت في فراش، خلوةً، عُريانَيْن!»، فقال الشيخ - يعني: أباه -: «اِفعل!»، فلما خَلَعا ما عليهما، خلوةً، جَعل ظهرَه إلى صدره، وضمَّه إليه! ثُمَّ خَلاَّه، ولم يَرَوْه بَعْدَها، فسأله والدُه بُكرةً (يعني: كيف جَرَتِ الأمورُ في الخلوة)، فقال: «لما ضَمَّني أحسَسْتُ بيده في بطني! وأدارها في أمعائي! وغَيَّبَ عنِّي نفْسي طَرفة عين!، فقال والده: هذا جاء أعطاك نصيبك!»[١].

هذه مواقف المنحرفين من أهل التصوف في (الشاهدية)، فاقرأْ قول غير المنحرفين منهم، بل المستقيمين على السنة النبوية - وهُمْ أعَزُّ مِن عَنقاء مُغرب - في وصية مِن وصاياه لأصحابه ومريديه، قال: «. . . وأحذِّركم صُحبة المردان والنظر إليهم، والأُنس بأحدٍ منهم، واتخاذ أحدٍ منهم صاحبًا، فإنهم سُرَّاق العقول، ولهم ظُلْمة شهوانية تُطفئ أنوار القلوب، وتُكدِّر حقائق الإيمان. وإذا ابتليَ أحدٌ منكم بمجاورة أحد منهم، فليَفِرَّ منه فراره من الحيَّة والعقرب، فكم قد فَتَنوا مِن عابد، وسَلَبوا مِن واجدٍ، وسَكَنوا قلب مَن مال إليهم، فأخرجوا منه الميْلَ إلى اللَّه وإلى رسوله، فأصبح محِبُّهم منكوسًا على رأسه، مُتقلِّبًا في مساخِط الربِّ، بعيدًا عن قُدسه، متلوِّثًا بالنَّتان منهم، واحِلاً في رمْسِه، فاستعينوا باللَّه تعالى واحذروهم أشدَّ الحذر، وكونوا من مقارَبَتِهم على وَجَلٍ، والقَوِيُّ إذا ابتلي بأحدهم في صَنْعَةٍ أو قراءة، فليجعَلْه كالمرأة الأجنبية بغَضِّ بصَره عنه، ويُجافي عنه بدَنَه وقلبه كي يسْلَم، ولا أمْنَ مِن سلامته في جميع الأمور اللَّهم إلا أن يُرزق نورًا باطنًا وشهوة خامدة، ويُرزق رحمةً، فيَرحمُه كما يرحم الأبُ ولدَه ويعامله بتلك المعاملة، فربما يسلم إن شاء اللَّه تعالى.»[٢].

وحقٌّ لنا أن نسأل بعد كل أولئك سؤال الإمام الذهبي عَقِب ترجمة واحدٍ

---

(١) تفاح الأرواح، لابن السراج (المنقول ٣٠٨).

(٢) مجموع فيه رسائل للإمام عماد الدين الواسطي، (ابن شيخ الحزَّامية)، (الورقة ٢٧٦).

مِن كُبراء الشاهدية من الصوفية، فنقول:

«أمردٌ، وقهوةٌ، وقحبةٌ أورادُ أربابِ الهوى!
هذي طريق الجنة فأين طريق النار؟!»[(١)].

□ الثَّغْرة الفلسفية التي نَفَذوا منها.. إلى الإباحية:

أحسنُ مَن أشار إليها مِن أئمة العِلْم والتَّقوى ابنُ تيمية، -رحمه اللّه تعالى- فمن ذلك قوله: «... فيعلَمون أَنّ الخالق فوق العالم، ويعلَمون

(١) تاريخ الإسلام، للذهبي (١٤/ ٥٠٠)، قلت: كأنه نقلٌ من كتاب الاستقامة لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ٣١٧)، فقد ذكر هناك أن شيخًا حدَّثه بهذا التساؤل عن بعض ملوك فارس وقد رأى بعض أحوال هؤلاء الشاهدية، فقال: «يا شيخ، إن كان هذا طريق الجنة؛ فأين طريق النار؟!». ورحم اللّه تعالى الحافظ الذهبيّ الذي استبعَد خبرًا للمؤرخ ابن الجَزَري (صاحب حوادث الزمان)، وسمَّاه «مجازفة» - وصَدَقَ فإن له مجازفات لكن هذه ليست منها- حين نقَل في ترجمة (العفيف) أنه كان « في ابتداء حاله عَمِل في [بلاد] الروم أربعين خلوة، وكل خلوة أربعين يومًا، يخرج مِن خلوة ويَدخل أخرى!». انظر: تاريخ حوادث الزمان وأنبائه، لابن الجزري (١/ ٨٠)، لأنَّ عديد ذلك مِن الأيام هو(١٦٠٠) يومًا. انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (١٥/ ٦٥٥). ولو أنه -رحمه اللّه تعالى- مَسَح عن تصوُّره الذهنيِّ ما قرأه في الكتب عن خلوات الزهَّاد الأُوَل، التي فيها الجوع والسَّهَر، وتذكَّر أن (العفيف) من الصوفية الوجودية، الذين كانوا يَكْرعون من اللذائذ المحرَّمة كَرْعًا، بَعْدَ أن يُشَقْلِبُوها طاعات وقربات، فخَلَواتهم ليست في رؤوس الجبال، بل هي بجَنْب بعض الحُجرات في مساكنهم كـ(مُلْحَق) بتعبير أيامنا، ومساكنهم في الصيف داخل بساتين خَضِرة هي مِن جِنان الأرض بهاء وجمالاً، وينكمشون إذا ما حلَّ الشتاء في بيوت دَفِيئة كأنها قصور السلاطين، ولا يَضيرهم أن يقصدوا خلال ذلك الحمَّامات «التُّركية» بالأطعمة وألوان الأشربة، والأرائك والمتَّكآت، يَخدمُهم شبابٌ وغلمان حِسان، معهم آلاتُ الطرَب، فيها يُمْسُون وفيها يُصبحون، وفيها يقولون الشِّعر، ويتجاذبون أطراف الحديث وغيره، لا يَتأثَّمون، إذْ هم بسماعهم متعبِّدون، فمَن قال بعد علمه هذا الوصف: «إنَّ ذلك مستبعَدٌ»، يُقال له ماذا؟! انظر أمثلة ذلك العديدة في: (أخبار الجلال الرومي)، وفي كتاب (مناقب أوحد الدين الكرماني، ص٢٨٠-٢٨١) وفي أوَّل كتاب (العماديات) من ذكريات العماد الواسطي.

امتناع وجود موجودَيْن ليس أحدهما مباينًا للآخَر، ولا مُداخلًا له، ويعلمون أنّه إذا لَم يكن مباينًا كان مُداخلًا محايثًا، فيَلزَمُ الحلول والاتّحاد. ولَا رَيبَ أنَّ هذا هو الّذي عليه جماهير الأمم مِن بنِي آدم، أمَّا مَن يُثبت العلُوَّ والمباينة، فقوله ظاهرٌ، وأمّا الّذين لا يقرُّون بالعُلُوّ والمباينَة، فجمهورهم لا يعلَمُون ضدَّ ذلك إلّا أنَّه في كلّ مكان! ولو عُرض عليهم نفيُ هذا وهذا، لَم يتصوَّروه ولَم يعقلوه، وبهذا احتجَّ أهلُ الحلول والاتّحاد - من مُحقّقيهم - **كالصّدر القُونوي وأمثاله على نُفاة ذلك منهم**، فقال: قد سَلَّمتم لنا أنَّه ليس خارج العالم ولا مباينًا له؛ وما لَم يكن كذلك لَم يُعْقَل إلّا أن يكون وُجُود الممكنات أو في وجود الممكنات؛ إذْ لا يُعقل إلّا هذا؛ أو هذا.»[1].

وقوله: «ومنهم من يقول: هو مطْلَقٌ لا بشرط - كما يقوله القونوي وأمثاله - فهؤلاء يجعلونه «الوجودَ» الذي يَصْدُق على الواجب والممْكن، والواحدِ والكثير، والذّهنيِّ والخارجيِّ، والقديم والمحْدَث؛ فيكون: إمّا صفة للمخلوقات، وإمّا جزءًا منها، وإمّا عَيْنها. وأولئك يجعلونه «الوجود» المجرَّد الذي لا يتقيَّد بقَيد؛ فلزمهم ألّا يكون واجبًا، ولا ممكنًا، ولا عالمًا، ولا جاهلًا، ولا قادرًا، ولا عاجزًا؛ وهم يقولون مع ذلك: إنّه عاقلٌ، ومعقولٌ، وعاشقٌ، ومعشوقٌ؛ فيتناقضون في ضلالهم، ويجعلون (الواحد) (اثنين)، و(الاثنين) (واحدًا)؛ كما أنّهم يريدون أن يُثبتوا وجودًا مجرّدًا عن كلّ نَعْتٍ، مُطلَقًا عن كلّ قَيْدٍ، وهم - مع ذلك - يَخُصُّونه بما لا يكون لسائر الموجودات، ولهذا يقول بعضُهم: إنّ العالِمَ والعِلْم واحدٌ، وإنّه نفْس العِلْم، فيجعلون العالِم بنَفْسِه هو العالم بغَيْره، والموصوف هو الصّفة؛ ويتناقضون أشدَّ مِن تناقض النّصارى في «تَثْليثهمْ» «واتّحادهم» اللّذيْن أفْسَدوا بهما الإيمان بالتّوحيد، والرّسالة.»[2].

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٢/ ٢٧٥).

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٦/ ٥١٧).

وعندَه أنَّ «الصّدرَ القونوي يُفرِّق بين المطْلَق والمعيَّن لأنّه كان أقرب إلى الفلسفة، فلم يُقِرَّ بأنّ المعدومَ شيءٌ؛ لكن جعل الحقّ هو الوجود المطلق، وصنَّف «مفتاح غيب الجمع والوجود». وهذا القول أدخَل في تعطيل الخالق وعَدَمه، فإنّ المطلَق بشَرْط الإطلاق - وهو الكُلِّيُّ العقليّ - لا يكون إلّا في الأذهان لا في الأَعيَان، وَالمطلَق لَا بشَرطِ - وَهوَ الكلِّيّ الطَّبيعِيّ- وإنْ قِيلَ إنَّه مَوجودٌ فِي الخَارِجِ، فَلَا يوجَد فِي الخَارِجِ إلَّا معَيَّنًا، وَهوَ جزءٌ مِن المعَيَّنِ عِند من يقول بِثُبوتِهِ فِي الخارِجِ، فيَلْزَم أن يكون وجود الرّبِّ إمّا منتفِيًا فِي الخارِجِ، وإِمّا أن يكون جزءًا مِن وجودِ المخلوقاتِ، وإمّا أن يكون عين وجودِ المخلوقاتِ! وهل يَخْلُق الجزءُ الكُلَّ أو يخلقُ الشّيءُ نفْسَه؟! أو العدَم يخْلق الوجودَ؟! أوَ يكون بعضُ الشّيءِ خالِقًا لِجمِيعِهِ؟! وهؤلاءِ يَفِرُّون مِن لفظِ «الحلولِ» لِأنّه يقتضِي حالًّا ومَحَلًّا، ومِن لفظِ «الِاتّحادِ» لِأنّه يقتضِي شيئينِ اتّحدَ أحدُهما بِالآخَرِ، وعِندهم الوجودُ واحِدٌ!»[١].

وهو يَرى أنَّ «هؤلاء يَشْهَدون وحدةَ الوجود، وفطرتُهم تَشهد بتعدُّد الوجود، فلهذا كلامُهم دائرٌ بين فطرتهم السليمة، ومذاهبهم الذميمة»، وقال يَضْرِبُ على ذلك مثالًا مُعاشًا: «ولقد حَضَر عندي منهم شيخٌ من شيوخهم[٢]، وطلب منِّي شيئًا، فجعلتُ أستنطِقُه هذا المذهب ليَسمعه الحاضرون - فإن مِن الناس مَن يُنكر وجود هؤلاء، مع كثرتهم، لفسادِ مذهبهم في العقل - وكان قد طلب درهمًا، فقلتُ له: مَن الطالبُ؟ فقال: هو الله! قلتُ: والمطلوبُ؟ قال: هو الله! قلت: والدرهمُ؟ قال: هو الله! - وكان هناك فرُّوج وسِكِّين - فقلت: والفرُّوجُ والسكينُ؟! فقال: هو الله! فجعل يقول: إني مريضٌ

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١١/ ٢٤٢).

(٢) أرجّح أن يكون هذا (الشيخ) هو الذي ذكره ابن السراج الدمشقي باسم (عبد اللّه الصدوق) وذكره ابن تيمية في مناظرة الرفاعية باسم (عبد اللّه الكذاب)، وقد تكلمت عليه في كتابي تحقيق نسبة النصيحة الذهبية. . .

فأعْطِني. فقلت له: المعطِي غير المُعْطَى أمْ لا؟ مَن هو الذي يعطيك؟ وأمثال هذا الكلام الذي أُبيِّن به تناقض قولهم ليظهر له فسادُه، وتَوَّبْتُه بعد ذلك، فضَجِرَ في أثناء الكلام، ورفع بصَرَه إلى السماء، وقال: يا الله! فقلت: إلى مَن تَرفع؟ وعلى مذهب المحقِّقِين - أعني أصحابَه - ما هناك شيء! فقال: أستغفرُ اللّه، أخطأتُ! فصار بفِطرته يُقِرُّ بأن اللهَ فوق، ومذهبُه يأمرُهُ بأن يُنكِر أن يكون فوق العالم شيء، وهو حائرٌ بين فطرته التي فُطِرَ عليها، ومذهبِهِ الذي تَلَقَّاه مِن شيوخه»[١].

وواضحٌ لمن قرأ كتب شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة أنه كان على خُبْرٍ بأحوال وجودية الأنَضول الذين نزَحوا منها إلى مدن الشام، فرارًا من مظالم المغْل وعُمَّالهم. وما مِن رَيْب في أنَّ هؤلاء القادمين كانت تُوَجَّه إليهم أسئلة من علماء الشام - لا مِن ابن تَيْمِيَّة وحده - عن أحوال العلماء والصوفية الباقين هناك، ومِن حقّ مَن دَرَس كتُب ابن تَيْمِيَّة وعرَف شخصيته، واهتماماته الأوَّلية أن يرجِّحَ كونه -رحمه اللّه تعالى- قد أمطرَهم بأسئلة يُمكن القولُ إنَّ قُطبَ رَحاها كان حول معتقَدِ مُسْلِمي بلاد الأنَضول وما خالطها من بِدَع وخرافات، وحول مَن تَصَدَّر لإرشادهم إلى الصواب هناك، ومَن كان عكس ذلك من المفسدين، ومَن داخَل المغول منهم، ممن يُسَمَّون بالخفراء.

إنَّ من الطبيعي الذي لا يحتاج إلى نقل لتأكيده أن تكون أخبار وجودية الأنَضول ضِمْن أخبار شتَّى تَصِلُ إلى مسامع أبي العباس، الذي يُعلَم أنه كان في وقته رجُل الأمَّة، وفارس الميدان، والسياسي الذي جَمَع في السياسة بين النزاهة والشجاعة فيها، والذي شهد تلميذُه ابن قيِّم الجوزية له بصدق فراسته السياسية، إذ كان ينظر بنور تقوى اللّه ﷻ إلى أحداث دنياه، ومِلْء إهابه العلم بالشريعة، ثم إنه لم يكن من جُبَناء العلماء!

---

(١) الرد على الشاذلي، لابن تيمية (ص ١٥٦).

ويُفهَم مِن كلام ابن تيمية أنه قرأ بعض كتب القُونَوِي، وخاصة كتاب (مفتاح غيْب الجَمْع والوجود)[١]. قال: «وهكذا أقوال مَن نسَج على منوالهم وأخذ معاييرهم فأخرجها في قالب المكاشفة والمشاهدة والتحقيق والعرفان، كابن عربي وأمثاله، ومَن سلك هذا المسلك كابن سبعين وغيره، فإن هؤلاء حقيقةُ قولهم تعطيلُ الصانعِ، وأنه ليس وراء الأفلاك شيءٌ، فلو عَدِمَتِ السمواتُ والأرضُ لم يكن ثَمَّ شيءٌ موجود!»[٢].

وأشار ابن تَيْمِيَّة إلى تناقضهم، فقال: «واعلم أنَّ هؤلاء غلطوا في مسمَّى واجب الوجود، وفيما يقتضيه الدليل من ذلك، حتَّى صاروا في طرفي نقيض، فتارة يثبتونه ويُجَرِّدُونه عن الصفات حتَّى يجعلوه وجودًا مطلقًا، ثُمَّ يقولون: هو الوجود الذي في الموجودات! فيجعلون وجود كل ممكن وحادث هو الوجود الواجب بنفْسِه، كما يفعل ذلك محقِّقَةُ متصوِّفَتِهم، كابن عربي، وابن سبعين، والقُونَوِي، والتلمساني، وأمثالهم.»[٣].

ونبَّهَ إلى أن القائلين بفلسفة الوجود الواحد قد يقولون: إنّ الله- تعالى - هو الوجود المطلَق، لا بشرط الإطلاق، كما قاله الصدر القُونَوِيُّ، وجعَله هو الوجود مِن حيثُ هُوَ هُوَ، مع قَطْع النَّظَر عن كونه واجبًا، أو ممكنًا، وواحدًا وكثيرًا. ومعلومٌ أنَّ المطْلَق لا بشَرْط - كالإنسان المطْلَق لا بشرط - يَصْدُق إطلاقُه على هذا الإنسان وهذا الإنسان، وعلى الوجود الذهني والوجود الخارجي، فالوجود المطلق لا بشرط يَصْدُق على الواجبِ والممكنِ، والواحدِ والكثيرِ، والذِّهْنيِّ والخارجيِّ، وحينئذ فهذا الوجودُ المطْلَق ليس

---

(١) جامع المسائل، لابن تيمية، المجموعة الرابعة (ص ٣٩٢).

(٢) الصفدية، لابن تيمية (١/ ٢٤٤).

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (١/ ٢٩٠، ٣/ ٢٣٩، ٢٤٠)، وكتاب الصَّفَدية (١/ ١١٤-١١٦).

موجودًا في الخارج مُطلقًا بلا رَيْب، وهذا غايةٌ في الكُفر باللَّه وإنكاره، ليس وراءها غايةٌ، فاللهُ عندَهم هو الوجودُ المطلق الذي لا يَتَمَيَّز عن غيره من الموجودات، فليس هناك ذاتٌ إلهية مستقِلَّة عن المخلوقات هي اللَّه تعالى، وإذَنْ فما هذا الذي تَراه حَوْلك مِن الأشياء؟ أجابك مَنْ تحذلق مِن أصحاب هذه الفلسفة بقولهم: هي مِرآة لله، أي الوجود الواحد، وأن الرُّبوبية والألوهيَّة مراتبُ ذهنيَّة، كالنُّقطة في مركز الدائرة تُقَدَّرُ في الذِّهن ولا تَحَقُّق لها في الخارج إلا معَيَّنةً مشخَّصةً كمداد الحِبْر على الوَرق أو الطباشير على السبورة أو بالتقانة العصرية في تِلْكُم الأجهزة، وهي في النهاية ضوء و(فُوتُونات)!

قال الصدر القُونَوِي في كتابه (مراتب الوجود): «فالإنسان هو الحق، وهو الذات، وهو الصفات، وهو العرش، وهو الكرسيُّ، وهو اللَّوْح، وهو القلم، وهو الملَك، وهو الجنُّ، وهو السموات وكواكبها، وهو الأرضُون وما فيها، وهو العالم الدُّنياوي، وهو العالم الأُخْراوي، وهو الوجود وما حواهُ، وهو الحقُّ، وهو الخَلْق، وهو القديم، وهو الحادث!»[١].

□ أهُمْ أعضاءُ محفل سِرّيٍّ؟!

قال عبد الغفار بن نوح: «ونُفي جماعة من المغرب إلى هذه البلاد نعرفهم، ونعرف أسماءهم، ولا حاجة لذكر أسمائهم، وفيهم أكابر وأولياء. . .»!![٢]. ألا يحقُّ أن يتبادر إلى الأذهان هذا السؤال: هؤلاء الآتون من مغرب العالم الإسلامي إلى مشرقه، أهُمْ أعضاء جمعية سريَّة هدفها تخريب عقائد المسلمين وأخلاقهم؟ أفي المسألة (إلّا)؟ أوَ مَن كان ظاهريًّا في الفروع - كما ذَكروا عن ابن عربي - كيف يكون باطنيًّا في أصل

(١) انظر: الإنسان الكامل د. عبد الرحمن بدوي (ص١١٥).
(٢) الوحيد في سلوك أهل التوحيد، لابن نوح القوصي (الورقة ١٤٣).

الدين (وجوديًا)؟! لا يجتمع هذان الأمران - وهما كما ترى إيمانٌ ونفاق - في قلب عاقل مسلم أبدًا، ولكنه قد يجد في خرائب القلوب المضَّغِنَة له ملجأ، كما حُكِيَ قديمًا عن يهود الأندلس وبلاد المغرب في ذلك الإبّان، (واليهود أمة ما تُركوا لحالهم إذْ لم يَتركوا هُمْ غيرهم يومًا لحالهم) كان من شأنهم فيها أنه حين استولى عبدُالمؤمن بن علي سلطانُ المغرب والأندلس (ت٥٥٨هـ) على مَرّاكُش - وكان أسلوبُه الإرهابَ والجفاء والخشونة - استدعى أهل الذمَّة إلى مجلسه وخيَّرهم بين ثلاثة أمور: الإسلام، أو النزوح إلى دار الحرب، أو القتل! وأجَّلَهم مُدَّة لتخفيف أمتعتهم وبيع أملاكهم، فأظهر أكثر اليهود الإسلام تقيَّةً، فبَقِيتْ لهم أموالهم، فصار اليهود في مملكة هذا السلطان يُرَوْنَ في المساجد يُصَلُّون، ويُقرئون أولادَهم القرآن، حتّى قال المؤرخ عبد الواحد بن علي المراكشي (ت٦٤٧هـ): «ولم ينعقد عندنا ذمَّة ليهوديّ ولا نصرانيّ منذ قام أمْر المَصَامِدة، ولا في جميع بلاد المغرب بِيعة ولا كنيسة، إنّما اليهود عندنا يُظهرون الْإِسْلَام، ويُصلّون فِي المساجد، ويُقْرِؤن أولادهم القرآن جارين على مِلَّتنا وسُنَّتنا، واللَّه أعلم بما تُكِنُّ صدورُهم، وتَحويه بيوتُهم!»[1].

* * *

(١) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، للمراكشي (ص١٥٠).



الخاتمة

كان الصدر القُونَوِيُّ مِن أتْقَنِ الناس لفَنِّ «التمثيل المسرحي» لـ(شخصيةِ الصوفيِّ العارفِ بالأسرار! نعَمْ، كان يحسِنُ استخدام المظاهر الشَّكْلِيَّةِ، مِن تلك التي لحَظَ بعضَها أبو حيّان الأندلسيُّ في زُمرة أشباهِ القونويِّ حين قال إنهم: «يَجْمَعون لهم خُدَّامًا يَجلبون الناسَ إليهم، لاستخدامِهم ونَتْش أموالهم، ويُذيعون عنهم كرامات، ويُرَوُّونَ لهم مناماتٍ، يُدَوِّنُونَها في أسفار[1]، ويَحضُّون على تَرْكِ العِلم والاشتغال بالسُّنّة[2]، ويَرَوْن الوصولَ إلى اللَّه بأمور يُقرِّرُونها، من خَلَواتٍ وأذكارٍ لم يأتِ بها كتابٌ منْزَلٌ ولا نبيٌّ مرسَل، ويَتَعاظمون على الناس بالانفراد على سجادة، ونَصْبِ أيديهم للتَّقبيل، وقِلَّةِ الكلام، وإطراقِ الرُّؤوس، وتَعْيين خادم يقول: الشيخُ مشغولٌ في الخَلوة، رسَمَ الشيخُ، قال الشيخ، رأى الشيخُ، الشيخُ نَظَرَ إليكَ، الشيخُ كان البارحةَ يَذْكُركَ، إلى نحوٍ مِن هذه الألفاظِ، التي يَخُشُّونَ بها على العامة، ويَجْلِبون بها عقولَ الجَهَلَة، هذا إنْ سلِمَ الشيخُ وخادمُه من الاعتقاد الذي غلب - الآن - على متصوفة هذا الزمان، مِنَ القول بالحلول، أو القول بالوَحْدة، فإذْ ذاك يكون مُنْسلِخًا عن شريعة الإسلام بالكُلِّيَّة، والعجَبُ لمثل هؤلاء كيف تُرَتَّبُ لهم الرَّواتبُ، وتُبْنَى لهم الرُّبُط، وتُوقَف عليها الأوقاف، ويَخدُمهم الناسُ في عروِّهم عن سائر الفضائل؟ ولكن الناسَ أقرَب إلى

(١) ولعل في هذا القول لَفْتة إلى أن أكثر ما حَوَتْه كتب مناقب أئمة الصوفية ما هي إلا مُدَوَّنات أضغاث أحلام! وقد دوَّن القونويُّ بعضَها في كتبه.

(٢) كان القونوي أذكى من أولئك، فقد مرَّ بك اشتغاله بالسُّنة، لكنه قد تكذَّب لمعانيها باطنًا لا يعرفه إلا أمثاله من الفلاسفة!

أشباههم منهم إلى غير أشباهِهم!»[١].

وهذا ما دفَع ابن أبي حَجَلَة التلَمْساني، ثُمَّ الدِّمَشْقي الحنفي(ت ٧٧٦هـ) إلى أن يَقْذَع الصدر القونوي بمسجوع الكَلِم، فقال عنه: «كلْب الروم، وتلميذ ابن عربي المذموم، زَوَّجَه أُمَّه[٢]، وخالف باتِّباعه الأمَّة، فجَحَد النِّعْمة، وزعم أنه يُبري الأكْمَه بالحِكْمة، فزاد عليه بالسَّفَه، وتَنْزيل الجادَّة على قواعد الفلسفَة، فضَلَّ وأَضَلَّ، وحَطَّ المربوطَ، وربَطَ المنحَلَّ. وإليه تُنسَب الطائفة الإسحاقية - سُحْقًا لهم - ومن تصانيفِه «الفُكوك» الكثيرُ الشُّكوك، و«النُّصوص» التي خالفَ بها النَّصَّ، واطَّلَعَ بشرحِها على كل عَيْن أقبحَ فَصٍّ، فازدادَ بها معَ عَمَى البصيرةِ عمى البَصَرِ، وفتحَ بـ«مفتاح غَيْب الجمع» بابَ شَرٍّ، فهو مثلُ شيخِه السَّفِيه، وأقَلُّ مِنْ أن يُكْثَرَ الكلام فيه!»[٣].

ومن نعم اللّٰه تعالى أن جَعَل لتحذيرات شيخ الاسلام ابن تيمية من فلسفة هؤلاء الشيوخ الوجودية الذين قبعوا في الأنضول بأجداثهم وأفكارهم أن جعَل فيها وفي غيرها لها صدًى مستقبِلًا، فظهر بعض العلماء منهم، وتناقلوا ذلك التحذير فيما بينهم، فمن أولئك: علاء الدين البخاري - وإنْ خالف ابن تيميةَ في أمور- وغيره من العلماء. ولعل أجدرهم في أن يُعَدَّ من مصابيح الهداية لأهل الأنضول، مِن الذين كانوا يَقْشَعون ظلمات فلسفة الصدر القونوي مع أنه تلميذ تلاميذ تلاميذه، الإمامُ سراج بن مسافر بن زكريا بن يحيى بن إسلام بن يوسف القَيْصري ثم المقدسي الحنفي (ت ٨٥٦هـ)،

---

(١) انظر: البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، عند تفسير آية رقم(٥٥) من سورة الأعراف. ونقله السخاوي في كتابه: القول المنبي عن ترجمة ابن العربي (٢/ ٢٧٩ رسالة جامعية).

(٢) قرأها مَن أخرج كتاب ابن أبي حجلة وفيه هذا النص مطموسًا في مخطوطته، فاجتهد المحقق، فجاءت قراءته هكذا: (رُوحه أمسَتْ في الجحيم)! انظر: صرائح النصائح وتمييز الصالح من الطالح (ص ٨٠).

(٣) الكواكب الدُّرية في تراجم السادة الصوفية، للمُناوي (٢/ ٥٥٥، ٥٥٦).

وقراءةٌ فيما نقله السخاوي عن تلميذه الكمال بن أبي شريف (ت٩٠٦هـ) كافية في الإنباء بذلك، قال: «. . . وكان يُبَالغ فِي التحذير من كلام ابْن عَرَبِيّ، ويَذكُر أنه خالطَ المشتغلين بِكلامه فِي بِلاد الرّوم[١] وغيرها، ووجد كثيرًا مِنْهُم زائغًا يَتسَتَّرُ بالتأويل ظاهرًا وهو في الباطن غير مؤوِّل، بل يَعْتَقد ما هو أقبح مِن الكفر؛ ووجَد بعضهم واقعًا في الغَلَط. وكان يَعُدُّ شَيْخَه الفَنَرِيَّ - مَعَ علوِّ مقَامه في العلم - مِمَّن غلط في أَمْر ابن عربِيّ وأشباهه، وكان يَنظرُ فيما كتبه ابن تَيْمِيَّة في الرَّدّ على ابن عربِيٍّ، ويُثْنى على ردِّه، وكتبَ هو أيضًا في الرَّد عليه كتابة جيِّدة. وله نظْمٌ متوسط ونثرٌ يُستَكْثَر على كثير مِنْ أهل الرُّوم، وبُنيَتْ له مدرسة بِبَيْت المقدس بَنتْها له امرأة من نساء وزراء الرُّوم تُعرف بـ(خانم العثمانية) - بِالخاء المعجمة - فأقام بها إِلى أَن تُوفيت، فآل النَّظر إِلى ولدها - وكان فيما يُقال يمِيل إِلى ابن عربِيّ - فاتصلَ بِهِ مُبالغةُ الشَّيْخ فِي التحذير مِنْهُ، لأن ذلك كان دأْبَه لاسيما مع الواردين من الرُّوم، فكان هذا باعثًا للوَلَد على صَرْفه عن الدَّرْس، فَلم يكترثْ الشَّيْخُ بذلك بل ظهر مِنْهُ السُّرُور بِهِ، لكَونه سببًا لحمايته عن تناول ريع وقفه، وكان رَحِمَهُ اللهُ متين الدّيانة، يَأْمر بِالمعروفِ وينْهى عن المنكر، مواظبًا على الخير إِلى أَن ماتَ في سنة سِتّ وخمسين (٨٥٦هـ) ودُفن بِباب الرَّحْمَة شَرْقي المسجد الأَقْصَى.»، ونقل عن غيره أمرًا مهمًّا يُفهم منه أنه كان حريصًا جدًّا في تنبيه قومه الأتراك الذين يأتون لزيارة المسجد الأقصى من السموم الفكرية التي يبثها أهل وحدة الوجود بينهم، قال: وكان علامة، صالحًا، نيِّرًا، سليم الفطرة إلى الغاية، مُدِيمَ الاشتغال والإفادة، لكنَّ أكثر ذلك لأبناء جنسه لِلُكْنَةٍ كانت في لسانه وعدم طلاقة»[٢].

وقد عَرف ذلك مِن تأثيرهم كبيرُ المولوية عبد الباقي كولبيتارلي

---

(١) المراد الأنضول أو تركيا حاليًا.

(٢) الضوء اللامع، للسخاوي (٣/ ٢٤٤-٢٤٥).

(ت١٤٠٢هـ)، وكان مؤرخًا متعصبًا لمولويته ومذهبه الشيعي، فتُلْفِيه يَحمِل على بعض علماء الشريعة في الدولة العثمانية بالقول بما محصَّلُه: إنهم نقَلوا إلينا الإسلام العربي الأموي، وإنَّ الإسلامَ الحقَّ هو إسلام الأنضول التركي! وإن جئتَ تفتش عن إسلامه الذي يَبغي وجدتَ المولوية والبكداشية والنصيرية!

فانظروا إن كان صلاح الدين الأيوبي قد أخطأ وارتدى من الإثم ما ارتدى حين أمر ولده بالتخلُّص من باطنيٍّ كالسهروردي بإعدامه، هل ترون مَن سَمَحوا لأمثاله، ومَنْ هُم أَطَمُّ منه، أن ينشروا أفكارهم المضلَّة مقولةً ومكتوبةً، كما فعل السلطان العثماني محمد الفاتح (ت ٨٨٦هـ) حين روَّج لكتب الصدر القونوي، قد أصاب واهتدى؟!

وختامًا أقول: حرامٌ على مَن عَرَف أنَّ شخصيةً من الشخصيَّات، التي يُجِلُّها المسلمون، وهي لا تستحق الإجلالَ، بل ضِدَّه، حرامٌ عليه السكوتُ عن إبداء النَّصيحةِ لهم بالحسنى وبطيِّب القول، أو أن يترَدَّد في بيان واقع حال تلك الشخصية، إلا مِن عُذرٍ شرعي.

اللَّهُم فبَصِّرْني - وإخواني المسلمين - بالحقِّ الذي يُرْضيكَ، وخُذْ بِيَدِي وبيدِ مَن يُريد الخيرَ للنَّاس بعِلْم، واجعلنا على صراط مستقيم، واغفر لنا ربنَّا إنك العفوُّ الغفور، وصَلِّ اللَّهُمَّ على نبينا محمَّد، وعلى آله وصحبه وسلِّم، والحمد للّه ربِّ العالمين.

* * *



فهرس الأعلام

* * *

ثبت المصادر والمراجع

- أخبار جلال الدين الرومي ووقفات مع ترجمته في كتاب رجال الفكر والدعوة في الإسلام، لأبي الفضل القونوي.
- الإسلام في الأَنضول، فؤاد كوبرولي.
- الأعلام، للزركلي.
- أعيان العصر وأعوان النصر، لخليل الصفدي.
- الأمر المحكم المربوط، لابن عربي، (مخطوطة).
- الأمصار ذوات الآثار، للذهبي.
- الإنسان الكامل، عبد الرحمن بدوي.
- أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة من غرائب آي التنزيل، لزين الدين الرازي
- الأوامر العَليَّة في الأمور العلائية، لابن بي بي.
- البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي.
- البدء والتاريخ، لمطهر بن طاهر المقدسي.
- البداية والنهاية، لابن كثير.
- البدع والحوادث، لمحمد بن الوليد الطرطوشي.
- بُغْية الطلب في تاريخ حلب، لابن العديم.
- بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة، لابن تيمية.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للذهبي.
- التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، لابن الأثير.
- تاريخ البدر في أعيان العصر، لبدر الدين العيني (مخطوطة).
- تاريخ التصوف الإسلامي، لعبد الرحمن بدوي.

- تاريخ الملك الظاهر، لابن شداد.
- تاريخ حوادث الزمان وأنبائه، لابن الجزري.
- تاريخ خليفة بن خياط، لخليفة بن خياط العصفري.
- تاريخ قونية، لإبراهيم حقي القونوي.
- تاريخ مختصر الدُّوَل، لابن العِبْري.
- تحذير السالك من الوقوع في المهالك، لأحمد بن شعبان الغَزِّي، (مخطوطة).
- تذكرة الحفّاظ، للذهبي.
- تشويق الأرواح والقلوب إلى ذِكْر علام الغيوب، لمحمد بن السراج الدمشقي.
- تفاح الأرواح ومفتاح الأرباح، لمحمد بن علي بن السراج، (مخطوطتان).
- تلبيس إبليس، لأبي الفرج بن الجوزي.
- تنزيه الشريعة، لابن عرَّاق الكناني.
- توضيح المشتبه، لابن ناصر الدين الدمشقي.
- جامع الأصول في أحاديث الرسول، لابن الأثير، (نسخة بخط المؤلف في قونية).
- جامع المسائل، لابن تيمية، المجموعة الرابعة.
- جامع كرامات الأولياء، للنبهاني.
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية.
- الجواهر المضِيَّة في طبقات الحنفية، لعبد القادر القرشي الحنفي.
- جواهر النصوص في حَلِّ كلمات الفصوص، لعبد الغني النابلسي.
- الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، لعبد الغني النابلسي.

- درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني.
- ديوان (سلطان ولد) باللسان التركي.
- ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، للتقي الفاسي.
- ذيل تاريخ الإسلام، للذهبي.
- الذيل على الروضتين، لأبي شامة.
- ذيل مرآة الزمان، لليونيني.
- رباعيات أوحد الدين الكرماني.
- رحلة ابن بطوطة.
- الرد على الشاذلي، لابن تيمية.
- الرد على من يحب السماع، لأبي الطيِّب الطبري.
- رسالة السبهسالار في ترجمة الرومي، لفريدون السبهسالار.
- رسائل جلال الدين الرُّومي، الترجمة التركية والعربية.
- رشحات عين الحياة، لعلي بن حسين الهروي.
- رغائب المناقب، لمحمد أمين دَه دَه.
- روضة المحبين، لابن قيم الجوزية.
- زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، لبيبرس المنصوري.
- الزنادقة والملاحدة في العهد العثماني، لأحمد يشار أوجاق.
- شرح الأسماء الحسنى، للعفيف التلمساني، (مخطوطة).
- شرح الحديث الأربعين، لصدر الدين القونوي، (مخطوطة).
- شرح رسالة الأنوار، لابن عربي (مخطوطة).
- الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، لطاشكوبري زاده.
- صرائح النصائح وتمييز الصالح من الطالح، لأحمد بن يحيى بن أبي حجلة،

تحقيق (أبي عبدالله عزّت عبد الرحمن السلفي المتطبِّب!) مراجعة محمد عبد الحكيم القاضي.

- الصَّفَدية، لابن تيمية.
- صِلَة التكملة لوفيات النَّقَلة، للحسيني (طبعة د. بشار عواد).
- الصوفية القلندرية تاريخها، وفتوى شيخ الإسلام..، لأبي الفضل القونوي.
- الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع، للسخاوي.
- الطالع السعيد، للأدفوي.
- طبقات الأولياء، لابن الملقِّن.
- طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين السبكي.
- طبقات الصوفية، لأبي عبد الرحمن السُّلَمي.
- طبقات الصوفية لعبد الوهاب الشعراني.
- الطريقة (الحركة) الأوحدية، لميكائيل بَيْرَم.
- عثمانلي مؤلفلري، لطاهر البرصوي.
- العسجد المسبوك، للغساني.
- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، للتقي الفاسي.
- عِقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، لبدر الدين العيني.
- العماديات، رسائل للعماد الواسطي (ابن شيخ الحزامين).
- عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المئة السابعة ببجاية، للغبريني
- فتاوى ومسائل ابن الصلاح.
- الفتوحات المكيَّة، لابن عربي.
- الفرق بين الفرق، لعبد القاهر البغدادي.
- فصوص الحكم، لابن عربي.
- الفُكوك، للصدر القونوي.

- فيه ما فيه، لجلال الرومي، الترجمة التركية والعربية.
- القلندرية، لأحمد ياشار أوجاق.
- القول المنبي عن ترجمة ابن العربي، للسخاوي، (مخطوطة)، ورسالة ماجستير في جامعة أم القرى.
- الكامل في التاريخ، لابن الأثير.
- كتاب الحوادث، لابن الفُوَطي.
- كتاب الشريعة، للآجُرِّي.
- كتاب مختصر الأحكام الشرعية من حديث رسول اللَّه ﷺ، لعبد الحق الأزدي (مخطوطة).
- كشّاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي.
- كشف أستار جواهر الحِكَم المستخرجة الموروثة من جوامع الكَلِم، للصدر القونوي.
- كشف الظنون، للحاج خليفة.
- كشف القناع المُرنى عن مهمات الأسامي والكُنى، لبدر الدين العيني.
- كشف القناع عن حكم الوجد والسماع، لأحمد بن عمر القرطبي.
- الكلام على مسألة السماع، لابن قيم الجوزية.
- كنز الحكمة، لزين الدين الرازي.
- كنوز الذهب في تاريخ حلب، لسبط بن العجمي الحلبي.
- الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، لعبد الرؤوف المناوي.
- لطف السمر، للنجم الغزي.
- مجموع الفتاوى، لابن تيمية.
- مجموعة التواريخ المولوية، لصحيح أحمد دَدَه، بالتركية.
- محاضرة الأبرار، لابن عربي؟.

- مختصر الغيث العارض، (مخطوطة).
- المرقاة الوفية في طبقات الحنفية، للفيروزاباي (مخطوطة).
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، لابن فضل اللَّه العمري.
- مسامرة الأخبار، لكريم الدين الأقسرائي.
- مسند ابن أبي شيبة.
- مشرب الأرواح، لروزبهان البَقْلي الشيرازي.
- معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، لمحمد أحمد دهمان.
- معجم البلدان، لياقوت الحموي.
- معرفة القراء الكبار، للذهبي.
- المَعْلَمَةُ الإسلامية التركية، رئاسةُ الشؤون الدينية في تركيا.
- معيد النعم ومبيد النقم، للتاج السبكي.
- مفتاح غيب الجَمْع والوجود، للصدر القونوي (مخطوطة).
- مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري.
- مقالات شمس الدين التبريزي، الترجمة التركية.
- المقتفي على كتاب الروضتين، للبرزالي.
- الملامية، لعبد الباقي كول ينارلي.
- مناقب العارفين، لأحمد الأفلاكي.
- مناقب أوحد الدين الكرماني، ترجمه إلى التركية د. ميكائل بيرم.
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لأبي الفرج بن الجوزي.
- منتهى المدارك شرح تائية ابن الفارض، للفرغاني.
- نبراس المهتدي، في اجتلاء أنباء العارف دمرداش المُحَمَّدي، لمحمد زاهد الكوثري.
- نزهة الأنام في تاريخ الإسلام، لابن دُقماق.

- نزهة الخواطر، لعبد الحي الحَسَني.
- نشوار المحاضرة، للتنوخي.
- النصوص، للصدر القونوي.
- نفائس السانحات، لمحمد مراد بن عبد اللَّه القازاني المكِّي.
- النفحات الإلهية، لصدر الدين القونوي.
- الهابط الغَويُّ مِن معاني المثنويّ، لأبي الفضل القونوي.
- الوحيد في سلوك أهل التوحيد، لعبد الغفار بن نوح القوصي، (مخطوطة).
- وصية صدر الدين القونوي، (أربع نسخ خطية).
- معجم الأخوين (قرابولوط) للمخطوطات.

* * *

فهرس

القسم الثاني

* * *


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



أخبار

الفيلسوف المترَوحِن

صدر الدين القونوي

والطارقين طرقه